جمهورية العراق
وزارة التعليم العالي و البحث العلي
جامعة ميسان
كلية التربية/ قسم التاريخ

السيدة الزهراء(عليها السلام) في الفكر الاستشراقي الفرنسي لويس ماسينيون انموذجاً

دراسة تحليلية نقدية

رسالة قدمت إلى

مجلس كلية التربية / جامعة ميسان

وهي جزء من متطلبات نيل شهادة الماجستير في التاريخ الإسلامي

تقدمت بها الطالبة

آيات عزيز جري

باشراف

الأستاذ الدكتور

شهيد كريم محمد الكعبي

١٤٤٥هـ ٢٠٢٣ م

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ ۝١ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنۡحَرۡ ۝٢ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلۡأَبۡتَرُ ۝٣ ﴾

صدق الله العلي العظيم

سورة الكوثر (١-٣)

إقرار المشرف

أشهد بأن إعداد هذه الرسالة الموسومة: **(السيدة الزهراء (ع) في الفكر الاستشراقي الفرنسي لويس ماسينيون انموذجاً دراسة تحليله نقدية)** التي تقدمت بها الطالبة **(آيات عزيز جري)** قد جرت بإشرافي في قسم التاريخ - كلية التربية – جامعة ميسان وهي جزء من متطلبات نيل شهادة الماجستير في التاريخ الاسلامي.

التوقيع :

المشرف : أ.د شهيد كريم محمد

التاريخ : ١٥ / ١٠ / ٢٠٢٣

بناءً على التوصيات المتوافرة أرشح هذه الرسالة للمناقشة

التوقيع :

رئيس قسم التاريخ – كلية التربية

أ . م . د غفران محمد عزيز

التاريخ : / / ٢٠٢٣

إقرار لجنة المناقشة

نشهد أننا اعضاء لجنة المناقشة قد أطلعنا على هذه الرسالة الموسومة بـ **(السيدة الزهراء(ع) في الفكر الاستشراقي الفرنسي لويس ماسينيون انموذجاً دراسة تحليلية نقدية)** وقد ناقشنا الطالبة **(آيات عزيز جري)** في محتوياتها وفيما له علاقة بها ووجدنا انها جديرة بالقبول لنيل درجة الماجستير في التاريخ الاسلامي وبتقدير (ممتاز)

التوقيع :
الاسم : أ . د جواد كاظم منشد
(رئيساً)

التوقيع :
الاسم : أ . د هاشم داخل حسين
(عضواً)

التوقيع :
الاسم : أ . د نعمة ساهي حسن
(عضواً)

التوقيع :
الاسم : أ . د شهيد كريم محمد
(عضواً ومشرفاً)

صادق مجلس كلية التربية / جامعة ميسان على إقرار لجنة المناقشة

التوقيع
الاسم : **أ.م.د براق طالب شلش**
التاريخ : / / ٢٠٢٣

الإهداء

إليكِ أيتها الفيضُ الجاري من لَدُن اللهِ الوهّاب . . .

وبحرُ الخيراتِ الذي لا ينَضبُ . . .

أرفعُ يميني التي أثقلتها الذنوبُ . . .

راجيةً نظرةً منكِ ، ورشفةً من كأسِ عطائكِ . . .

يوم تظمأ القلوبُ ، وتشُّح النفوسُ ، إلا مَا رحِمَ رَبّي . . .

فأسقيني يا مولاتي مِنْ عذبِ كوثرِكِ .

الباحثة

شكر وعرفان

الحمدُ لله على ما أنعم، ولهُ الشُكْرُ على ما ألهم، والثناءُ بما قدّم، منّ بعموم نعم ابتدأها، وسبوغ آلاء أسداها، وتمام منن والاها، والصلاةُ السلامُ على أفضل خلقه محمد وآل بيته الطيبين الطاهرين...

مع إتمام رسالتي- بفضل الله وتوفيقه- لابد لي أن أتقدم بجزيل الشكر والامتنان إلى من أفاضت عليّ حبها، وسعت بلا كلل ولا ملل من أجل وصولي إلى ما أنا عليه ، وتكبدت ما تكبدت في سبيل ذلك من سنيّ صغري وللآن(أمي)، التي لا أبلغ- ما جهدت- أن أحصي فضلها.

وأتوجه بالشكر والتقدير لأستاذي المشرف، والمعين الأول على إتمام هذه الدراسة ؛ إذ لم يدخر جهداً في متابعة الرسالة وتقويمها أولاً بأول، الأستاذ الدكتور(شهيد كريم محمد)، فلك مني كل التقدير والامتنان. أدامك الله شمساً تسطع في سماء ميسان.

والشكر موصول لرئاسة جامعة ميسان ، وعمادة كلية التربية، وإلى أساتذة قسم التاريخ، وبالأخص أساتذتي في السنة التحضيرية، لكم مني وافر الشكر وكبير الاحترام.

وأتقدم بجزيل الشكر والتقدير لكل من مدّ لي يد العون ، ولم يبخل عليّ بالمساعدة، ولكل من ساندني بي لحظات ضعفي، وأخص بالشكر الأستاذ المساعد المقيم في نيويورك والتدريسي في إحدى جامعاتها (الأستاذ فالح حسن)، الذي مدني بأهم مصادر الدراسة، التي لولاها ما تمكنت من إكمال رسالتي، فله جميل الامتنان والتقدير والاحترام.

وأتوجه بالشكر للأساتذة المقومين لهذه الرسالة ، والسادة الأفاضل أعضاء لجنة المناقشة؛ لما بذلوه من جهود فجزاهم الله خير الجزاء.

المحتويات

الموضوع	رقم الصفحة
الآية القرآنية	
الإهداء	
شكر وعرفان	
قائمة المحتويات	
المقدمة	٢-١٣
مدخل تعريفي بالاستشراق الفرنسي نشأته وتطوره وأبرز ملامحه	١٤-٣١
أولاً : نشأة الاستشراق الفرنسي وتطوره	١٦-٢٦
ثانياً : أبرز ملامح الاستشراق الفرنسي	٢٦-٣١
الفصل الأول لويس ماسينيون وأثره في تطوير مباحث الاستشراق الفرنسي ودراساته	٣٢-٩٤
المبحث الأول لويس ماسينيون. حياته. وتكوينه المعرفي. واهتمامه بالتصوف	٣٤-٥٤
أولًا- لويس ماسينيون حياته وتوجهه نحو الاستشراق	٣٤-٤١
ثانيًا- تكوينه المعرفي واتجاهاته الروحية	٤١-٤٥
ثالثًا- اهتمامه بالتصوف الإسلامي	٤٦-٥٤

الموضوع	رقم الصفحة
المبحث الثاني النتاج الاستشراقي للـويس ماسينيون	٥٥-٦١
المبحث الثالث آليات لويس ماسينيون المنهجية في التعامل مع النصوص الإسلامية	٦٢-٧٣
أولًا - منهج التفسير المادي للأحداث	٦٦-٦٨
ثانيًا- منهج الأثر والتأثر	٦٨-٦٩
ثالثًا- منهج الاستبطان	٧٠-٧١
رابعاً- منهج التأويل والمقابلة	٧١-٧٣
المبحث الرابع البدلية. مفهومها وأبعادها الفلسفية في طروحات ماسينيون	٧٤-٩٤
الفصل الثاني السيرة التاريخية للسيدة الزهراء( ) في كتابات ماسينيون	٩٥
المبحث الأول المرأة بين المسيحية والإسلام وأسباب عناية ماسينيون بالكتابة عن السيدة الزهراء( )	٩٦-١١٧
أولاً- المرأة بين المسيحية والإسلام	٩٧-١٠٤
ثانيًا- أسباب عناية ماسينيون بالكتابة عن السيدة الزهراء( )	١٠٤-١٠٩
ثالثًا- علم الأخرويات النسوي وصورة المرأة المثال في رؤى ماسينيون	١٠٩-١١٧

الموضوع	رقم الصفحة
المبحث الثاني المنحى الشخصي لحياة السيدة الزهراء(ع) في دراسات لويس ماسينيون	١١٨-١٤٨
أولًا- الإطار النظري لطروحات ماسينيون حول السيدة الزهراء(ع)	١١٩-١٢٧
ثانيًا- ولادتها التاريخ والبعد الماوراني للحادثة	١٢٧-١٣١
ثالثًا- لقب أم أبيها وأبعاده الرمزية	١٣١-١٣٧
رابعًا- دورها في تطور الإسلام الداخلي	١٣٧-١٤٠
خامسًا- قضية فدك ورمزية الزهد في حياتها	١٤١-١٤٨
الفصل الثالث ماسينيون والمقاربات الروحية بين مريم وفاطمة(ع) وسلمان والحلاج	١٤٩
المبحث الأول مريم وفاطمة(ع) مقاربات للحياة الروحية بين المسيحية والإسلام	١٥٠-١٧٠
المبحث الثاني سلمان وفاطمة(ع) التحول من التاريخ إلى الفلسفة الغنوصية	١٧١-١٨٥
المبحث الثالث الحلاج وفاطمة(ع) من التصوف إلى الاستبدال	١٨٦-١٩٦
الخاتمة و النتائج	١٩٧-٢٠١
قائمة المصادر	٢٠٢-٢٤٤
Abstract	*i-ii*

المقدَّمة

المقدّمة

اعتنى الاستشراق الفرنسي بوصفه تياراً أكاديمياً بدراسة الثقافات الشرقية وخاصة الإسلامية منها، وكان ميدان التصوف والجوانب الروحية في الإسلام من بين أهم الحقول الدراسية التي خاضت فيها أقلام المستشرقين الفرنسيين وغيرهم، ولاسيما أنه لاقى رواجاً واسعاً في القرن التاسع عشر في أوربا، وأصبح من الدراسات المعتادة في فرنسا حينها؛ ردًا على طغيان النزعة المادية في الفكر والعقل الأوربي، فعمد المفكرون الأوربيون لإحياء تراثهم الديني، كما فعلوا لحضارتهم بالعودة إلى التراث اليوناني والروماني القديم[1]، ولكن هذه المرة صوب الشرق واهتماماته الروحية. هذا ومن جانب آخر أراد المستشرقون إلفات النظر إلى التشابه بين المعتقدات الصوفية والمسيحية؛ لغاية لا تخلو من فرض الانتحال، أي تأثر التصوف الإسلامي بالرهبانية المسيحية، وقد برز هذا التوجه لديهم في القرن التاسع عشر، ومثله كوكبة من كبار المستشرقين في المدارس الاستشراقية المختلفة؛ مما أسهم في إظهار الكتابات الصوفية وحظيت باهتمامات العلماء من كُتاب ومحققين، وديجت عنها العديد من الكتب والدراسات، وحققت العديد من المخطوطات المتنوعة عن التصوف وشخوصه[2] يعود أول اتصال للغرب الأوربي بالفكر الصوفي الإسلامي إلى العصور الوسطى من خلال اعمال عدد من المهتمين بالأدب الصوفي، وأول سيرة صوفية وصلت الغرب هي قصة رابعة العدوية [3] التي نقلها أحد مستشاري الملك الفرنسي لويس التاسع ومن ثم توالت الدراسات المهتمة في ميدان التصوف الإسلامي[4].

يمكن القول أن أول كتاب قدّم عن التصوف في العصر الحديث كان من حصيلة أستاذ الإلهيات وعالم الدين البروتستانتي الألماني(*Tholuk* - طولوك)عبر كتابه: (التصوف أو فلسفة

---

(1) ينظر: *Angelier : Écrits Memorables , voleI , pp.I,XXlV*

(٢) ينظر: المرعاوي، المستشرقون ونشأة التصوف الإسلامي،١٦٣.

(٣) أم عمرو رابعة بنت إسماعيل البصرية المتصوفة، روت عنها بعض الأخبار في النسك والعبادة و لتعلق بالله، عاشت نيفاً وتسعين سنة. وتوفيت عام ١٨٠هـ. ينظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء،٨، ٢٤١-٢٤٣.

(٤) ينظر: آرا مري شمل، الأبعاد الصوفية في الإسلام، ١٢.

الوجود الفارسي) الذي نشر عام (١٨٢١م)، وباقة زهور من تصوف الشرق) الذي نشره عام(١٨٢٥م)، وهو يتبنى فكرة أن التصوف بدء مع بداية الإسلام، وأن النبي محمد هو من وضع أساساته الأولى، وكتب بعده المستشرق الإنجليزي(*E. H. Palmer* – بالمر)[١]، كتاباً بعنوان (التصوف في المشرق الإسلامي) نشره عام(١٨٦٧م)، وذهب فيه إلى أن التصوف هو نتاج التطور الديني الأول لدى الجنس الآري، كما ساد الرأي القائل بأن التصوف هو نتيجة لتطور الفكر الفارسي في الإسلام، ولا سيما مع توافر المصادر الصوفية الفارسية ابتداء[٢]. ومن ثم انطلقت مسيرة دراسة التصوف الإسلامي في الغرب[٣].

أما عن كيفية تعرف المستشرقين على الأدب و التاريخ الصوفي فمن الراجح أنه كان عن طريق الأدب الصوفي الفارسي فقد نقل عن المستشرق البريطاني(*Arthur gohn Arberr*= آرثر أربري)[٤] قوله: **بأن الشعر الفارسي الصوفي صار بمثابة الدراسات التقليدية في فرنسا، وأثر على شخصيات علمائها**. ولقد أسهمت المدرسة الفرنسية في دراسة التصوف الإسلامي بشكل واضح وجلي من خلال ترجمة العديد من المؤلفات الصوفية ولا ننسى جهود المستشرق الفرنسي

---

(١) ولد عام(١٨٤٠م) في كمبردج ودرس في جامعتها، وتعلم اللغات العربية والفارسية والأردية وعمرها، وأعادته الجامعة مع بعثة للبحث عن المخطوطات الشرقية في بلاد النوبة ومصر، وعمل مترجما لقوات الرحالة في مصر. له عدة مؤلفات منها: التصوف العربي. وقد عاد اللغة العربية ومعجم اللغة الفارسية، ورحلة في شبه جزيرة سيناء، وتاريخ القدس وغيرها، توفي عام(١٨٨٣م). انظر: يحيى مراد، معجم أسماء المستشرقين، ٢١٠– ٢١١.

(٢). انظر: آدامز شمل، الأبعاد الصوفية في الإسلام، ١٢– ١٤.

(٣). انظر:الشرقاوي، المستشرقون ونشأة التصوف الإسلامي،١٤؛ وهير الحذري: جهود المستشرقين في دراسة تاريخ التصوف الإسلامي دراسة أهم آراء ومؤلفات المستشرقين في التصوف الإسلامي. أبحاث منشور في مجلة اوروك للابحاث الإنسانية،المجلد٣، العدد١٤٣١،٣هـ ٢٠١٠م).

(٤) ولد عام(١٩٠٥م) وبرز في دراسة التصوف الإسلامي والأدب الفارسي، ودارس التعليم في كلية الآداب بالجامعة المصرية(جامعة القاهرة)، وعدد من الجامعات الأوربية. من أهم مؤلفاته: كتاب المواقف والمخاطبات للنفري، و الأدب الفارسي الكلاسيكي، وكتاب الشعر العربي، وكتاب حسون فصدة للمحافظ الشرازي . انظر: بدوي، موسوعة المستشرقين،٥–٧.

(*Silvestre de sacy*=سلفستر دي ساسي)[1]، الذي نشر ترجمة لأشعار فريد الدين العطار الشاعر الصوفي[2] عام(١٨١٩م)، ومن ثم تطلقت اهتمامات الآخرين في الشعر الصوفي تحقيقاً ودراسة[3] فقد برز المستشرق الفرنسي (*Rene Guenon*=روني جينو)[4] الذي كتب عن العقائد الصوفية والفلسفية في التصوف الاسلامي ووصل به الامر أن يعتنق الإسلام على المذهب الشيعي الإسماعيلي[5] .

ومن جينو إلى المستشرق الفرنسي المتصوف(***Louis Massignon***=لويس ماسينيون) الذي حظي بالريادة في الدراسات الصوفية وبالأخص بعد إعداد اطروحته عن الحلاج[6] عام(١٩٢٢م)، الذي عده بمثابة الجسر(المسيحي – الإسلامي)، عبر حياته، وسلوكه، ودعوته، وصلبه[7] ().

---

(١) مستشرق فرنسي ولد في باريس عام(١٧٥٨م)، ودرس اللغة والعربية، وقضى حياته في خدمة الاستشراق، وقد اتفق بتأسيس الجمعية الآسيوية، توفي عام(١٨٣٨م). انظر: الحقيقي، الاستشراق،١ ٧٩.

(٢)فريد الدين محمد بن إبراهيم بن مصطفى بن نعمان العطار النيسابوري. شاعر صوفي. ولد عام(٥١٢هـ). له العديد من المؤلفات والدواوين الشعرية باللغة الفارسية، توفي عام(٦٢٧هـ). انظر: سماعيل باشا البغدادي، هدية العارفين،٢ ١١٢.

(٣)انظر: الشرقاوي، المستشرقون ونشأة التصوف الإسلامي،١٥.

(٤) ولد عام(١٨٨٦م) لأسرة فرنسية كاثوليكية محافظة وعتيقة. وتعلق جينو منذ صباه بحب المعرفة والروحانيات. فأنشأ مجلة سماها(المعرفة)، واتسمت بالطابع الميتافيزيقي. وساهم في إصدار مجلة(الطريق). وهي الأخرى ذات طابع عرفاني، وكان مديرها المستشرق الشهير نوا الذي اعتنق الإسلام بسواعيه الحرة. وتأثر به اعتنق جينو الإسلام باسم(عبد الواحد يحيى)، وذلك عام(١٩١٢م)، وتعلم العربية وقرأ القرآن، ومارس التعمق في الجزائر لمادة الفلسفة، ثم سافر إلى مصر عام(١٩٣٠م)، وعاش في القاهرة ومحرط في تار التصوف حتى وفاته عام(١٩٥١م). انظر: روني جينو (عبد الواحد يحيى)، مراتب الوجود المتعددة، ١٤ – ٢٣. (مقدمة المترجم).

(٥)انظر: الحسيني، جهود المستشرقين في دراسة التصوف الإسلامي،٥٢.

(٦)أبو مغيث الحسين بن منصور، أصله من فارس، نشأ بواسط ثم فده إلى بغداد وخالط الصوفية وتتلمذ على أيديهم، تنقل بين عدد من البلدان الإسلامية كـ البصرة والأهواز وفارس بلاد فارس ولهيد وما وراء النهر وغيرها، اتهم بسبب أفكاره بالزندقة والسحر، والقول بالشاسع والحلول. وهناك الكثير من أشعاره تدور في هذا المنوال عوقب على أثر ذلك من قبل الخليفة العباسي، فأمر الخليفة المقتدر العباسي(٢٩٥–٣٢٠هـ) بقتله وضربت عنقه وقصعت أطرافه وحرقت جثته ومصلوبه بجانب المسجد ببغداد. الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد،٨ ١١٢.

(7) *Krokus: The Theology of Louis Massignon.p.192.*

وعاصره في المدرسة الأنجليزية المستشرق المهتم بالتصوف الإسلامي (*Reynold Nicgolson*=نيكلسون١٨٦٨-١٩٤٥م)[١] ومن أعظم اعماله نشره لديوان (مثنوي معنوي) للشاعر الفارسي الصوفي جلال الدين الرومي[٢] وأعمال أخرى عن التصوف الإسلامي[٣] ، والمستشرق الإسباني (*Asin Palacios*=آسين بلاسيوس ١٨٧١-١٩٤٤م)[٤]الذي تخصص في الفلسفة الإسلامية وميدان التصوف[٥]، وغيرهم،

على أن ماسينيون تمايز عن غيره من المستشرقين بشكل عام بالانغماس في ميدان التصوف الإسلامي، ولما كانت السيدة فاطمة الزهراء تمثل نقطة الارتكاز للحضور النسوي في الرسالة الإسلامية وجسد الثقافة النبوية فبالة الصورة المغايرة للمرأة في توجهات الغرب بعد أن طال التحريف كتاباتها (التوراتية-الأنجيلية)، و على الرغم من إن ولادة السيد المسيح قد أعادت بعض البهجة لصورة المرأة عبر مريم العذراء إلا إن قدسيتها لم تلبث أن تراجعت أمام التحريف الإنجيلي والنظام البطريركي (نظام الأبوية/حكم الأب/الإله الذكر)، ولذا اهتم الإسلام بإبراز العنصر النسوي العالمي بأمثلة متعددة لإعادة ترميم الذاكرة الإنسانية حيال موضوع المرأة، كما تولى السلوك النبوي من جانبه مهمة صياغة المثال النسوي التطبيقي العالمي عبر عدد من النماذج النسائية التي يأتي في مقدمتها السيدة خديجة بنت خويلد، والسيدة فاطمة الزهراء

---

(١) مستشرق انجليزي يعد من اكبر الباحثين في التصوف الإسلامي بعد لويس ماسينون، التقى بكثيرين عدد من اللغات ومنها العربية والفارسية، وتعلم في جامعة كامبردج الدراسات الكلاسيكية واليونانية ، ترك بكثيرين تتاجاً علمياً غزيراً بعد وفاته. انظر:بدوي، موسوعة المستشرقين،٥٩٣-٥٩٤.

(٢)محمد بن محمد بن حسين المعروف بمولانا جلال الدين الرومي، عالم وفقيه ومتصوف ،ولد في بلخ عام٦٠٤هـ وانتقل مع ابيه إلى بغداد ومن ثم أستقر في قونية وتولى التدريس فيها لقب الرومي بمولده الشهير المثنوي، بالمعنة المعارضة ، توفي الرومي عام٦٧٢هـ بعد أن ترك تراثاً ادبياً وعلمياً كبيرين في ميدان التصوف الإسلامي. انظر: الزركلي، الاعلام،٧، ٣٠.

(٣) انظر: بدوي، موسوعة المستشرقين،٥٩٣؛ العقيقي: المستشرقون،٢ ٩١-٩٢.

(٤) ولد في سرقسطة ، ودرس العربية فيها، نال الدكتوراه من جامعة مدريد عام١٨٩٦م، اهتم بالدراسات الإسلامية والصوفية، ومنها رسالته عن العقيدة والاخلاق والتصوف. لمزيد انظر: العقيقي، المستشرقون، ٢ ١٩٤-١٩٦.

(٥) انظر العقيقي، المستشرقون، ٢ ١٩٤.

أراد المستشرقون من خلال هذه الموضوعة عقد مقاربات بين الحضور النسوي في جسد الرسالة الإسلامية والحضور النسوي في الديانة المسيحية من خلال ثنائية السيدة الزهراء ومريم العذراء، وقد سارع المستشرق الفرنسي المتصوف (*Louis Massignon* - لويس ماسينيون) - الرائد في ميدان التصوف الاسلامي والتوجهات الروحية - بالأخص بعد إعداد اطروحته عن الحلاج - إلى دراسة الطوائف والأشخاص المهمشين، أو (المبعدين) في التاريخ، وأخيراً وجد ضالته في (الحلاج)، و(سلمان الفارسي)، وبعض الطوائف الصوفية [1] المتطرفة، فضلاً عن النساء المقدسات اللاتي عدهن (شهيدات الروح)، فكرس اهتمامه نحو السيدة الزهراء، بعدها المثال النسوي الأبرز في تاريخ الإسلام، وبناء على توجهه الصوفي وعقيدته الكاثوليكية، ناظراً بينها وبين مريم العذراء، و لم يقف عند هذا الحد، بل تجاوزه للمقاربة بينها وبين سلمان الفارسي، الذي عده مسيحيا - نسطوريا مارس دوراً فاعلاً في توجيه حياتها الروحية، وذريتها من بعدها، وقارب بينها وبين (الحلاج)، من حيث كونهما أبدالاً للتضحية واستنقاذ الآخرين الآثمين من خطاياهم، ومن المفارقات المثيرة للاهتمام أن ماسينيون هو الآخر كغيره من المستشرقين اراد إلفات النظر إلى التشابه بين المعتقدات الصوفية والمسيحية؛ لغاية لا تخلو من فرض الانتحال، أي تأثر التصوف الإسلامي بالرهبانية المسيحية، ، فكرس اهتمامه نحو السيدة الزهراء،[1] بعدها المثال النسوي الأبرز في تاريخه، منتقداً في الوقت ذاته كتابات مواطنه وسلفه (*Henri Lammens* = هنري لامنس)[2].

ومما يلفت النظر أن ماسينيون الذي أدعى نقد آراء لامنس وطروحاته، بدعوى أنها متطرفة ومتحاملة ومتعصبة، فإنه هو الآخر لم يفعل سوى أن أدار زاوية النظر لشخصية السيدة الزهراء،[1]

---

(١) سيأتي بيان مفهومها وأثرها بحسب طروحات ماسينيون في ص ١٦٧ وما بعدها.

(٢) راهب يسوعي المولد فرنسي الجنسية، ولد عام (١٨٦٢م)، وانضم الى الرهبنة عام(١٨٧٨م)، تخرج من جامعة القديس يوسف ببيروت، وأصبح استاذاً فيها، ورحل الى عدد من بلدان الشرق والعرب، ووصف بالتحزب والتزمت في كتاباته عن الإسلام، من أهم مؤلفاته: كتاب فاطمة وبنات محمد، وكتاب مهد الإسلام، وكتاب الجزيرة العربية قبيل الهجرة، وكتاب الإسلام عقائد ونظم. انظر: الحقيلي: المستشرقون، ١/ ١٠٦٨-١٠٧٠. وللمزيد عن طروحاته انظر: شهد كريم محمد، صورة أصحاب الكساء بين تجني النص واستباحة الخطاب الاستشراقي - هنري لامنس انموذجاً.

من أقصى اليسار إلى أقصى اليمين، وغادر في أحيان كثيرة- عن عمد- الواقعية التاريخية والموضوعية، فتناول سيرتها منطلقًا من انعكاسها في كتابات الفرق المتطرفة والغنوصية والغلاة، كالإسماعيلية[1] والنصيرية[2] والدروز[3]، وغيرهم، وبوحي من عقيدته الكاثوليكية الصلبة، وتوجهاته الصوفية المتحمسة.

وبحسب الرسائل المتبادلة بينه وبين المستشرق الفرنسي هنري كوربان[4]، أفصح ماسينيون عن أنه أدرك هذه العلاقة- أي الترابط أو التماثل بين فاطمة الزهراء والحلاج- متأخرًا، وأنه يخشى أن يفارق الحياة من دون اكمال هدفه الأسمى في ربط التصوف الحلاجي بفاطمة الزهراء؛ ولذا كتب لكوربان: **اعتمد عليك أولا للدفاع عن الصداقة المقدسة التي ألهمني الله بها للحلاج وفاطمة الزهراء، ومن خلالهما لسلمان ومحمد، وأنا مع (وحدة الشهود)[5] من أجل تفوق شأن مريم العذراء، ومن ثم الإنسان المضحي[6].**

---

(١) سميت بهذه الاسم نسبة لإسماعيل بن الإمام الصادق ، وكان البعض يعتقد بإمامته بعد أبيه، ولكنه توفي في حياته، فانقسمت الفرقة إلى فرقتين هما: الإسماعيلة الخالصة، وهي التي أنكرت موت إسماعيل، وأنه اختفى وسيعود لملء الأرض عدلًا وتقوم بأمر الناس، وهو القائم، والمبرقعة، وهي التي قالت بموت إسماعيل وانتقال الإمامة إلى ولده محمد، وسميوا بذلك لجلوس رئيسهم المبارك مولى إسماعيل. انظر: الأشعري، المقالات والفرق، ٨٠- ٨١.

(٢) فرقة تنسب إلى محمد بن نصير الغلاء الإمام علي الهادي ، قالوا بألوهية الإمام، أو أن فيه جزء إلهيا، وأنه سكن في السحاب، وأن الرعد صوته، والبرق ضحكه، فهم يعظمون السحاب، ويقولون أن سلمان الفارسي رسوله، ويحبون بن ملجم ولا يعيبونه؛ لأنه بزعمهم خلص اللاهوت من الناسوت. انظر: الشهرستاني، الملل والنحل، ١ ١٧٨- ١٧٩. القلقشندي: صبح الأعشى، ١٣ ٢٥٣.

(٣) فرقة تنسب إلى أبي محمد الدرزي، وكان من أهل موالاة الحاكم أبي علي المنصور بن العزيز خليفة مصر، وكانوا أولا من الإسماعيلة، ثم نشأ فكرة رجعة الحاكم وألوهيته، وأن الألوهية انتهت إليه وتصرت باسوته، وهو يغيب ويظهر بهيئته، وقتل أعداءه قتل إبادة لا معاد بعده، وهم يسمون الموحدين، وهم أشد كفرا ونفاقا من النصيرية. انظر: القلقشندي، صبح الأعشى، ١٣ ٢٥١- ٢٥٢.

(٤) سيأتي الحديث عنه في ص ٣١.

(٥) هو مصطلح صوفي- عرفاني، يعبر عن الحال التي يشعر فيها الصوفي بوحدة الحق والخلق (الله والخلق)، وينفي عن نفسه وعن كل ما سوى الله. للمزيد انظر: ابن عربي، فصوص الحكم، ٢/٦٦.

(6) *Ollivry: Louis Massignon et la mystique musulmane Analysehistoriogr aphique ,méthodologiqueetréflexived'une contribution à l'islam,P. 571.*

وقد كانت هذه المقاربات المثيرة والجديدة، أحد أهم أسباب اختيار الموضوع، مضافاً لعدم وجود دراسة أكاديمية- على حد علمنا- مختصة بالكشف عن مقاربات ماسينيون لموضوعة البحث، سواء على مستوى الدراسات العراقية أو العربية بشكل عام. لذا حاول البحث قراءة الكيفية التي تم من خلالها تقديم فاطمة الزهراء "بصورة مغايرة للغرب، وكشف الغطاء عن الأخطاء البنيوية والمنهجية التي طالما ادعت المنظومة الغربية الاعتماد عليها، وتفكيك الخطاب الذي قدمه لويس ماسينيون، وتحليل مناهجه التي ارتكز عليها ولاسيما منهج الاستبطان والتركيز على الأبعاد الرمزية في تحليل الأحداث التاريخية، وترتيب النتائج بحسب منهجه الحدسي(التأويلي) معولاً في ذلك على فكرة البدلية بعده السيدة الزهراء "بديلاً عن ابيها النبي محمد "والسيدة العذراء "

ولعل مما شكل هذا الحافز أيضاً الأهمية القصوى لهذا الموضوع، مقابل تجاهل أغلب الدراسات التي تحدثت عن ماسينيون الدخول في حيثياتها، أو تغييبها، كما في ترجمة (موسوعة الآم الحلاج) التي تغاضى فيها المترجم عن ذكر اسم (فاطمة)، الذي ما انبرى ماسينيون يردده حتى في إطار الحديث عن أم الحلاج المسماة بذات الاسم[1]، كذلك الحال بالنسبة لـ(عبد الرحمن بدوي) في ترجمته لمقاله عن (المباهلة)، حيث تغاضى عن كافة التفاصيل التي مهد لها ماسينيون عن السيدة الزهراء "في المقالة[2]، ودخل بشكل مباشر في ترجمة الواقعة التاريخية لا غير!.

وتتعرف أكثر على شخصية (لويس ماسينيون)، التي شكلت فارقاً في الاستشراق الأوربي بشكل عام، وخصوصاً في ميدان التصوف الإسلامي، والإحاطة بما قدم عن السيدة الزهراء "، انتظمت الرسالة على وفق **مقدمة** موجزة، بينت الاطار العام للدراسة، وأهمية الموضوع، وأسباب اختياره، ومن ثم **مدخل تعريفي للاستشراق الفرنسي**، تعرضنا فيه للتعريف بالمدرسة الاستشراقية الفرنسية، وتتبع المراحل التاريخية للاستشراق الفرنسي وبداياته الأولى وتطوره، وأبرز

(1) *Y.Moubarac:Opera Minora,vole3,p.651* .

(٢)ينظر أصل المقالة باللغة الفرنسية *La Mubahala de Medine et L hyperduhie Fatima* ضمن كتاب *Y.Moubarac:Opera minora,vole1,p.550.* , *(1943-1955)*

الأطر المنهجية التي اعتمدتها ، وتماهي العديد من دراساتها وأدوارها بمصالح فرنسا الاستعمارية والثقافية في مناطق العالم الإسلامي، مع الإشارة لنماذج من كبار روادها. و تلا هذا المدخل فصول ثلاثة بمباحث ونقاط مختلفة بينت حيثيات الدراسة المتعلقة بماسينيون وطروحاته حول موضوع البحث.

وقد جاء الفصل الأول تحت عنوان(لويس ماسينيون وأثره في تطوير مباحث الاستشراق الفرنسي ودراساته)، وانقسم على أربعة مباحث، خصص الأول منها لدراسة حياة لويس ماسينيون، وتكوينه المعرفي، بينما تناول المبحث الثاني : نتاجه الاستشراقي، أما الثالث: فركز على الآليات المنهجية التي أعتمدها في التعامل مع النصوص الإسلامية، ولاسيما منهج(الاستبطان)، فعلى الرغم مما عرف به من اعتدال وأنصاف للدين الإسلامي، إلا أنه اتبع آليات منهجية طالما اتبعها أصحاب المدارس الاستشراقية الأخرى، وإن بانت بصورة مغايرة عنهم، وبلغة وأسلوب مبطنين؛ ولا شك أن ذلك مرتد لقواعل الإرث الثقافي، والخلفية الأيدلوجية التي يصعب الانسلاخ عنها. أما رابع المباحث: فتناول مبدأ(البدلية)، من حيث مفهومها، وأبعادها الفلسفية في طروحات ماسينيون في حقل الإسلاميات ولاسيما التصوف.

وتناول الفصل الثاني ، الذي انعقد تحت عنوان(السيرة التاريخية للسيدة الزهراء[ ] في كتابات ماسينيون)، بمبحثه الأول، موضوعة مكانة المرأة بين المسيحية والإسلام، وأسباب عناية ماسينيون بالكتابة عن السيدة الزهراء[ ]، فناقش أسباب نظرة المسيحية المسيئة للمرأة، وما حاولته نصوص القرآن الكريم، والأحاديث النبوية الشريفة، من عكس هذه النظرة ومحوها، والاستفاضة ببيان مكانة المرأة، ومدى احترامها وتقديرها، ولاسيما عبر شخصية السيدة الزهراء[ ].

وأهتم المبحث الثاني: بالمنحى الشخصي لحياة السيدة فاطمة الزهراء[ ] في دراسات ماسينيون ، عبر نقاط تناولت تلك الحيثيات وفصلتها تحليلًا ونقدًا، ابتداءً بالإطار النظري لدراسات ماسينيون حولها، مرورًا بولادتها والبعد المأساوي للحادثة في طروحات ماسينيون، وتوقفه المميز عند لقب أو كنية(أم أبيها)، ومحاولته تفسيره فلسفيًا واستبطانيًا، والبعد التاريخي لهذه الكنية. ومن

ثم رؤيته لدورها في تطور الإسلام الداخلي، وجوانبه الروحية، وانتهاءً برؤيته لرمزية الزهد في حياة السيدة الزهراء،[1] وموقفه من قضية فدك التاريخية.

وتطرق الفصل الثالث، الذي جاء تحت عنوان:(ماسينيون والمقاربات الروحية بين مريم وفاطمة[2] وسلمان والحلاج)، لإبراز تطبيقات ماسينيون لفكرة أو مبدأ(البدلية)، والمقاربات التي عقدها في ضوئها، وبذلك انقسم الفصل على وفق مباحث ثلاثة، توقف الأول عند مقاربته بين(مريم وفاطمة[3]) **مقاربات للحياة الروحية بين المسيحية والإسلام**)، واستعرض الثاني مقاربته بين:(سلمان وفاطمة– التحول من التاريخ إلى الفلسفة الغنوصية)، وتناول المبحث الأخير مقاربته بين:(الحلاج وفاطمة– من التصوف إلى الاستبدال). وقد بينت الدراسة في هذه المباحث الثلاثة جملة من الأخطاء العلمية والمنهجية التي حاول ماسينيون تمريرها عبر حنكته الاستعراضية، وأسلوبه المشوق في الكتابة والبحث، ووقفت على ما مارسه المستشرق من ذاتية واضحة في الحكم على الأنساق والأحداث التاريخية، مع التطرق إلى إيضاح بعض المبادئ الفكرية التي ارتكز عليها في تمرير طروحاته، كالغنوصية وبعض عقائدها، وبعض المفاهيم والمصطلحات الصوفية كالشهادة ووحدة الشهود.

وقد استندت الدراسة إجمالاً إلى (المنهج الوصفي)، و(المنهج التحليلي النقدي) في متابعة آراء ماسينيون، وتفكيك أفكاره وطروحاته حيال موضوعة البحث.

وكغيرها من الدراسات في الحقل الاستشراقي، اكتنف هذه الدراسة بعض الصعوبات، وكان أبرزها شحة تسليط الأضواء البحثية على موضوعها بشكل عام، وعدم امتلاك الآليات والعدة المنهجية التي يأتي في مقدمتها فقر التواصل مع لغات الخطاب الاستشراقي، إضافة لصعوبة الحصول على مؤلفات المستشرق لويس ماسينيون، والدراسات التي تناولته، فضلًا عن عدم توافرها باللغة العربية، ما خلى بعض البحوث والمقالات البسيطة؛ مما اضطرنا إلى الحصول عليها عن طريق الشراء عبر المواقع الالكترونية المختلفة.

وبطبيعة الحال كانت بحوث المستشرق المكتوبة عن السيدة الزهراء[ ] ومقالاته هي عماد الدراسة ومصادرها الأولى، ونخص بالذكر منها كتاب(*Recherches et Documents Louis Massigno Opera Minora textes recueillis, classes et preentes avec une Bibliographie par*)، وهو مجموعة(وثائق وبحوث لويس ماسينيون)، التي جُمعت وصُنفت، وتم التقديم لها على يد تلميذه المخلص(*Y. Moubarac* =يوأكيم مبارك)، ونشرت باللغة الفرنسية تحت رعاية(مركز دراسات دار السلام)، وبواقع(ثلاثة أجزاء)، جمع فيها(٢٠٧) مقالة وبحث لماسينيون، في موضوعات مختلفة. ونشر بداية في(دار المعارف) في بيروت عام (١٩٦٣م).

ومن المجموعات الأخرى المتعلقة بأعمال ماسينيون، كانت هناك مجموعة وثائقية قام على تحريرها المستشرق(*ChristIan Jambet* -كرستيان جامبيت)، وبمساعدة مجموعة من الباحثين، وقد حررت عام(٢٠٠٩م)، وباللغة الفرنسية أيضاً، تحت عنوان:(*Louis Massignon Écrits Memorable* = لويس ماسينيون- كتابات لا تُنسى).

فضلًا عن ذلك أعتمدت الدراسة على جملة من المصادر الأخرى يمكن تبويبها وفق التالي:

أولاً-كتب السيرة: ويأتي في مقدمتها كتاب (المبدأ والمبعث والمغازي المعروف بـ(سيرة ابن اسحاق) لمحمد بن اسحاق (ت ١٥١ هـ)، وكتاب (السيرة النبوية) لابن هشام(ت٢١٨هـ)، وكتاب(المغازي)للواقدي (ت ٢٠٧هـ)، وكتاب(إمتاع الأسماع بما للنبي من الأحوال والأموال والحفدة والمتاع)للمقريزي(ت٨٤٥هـ)، وغيرها من مصادر السيرة النبوية الأخرى التي كان حضوراً في ثنايا الدراسة.

ثانياً-كتب الحديث: ومن أهمها كتاب(المسند)لابن حنبل (ت٢٤١هـ)، و(صحيح البخاري)لأبي عبد الله محمد بن اسماعيل البخاري (ت٢٥٦هـ)، وشرحيه: (فتح الباري بشرح البخاري)لابن حجر(ت٨٥٢هـ)، و(عمدة القاري في شرح صحيح البخاري)للعيني (ت٨٥٥هـ)، وكتاب(صحيح مسلم)لأبي الحسن مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري(ت٢٠٦هـ)، و(الجامع الصحيح)المعروف بـ(سنن الترمذي) (ت٢٧٩هـ)، و(السنن) للنسائي(ت ٣٠٣هـ) وغيرها.

ثالثاً-كتب الطبقات والأنساب والتراجم: لكونها تحمل في ثناياها فضلاً عن تراجم الشخصيات معلومات وأخباراً تاريخية وبعض منها تحدث عن السيرة النبوية الشريفة ككتاب (الطبقات الكبرى)لابن سعد(ت٢٣٠هـ)، و(أنساب الأشراف)للبلاذري(ت٢٧٩هـ)، و(الاستيعاب في معرفة الأصحاب)و(والاستذكار)لابن عبد البر(ت٤٦٣هـ)، و(ميزان الاعتدال) للذهبي (ت ٧٤٨هـ) وغيرها.

رابعاً-كتب التاريخ: يأتي في مقدمتها (تاريخ الرسل والملوك)للطبري(ت ٣١٠هـ)، وككتاب (عيون الأخبار)لابن قتيبة (ت٢٧٦هـ)، و(الكامل في التاريخ)لابن الاثير (ت ٦٣٠ هـ)، و(تاريخ مدينة دمشق وذكر فضائلها وتسمية من حلها من الأماثل أو اجتاز بنواحيها من وارديها و أهلها)لابن عساكر (ت ٥٧١هـ)، و(البداية والنهاية في التاريخ)لابن كثير(ت ٧٧٤هـ).

خامساً-كتب اللغة: التي يستوجب الرجوع اليها في تفسير غريب اللغة وتبيان معانيها، ولاسيما كتاب(العين)للفراهيدي(ت١٧٥هـ)، و(لسان العرب) لابن منظور(ت ٧١١هـ).

سادساً-كتب الاستشراق المعربة: سواء كتب المستشرقين أنفسهم أو كتب ردود المسلمين عليهم ونقد الظاهرة الاستشراقية، ومن أهمها: كتاب(تاريخ حركة الاستشراق)للمستشرق يوهان فوك، وكتاب (صورة الأسلام في أوربا في القرون الوسطى)للمستشرق ريتشارد سوذرن، وكتاب (جاذبية الإسلام)للمستشرق الفرنسي مكسيم رودنسون، وكتاب (تاريخ الاستشراق وسياساته)للمستشرق زكاري لوكمان، وكتاب(الاستشراق: المفاهيم الغربية للشرق)لإدوارد سعيد، وكتاب(فلسفة الاستشراق) لأحمد سمايلوفتش، وكتاب(نقد الخطاب الاستشراقي)لساسي سالم الحاج.

سابعاً-الكتب الاستشراق غير المعربة : أعتمد البحث على عدد من الكتب والبحوث الأجنبية وأخص منها بالذكر: (***Louis Massignon et L'islam***-لويس ماسينيون والإسلام)الصادر عام(١٩٩٣م) للكاتب و السفير الفرنسي في البلاد العربية (***Pieere Rocalve*** -بيير روكالف) وقد اعتمدنا عليه في ايضاح المنهجية التي أعتمد عليها ماسينيون. وكتابي:

(*Louis Massignon intérieur*- لويس ماسينيون داخليًا أو روحيًا) الصادر عام (٢٠٠٠م)، (*Pathways to inner islam Massignon*- ماسينيون ومسارات الإسلام الداخلي) الصادر عام(٢٠٠٩م) للأستاذ (*Patrick Laude*-باتريك لود) وقد خدمت هذه المصادر البحث من خلال تسليطها الضوء على الجوانب الروحية للمستشرق الفرنسي لويس ماسينيون، وفهمه العميق للإسلام، وما يتعلق بدور المرأة فيه. ومن المصادر الأجنبية المهمة أيضًا الكتاب المعنون: (*The Theology of Louis Massignon: Islam, Christ, and the Church*=لاهوت لويس ماسينيون- الإسلام والمسيح والكنيسة) الصادر عام(٢٠١٧م)، للأستاذ(*Christian S Krokus*= كرستيان كروكس) الذي تناول فيه(مبدأ البدلية)ومفهومها وتطبيقاتها عند ماسينيون. إلى غير ذلك من الدراسات الأجنبية التي أسندت مقاصل البحث وأنارت بعض زواياه.

وفي الختام مع ما بُذل من جهد في هذه الرسالة تبقى ككل عمل بشري لابد وأن يعتريها بعض النقص. فليسع القارئ العذر، وليهدني إلى سواء السبيل، عما سهى به الفكر، وطغى به القلم.

والله ولـــــــي التوفيـــــــق

مدخل تعريفي بالاستشراق الفرنسي- نشأته وتطوره، وأبرز ملامحه

تعددت تعاريف الاستشراق بصورة عامة في الفكر العربي والفكر الغربي، واختلفت مضامينها من حيث مدلولاتها التاريخية والجغرافية والفكرية، وهو بحسب صورته اللفظية(استشراق/ استشرق) أي طلب علوم الشرق، ودراسة المعارف الشرقية[1].

وعند متابعة الظاهرة الاستشراقية ومحاولات فهمها للشرق والتعرف عليه وبداياتها، نجد أنها اتخذت أشكالًا مختلفة، فظهرت بصورة التبشير والتنصير، وشن الحرب الدينية على الإسلام، ومحاولات تفنيده وتشويهه، وأخرى كشكل من أشكال الاستعمار والتغريب للعقل الشرقي، أو كبحث عن الغرائبية والرومانسية المتوافرة في الشرق، واكتشاف أصالة الكتاب المقدس، والاهتمام باللغات القديمة ومواطنها، والأنساب والعادات والتقاليد والحفريات الشرقية، واستخراج الكنوز الأثرية، وتصنيف تلك المجتمعات عرقيا لإثبات تفوق العنصر الغربي[2].

وقد دفع الجدل القائم حول الاستشراق وغياب هويته العلمية، بإحدى أهم مؤسسات الاستشراق الحديث(*The Encyclopedia of lslam* -دائرة المعارف الإسلامية)[3] بعد أن أعفت إدراج مصطلح الاستشراق في موضوعاتها لعقود طويلة؛ أن تناقشه مؤخرا؛ فعهدت إلى المستشرق الهولندي(*Waardenburg*- واردنبورغ)[4] بكتابة مقال عن مادة(الاستشراق) فعالجه بمقالة تحت عنوان: *Mustashrikun*-المستشرقون)ظهرت عام(١٩٩٢م) في(مج٧/٧٣٥-٧٥٣)قال فيها: إن كلمة مستشرق تعني: **أولئك الذين يدرسون الشرق ويصبون به**

---

(١) انظر: أحمد رشدي رفاعي، معجم مصطلحات العلوم، ٣١٠.

(٢) كتب عن صورة اصحاب الكتاب،٤٣، للمزيد، انظر: سعيد الاستشراق، ٣٢٤- ٣٢٠. وعن علاقة الأنثروبولوجيا بالاستشراق، انظر: صلاح الحيدري: تفكيك الاستشراق، ٢٥- ٧٧.

(٣) صدرت بالألمانية والإنجليزية والفرنسية بطبعتها الأولى خلال(١٩١٣-١٩٣٦م)وبخمس مجلدات، والثانية بالفرنسية والإنجليزية خلال(١٩٥٤-٢٠٠٥م) بثلاثة عشر مجلدا.

(٤) ولد عام (١٩٣٠م)، ودرس العربية واللاهوت، واهتم بدراسة الإسلام، واختير لتدريس اللغة العربية والتاريخ الإسلامي في جامعة كاليفورنيا، وجامعة أوتريخت، ومن أهم مؤلفاته :كتاب الإسلام في مرآة الغرب، وكتاب الإسلام ، و كتاب التصوف في الإسلام. انظر: حنفي مراد، معجم أعلام المستشرقين،٧١٩.

ويصبحون مثل الشرقيين. فكلمتا(*Orient/Orientals*=مشرق/مشرقيون) تنحيان لأن تكون لهما دلالة معنوية أكثر من كلمتي(*East/Easterners*=الشرق/الشرقيين)وبالنتيجة فإن كلمة(مستشرقون) تحمل معنى أوسع مما يحمله المصطلح الغربي الحالي(*Orientalists*= أورينتالستس)أي: العلماء المتضلعون بالدراسات الشرقية. وفيما بعد أصبح مصطلح(*Orientalism*=الاستشراق)هو المعنى الأوسع ويعني التوجه نحو الثقافة الشرقية، وحتى نهاية القرن التاسع عشر، كان هذا مصطلح(*Orient*=المشرق) يعني الشرق الأدنى تحديدا، ولكنه كان يتضمن ما تبقى من الإمبراطورية العثمانية، وفي أوائل القرن العشرين، توسع نطاق مفهوم المشرق ليشمل آسيا كلها، محتفظا بمعنى الثقافات غير المعروفة إلى حد بعيد، والتي تتحدى الرجل الغربي لاستكشافها. وحتى بداية الحرب العالمية الثانية، كان الاستشراق يدل في معناه الأوسع على اتجاه ثقافي محدد في أوربا وأمريكا الشمالية، وبمعناه الضيق كان يعني دراسات شرقية تجريبية[1] .

وبما أن موضوع الاستشراق ومدارسه، ودوافعه وأهدافه وموضوعاته باتت معروفة وجلية لقطاع واسع من الدارسين والباحثين، فإننا سنتحاشى الخوض في هذا الإطار العام، ونقصر الحديث على ما يتعلق **بالاستشراق الفرنسي، من حيث نشأته وتطوره**، وأبرز العوامل التي ساعدت في ذلك في مسار الحركة الاستشراقية الفرنسية. **ومن ثم أبرز ملامحه ومحدداته** التي نميز فيها عن غيره من المدارس الاستشراقية الأخرى.

(1) *volume 7,p.735*.ج ،فلا عن كريمة صورة أصحاب الكـ

أولًا- نشأة الاستشراق الفرنسي وتطوره:

تنازعت كل من بريطانيا وفرنسا مركز الصدارة في بدء الحركة الاستشراقية، فذهب المستشرق البريطاني (*Arthur gohn Arberr*= آرثر اربري)، لأسبقية انجلترا في اعتمادها لفظة مستشرق عام(١٦٣٠م)، وأنها أول ما أطلقت على أحد أعضاء الكنيسة الشرقية، وفي عام(١٦٩١م) وصف الإنجليزي(*Samuel Clarke* = صموئيل كلارك)[١] بأنه مستشرق نابه؛ لأنه عرف بعض لغات الشرق[٢]، في حين ذهب الفرنسيون إلى منح هذا اللقب لفرنسي(*Gerarde oraliac* = جيرارد أورلياك)[٣] بأنه أول من استشرق[٤]. وعلى أية حال فالاستشراق كمفهوم لم يظهر بصورة مباشرة، فقد ظهر بالإنجليزية عام(١٧٧٩م)، وبالفرنسية عام(١٧٩٩م)، واعتمد في القانون الأكاديمي الفرنسي عام(١٨٣٧م)[٥].

ويمكن القول إنه يصعب تحديد وقت بداية الاستشراق الفرنسي، شأنه في ذلك شأن الاستشراق بصورة عامة؛ لاختلاف رؤى المؤرخين حول ذلك، إذ يرجع البعض بداية الحركة الاستشراقيه في فرنسا إلى محاولات التوسع الإسلامي بعد فتح الأندلس على حساب المناطق

---

(١) تخرج من جامعة أكسفورد، وعمل أول مشرف على مطبعتها. من أهم منجزاته مساركته في نشر التوراة عام١٦٥٧م. وأعداد (معجم الأماكن ذات الأسماء العربية) للنشر وكذلك أجزاء من القاموس الفارسي لتركي يحمل مراد. معجم، ٥٨١.

(٢) سعاد حلمي: فلسفة الاستشراق، ٢٢-٢٣.

(٣) درس في الأندلس حتى أصبح أوسع علماء عصره ثقافة بالعربية والفلك والرياضيات، ثم رجع إلى روما فانتخب حبر أعظم باسم سلفستر الثاني خلال المدة: ٩٩٩-١٠٠٣م فكان أول بابا فرنسي الجنسية. وقد أمر بإنشاء مدرستين لتعلم العربية الأولى في روما والثانية في فرنسا. انظر: مونتغمري وات، فضل الإسلام، ٨١، ٨٢، وغيره، هونكة: شمس الله، ٨١-٨٤، لحقني: المستشرقون، ٢، ١٢٠.

(٤) أمور رياتي، وزارة جديدة للاستشراق، ٢٣.

(٥) جوزافسكي: الإسلام والمسيحية، ٨٩.

الأوربية الأخرى، عن طريق جبال(البرنات)[1]؛ مما أثار حفيظة العالم الأوربي، وفرنسا على وجه الخصوص، نتيجة المد العسكري بين المسلمين والفرنسيين في معركة(*Poitiers*= بواتيه بلاط الشهداء ٧٣٢م/١١٤هـ)، لذلك نجد المستشرقين قد أطروا على ذلك الانتصار؛ لأنه أنقذ المسيحية من الإسلام، وحفظ بقايا الحضارة القديمة، فلولاه لقضي على المسيحية، ولكان صوت الأذان يدوي في أراضيها بدلاً من أجراس الكنائس، ولكان القرآن يدرس في (*Oxford*= أكسفورد)[2].

ويرى أحمد درويش أن هذه المعركة لم تشكل نهاية للوجود الإسلامي في هذه المنطقة، وإنما توقفاً لزحفهم وبداية لانحسارهم التدريجي بعد أقل من خمسين عام على موقعة (رونسيفو) عام(٧٧٨م)، التي تمثل أولى نتاجات الاستشراق الفرنسي ممثلة بأنشودة رولان [3] عقب ابادة مؤخرة الجيش[4]. ويعزو آخرون بداية الاستشراق الفرنسي إلى البعثات التعميمية الفرنسية لبلاد الأندلس، وأولها بعثة فرنسية برئاسة الأميرة إليزابيت ابنة خالة لويس السادس ملك فرنسا، إلى جانب بعثات أوربية أخرى، أسفرت عن ترجمة أمهات الكتب العربية إلى اللغة اللاتينية[5].

وكانت فرنسا صاحبة الدور الريادي في الحروب الصليبية، إذ انطلقت أولى دعوة للحروب الصليبية من مدينة كليرمونت الفرنسية، وكانت فرنسا منطلق أولى الحملات الصليبية، والقائدة

---

(١) البرت وجمعها برنات كلمة لاتينة الأصل، وتعني ممر أو مدخل، وجبل البرت هو الحاجز الذي يمثل الحد الفاصل بين الأندلس والأرض الكبيرة وفد الأوائل. المقري، نفح الطيب،١ /١٢٨–١٣٣؛ الحجي: التاريخ الأندلسي،٩٦.

(٢) ينظر: العزوزي، جهاد المسلمين،١٢٩–١٣٠.

(٣) أنشودة تعنى بأحداث الحرب بين شارلمان والمسلمين، وتركز على دور أحد القادة في الجيش الفرنسي المدعو رولان، وشجاعته وبطولاته لبلده، وقد استمدت استقلالاً واضحاً في عصر الحروب الصليبية؛ لإثارة شعوب أوربا على المسلمين. ينظر: انهارد، سيرة شارلمان،٧٨.

(٤) ينظر: الاستشراق الفرنسي،١٨ .

(٥) ينظر: الريادي، ظاهرة انتشار الإسلام ، ٦٤ .

الختامية لآخرها وهي الحملة السابعة[1]، ومنها انطلق الرد البابوي على نداء استغاثة مسيحيي الشرق، والتي دشنها البابا أوربان الثاني عام(١٠٩٥م) بمناداة مسيحي الغرب الذين انظموا إلى هذه الحملة بدافع الحماس الديني[2] حيث خاطبهم قائلا: **أيتها الطائفة الفرنساوية العزيزة لدى الله، إن كتبة المسيحيين قد وضعت رجائها مستداً على شجاعتكم**[3].

وقد تسارعت خطى الاستشراق على يد (الغطران ريمون) رئيس اساقفة طليطلة، الذي كان من أصول فرنسية، وعمل على تشجيع الدراسات المتعلقة بالشرق، وكان لفرنسا خاصة دور في عملية الترجمة من العربية إلى اللاتينية[4]، وذلك بإنشائه أول مكتب للمترجمين عام (١١٣٠م)، فنقل المسلمون واليهود والنصارى إلى اللاتينية كتب عديدة، أشهرها الكتب الفلسفية، و مصنفات علماء العرب واليهود، وبفضل مكتب الترجمة والمدارس والمكتبات ظلت طليطلة طوال قرنين ملتقى طلاب العلم من أنحاء أوروبا يقبلون عليها، وينهلون من الثقافة العربية، فقدموا باكورة التراجم التي عملوا على نشرها في بلدانهم بعد العودة إليها[5].

وأرجع بعض المؤرخين البداية الفعلية للاستشراق الفرنسي إلى القرن الثاني عشر بظهور أول قاموس لاتيني عربي، وأول ترجمة لاتينية للقرآن الكريم، وهي الترجمة التي تبناها(دير كلوني) الذي شيد في فرنسا عام(٩١٠م)، ونسبت إلى بطرس المبجل في عام(١١٤٣م)،الذي كان على قناعة أن مكافحة(**هرطقة محمد**)كما يسميها، لا تتم بعنف السلاح الأعمى وإنما عن طريق قوة الكلمة، وبالطبع لم تكن الترجمة أمينة ولا علمية، ولم تهتم بأصل السياق، ولم تقم وزنا

(١) ينظر: الحصن، الاستشراق الفرنسي، ٤٢.

(٢) ينظر: ليركمان، تاريخ الاستشراق، ٧٢-٧٣.

(٣) ينظر: مصري، رأي المستشرقين، ١٩.

(٤) ينظر: المقدسي، تاريخ الدراسات العربية، ٣٨.

(٥) ينظر: الحقيقي، المستشرقون، ١ ٩٩.

للأسلوب، فأساءت لقرآن الكريم كثيرن، إذ حفلت بأخطاء جسيمة سواء في المبنى أو المعنى، إضافة إلى تسبتها تأليف القرآن للنبي [1].

وتوج النتاج الاستشراقي في أواخر القرن الثالث عشر بإنشاء معهد تعليم اللغات الشرقية عام (١٢٨٥م)، وقرارات مجمع فين (١٣١١-١٣١٢م) بإنشاء كراسي اللغة العربية والعبرية والكلدانية في عدد من الدول الراعية للمسيحية، ومنها فرنسا فتم انشاء كرسي للغات السامية في جامعة باريس، وكرسي للدراسات العربية والإسلامية [2].

وقد ترسخت أقدام الاستشراق الفرنسي بعد إنشاء كراسي اللغات الشرقية فيها خصوصًا في:

١. جامعة السوربون التي أسسها الأب(*Robert de sorbon*=روبر دي سوربون) كاهن القديس لويس عام(١٢٥٧م) ثم جدد الكاردينال(*Richelieu*-ريشيليو) بنائها عام (١٦٣٦م)وضمها نابليون إلى جامعة باريس عام(١٨٠٨م). عنى معهد الآداب فيها بتاريخ وحضارة وفنون الشعوب الإسلامية.

٢. معهد تعليم اللغات الشرقية الذي أنشأه البابا(*Portrait of the pope Honorius lv* -هونوريوس الرابع) عام(١٢٨٥م).

٣. جامعة(تولوز) التي أنشأها رجال الدين الفرنسيين عام(١٢١٧م).

٤. جامعة(بوردو) التي تحتوي على معهد الآداب لغة العربية والتمدين الإسلامي، وقد أنشأت عام(١٤٤١م).

٥. كرسي دراسة العربية في مدينة(ريمس)، وقد أنشأه الملك(*Francois ler* -فرانسو الأول) عام(١٥١٩م).

٦. معهد فرنسا للدراسات الشرقية، وقد أنشأه(فرانسو الأول) عام (١٥٣٠م).

---

(١) انظر: فوك، تاريخ حركة الاستشراق، ١٧.

(٢) انظر: لحقني، المستشرقون، ١٥٣.

٧. المدرسة الوطنية للغات الشرقية الحية ،أنشأت عام(١٧٩٥م) بأمر من الإمبراطورة(ماريا تريزيا) لتدريس القناصل والسفراء، والتجار اللغات الشرقية، وكان المستشرق الفرنسي الشهير(*Silvestre de sacy*=سلفستر دي ساسي)[١] أحد أبرز أساتذتها، ثم مديرا لها عام(١٨٢٤م)[٢].

وعليه كان للحروب الصليبية وتأثيرات التحريض الكنسي العنصري، والتطلعات الاستعمارية الفرنسية الأثر الأكبر في دفع الاستشراق الفرنسي ليظهر بصورته العنصرية الحقيقية، ومواقفه العدائية تجاه الإسلام. ويمكن القول: أنه نما وترعرع نتيجة لتلك العوامل[٣] . وإذا فليس من باب المصادفة أن تكون أول ترجمة للقرآن الكريم قد تمت في فرنسا، وبقيت محفوظة في دير كلوني بجنوب فرنسا حتى (١٥٤٣م)، ولا أن تبدأ مرحلة التنظيم الفعلي لحركة الاستشراق في مطلع القرن الثامن عشر فيها، ولا أن يعقد مؤتمر عالمي للمستشرقين في باريس عام (١٧٨٣م) ، ولا أن تتأسس فيها أول جمعية للمستشرقين باسم جمعية باريس الآسيوية عام(١٨٢١ م)، التي صدرت دوريتها تحت أسم (المجلة الآسيوية) في عام(١٨٢٢م) [٤].

ومن ثم شهد الاستشراق نهضة كبيرة في القرنين السادس عشر والسابع عشر مع ظهور الطباعة؛ إذ أفادت الدراسات الاستشراقية بشكل كبير منها، وتم نشر مخطوطات عربية، وتم انشاء الكراسي والمعاهد والمدارس[٥].

---

(١)مستشرق فرنسي ولد في باريس عام(١٧٥٨م)، ودرس الشرقية والعربية، وقضى حياته في خدمة الاستشراق، وله الفضل بتأسيس الجمعية الآسيوية، توفي عام(١٨٣٨م) ينظر: العقيقي. الاستشراق.١٧٩/١.

(٢)ينظر: العقيقي. المستشرقون ١/ ١٣٨ – ١٤٠؛ نصري ،اوراد المستشرقين، ٢٦– ٢٧؛ ادوارد سعيد: الاستشراق المفاهيم الغربية للشرق، ٢١٣.

(٣)ينظر: المقدادي، الإسلام وشبهات المستشرقين، ٩٩–١٠٠.

(٤) ينظر: المقدادي، الإسلام وشبهات المستشرقين، ٨٨–٨٩.

(٥)ينظر: ماريا الجوهري ، الاستشراق الفرنسي و تراث التقاني الكولونيالي ، بحث منشور في مجلة دراسات استشراقية، العدد ٢١ لعام ١٤٤١هـ - ٢٠٢٠م ، ١٠٧.

وبعد الثورة الفرنسية عام(١٧٨٩م) قامت الحكومة بجمع المخطوطات العربية في فرنسا من الأديرة والكنائس، ومكتبات الملوك ووزرائهم في مكتبة مركزية باسم(المكتبة الإمبراطورية) في عهد نابليون، ومع عودة الملكية سميت(المكتبة الملكية)، ثم عاد أسمها إلى الأول(المكتبة الوطنية) ولا تزال محتفظة بالمخطوطات حتى اليوم[١].

وقد انغمس الاستشراق الفرنسي كباقي المدارس الاستشراقية الأوربية الأخرى بالتطابع الإمبريالي التوسعي على حساب الشرق الإسلامي، ولا سيما مع حملة نابليون على مصر والشام خلال المدة (١٧٩٨-١٨٠١م)، التي يعدها البعض البداية الحقيقية للاستشراق الفرنسي؛ إذ عمل على إقامة قاعدة للفرنسيين في مصر، وقطع الطريق بين بريطانيا ومستعمراتها في الشرق، واستغلال مواردة والاستفادة من علومه الضخمة[٢]. وكان قد أفاد من الكتب والتقارير التي كتبها الرحالة والقناصل الفرنسيين، وفصلوا فيها أحوال مصر الاجتماعية والاقتصادية والسياسية، بعد اطلاعهم على واقع البلاد العربية[٣].

وانفتحت أبواب مصر أمام المستشرقين الفرنسيين عام(١٨١٤م)، بعد توقيع محمد علي باشا والي مصر اتفاقية التعاون مع فرنسا، وما أعقبها من احتلال فرنسا للجزائر عام(١٨٣٠م)، وتونس عام (١٨٨١م)، وعمل فرنسا على تدعيم نفوذها السياسي والاقتصادي والعسكري والثقافي في البلدان الشرقية، فزار الشرق في النصف الأول من القرن التاسع عشر حوالي(١٥٠)فنانا فرنسيا في مختلف الميادين[٤]. وقد أنجب الاستشراق الفرنسي خلال وبعد غزو نابليون لمصر عددا آخر من المعاهد والمدارس والكليات الاستشراقية الفرنسية منها:

---

(١) انظر: المقدد، تاريخ الدراسات العربية ،٥١.

(٢) انظر: الحصني، الاستشراق الفرنسي،٥٧؛ ينظر: الاستشراق في الفن الروماسي ،٨٢.

(٣) ينظر: ساسي، نقد الخطاب ، ٨٨-٨٩.

(٤) ينظر: رمانات بصار، الاستشراق في الفن الرومانسي ،١٠٠.

١. معهد مصر، وقد أسسه نابليون عام(١٧٩٨م).

٢. المعهد الفرنسي للآثار الشرقية في القاهرة، وقد أنشأه (*Maspero*-ماسبيرو) عام(١٨٨٠م).

٣. كلية الآب بورجاد في تونس. أنشأها عام(١٨٤١م)،ثم تحولت إلى معهد الآداب العربية عام(١٩٣٧م).

٤. مدرسة الآداب العالية في الجزائر. أنشأها فاري عام(١٨٨١م)ثم تحولت إلى جامعة عام (١٩٠٩م).

٥. المعهد الفرنسي في دمشق، وقد أسس خلال المدة(١٩٢٢-١٩٣٠م).

٦. معهد الدراسات المغربية في الرباط، وقد أسس عام(١٩٣١م).

٧. معهد قرطاجنة في تونس، وقد أسس عام(١٨٩٥م).

٨. معهد الدراسات العليا في تونس ،وقد أسس عام(١٩٤٥م).

٩. المعهد الفرنسي-الإيراني في طهران ،وقد أسس عام(١٩٤٨م)[(١)].

هذا مضافا للمكتبات الضخمة التي تزايد ما تضمه في بناياتها من نوادر المخطوطات النفيسة، وأمهات المصادر العربية، وقطعا من النقود والأختام والأوسمة والخرائط. ويكفي أن نشير هنا إلى أن مكتبة باريس الوطنية وحدها تحتوي على(٦٠٠٠٠٠٠)من الكتب والمخطوطات، منها نحو(٧٠٠٠) مخطوط عربي، كان نابليون قد ساهم بتوفير(٣٢٠ مخطوط)منها بعد حملته على مصر. ومن بين هذه المخطوطات قطع من القرآن الكريم تعود للقرون الثاني والثالث و الرابع للهجرة، وكتب من القرن الثاني أو الثالث الهجري[(٢)].وقد عد المستشرق الفرنسي(*Robert*

(١ انظر: لحقني، المستشرقون، ١ ١٥٤، ١٥٥.

(٢) لحقني: المستشرقون، ١ ١٥٥-١٥٧.

Montrin=روبير منتران؛[1] إنشاء هذه المكتبة والكلية الملكية نقطة مميزة لانطلاق الاستشراق الفرنسي[2].

وإذا كان(منتران) قد عدّ إنشاء مكتبة باريس الوطنية، والكلية الملكية نقطة مميزة لانطلاق الاستشراق الفرنسي، فقد عدّ بعض الباحثين ظهور شخصية المستشرق الفرنسي (*Silvestre de sacy* = سلفستر دي ساسي١٧٥٨– ١٨٣٨م) بداية حقيقية لظهور الدراسات العلمية المنظمة الموضوعية الحديثة في مجال الحركة الاستشراقية، التي كانت مدينة له ولمدرسته التي انتمى إليها عشرات الرواد في مجال الاستشراق من مختلف البلدان الأوربية، ولنزعته التي جعلت الاستشراق يتحرر من المرجعية الدينية[3].

وقد أصبح المنهج الذي تبنته المدرسة الاستشراقية الفرنسية على يد(ساسي) منهجا لجميع المدارس الاستشراقية في أنحاء أوربا، من خلال التلاميذ الذين كانوا يتوافدون على باريس للدراسة على يديه في المدرسة الخاصة التابعة للمكتبة الوطنية؛ ولذا لقيه(عبد الرحمن بدوي) بشيخ المستشرقين الفرنسيين، على الرغم من أن الغموض يحيط بالكيفية التي صار بها(ساسي)مستشرقا؛ إذ لا يعرف أسماء أساتذته، ولا كيفية توجهه للتخصص في الدراسات العربية والشرقية بصورة عامة. ومع ذلك كان يتقن العبرية والعربية والألمانية، والإنجليزية، والإسبانية، والإيطالية، والفارسية التي تولى تدريسها في(الكوليج دي فرانس)عام(١٨٠٦م)، وفيها ألف كتابه(النحو العربي)بمجلدين ليدرّس لتلاميذ المدرسة. على أن(ساسي) قد تكفل بالإجابة عن كيفية تعلمه العربية وذلك برسالة وجهها لأحد الذين سألوه عن ذلك، حيث قال فيها: **لم يكن لي معلم سوى**

(١)تنظر ترجمته عند: يحيى مراد، معجم . ٦٤٤– ٦٤٥.

(٢) لُخّص: منتران، الاستشراق الفرنسي أصوله، تطوره، دراساته (مقال مصور في مجلة الاستشراق العراقة الصادرة عن: دار الشؤون الثقافة العامة في بغداد، ترجمة يوسف حبي، العدد٢العام ١٤٠٨م ١٩٨٧م)، ٣٣.

(٣) ينظر: الاستشراق، ٢١٧– ٢١٣؛ أحمد درويش: الاستشراق الفرنسي، ٢٤.

الكتب؛ ولهذا فإني لا أستطيع أن أتناقش بالعربية، ولا أن أفهم ما يقال بهذه اللغة، وأنا بعيد تمامًا عن الظن أني أمتلك معرفة تامة بهذه اللغة الواسعة سعة البحر المحيط[1].

وقد منحه نابليون لقب(بارون) عام(١٨١٤م)، وكان كلما التقى به يسأله دائمًا السؤال نفسه: كيف حال العربي؟. وكان(ساسي) منذ عام(١٨٠٥م) فصاعدًا يشغل منصب المستشرق المقيم بوزارة الخارجية الفرنسية. وكان عمله فيها ـ الذي ظل بلا أجر حتى عام(١٨١١م) ـ ينحصر في البداية بترجمة نشرات الجيش الفرنسي، و(المانيفستو) أو البيان الذي أصدره نابليون عام(١٨٠٦م). كما عمل على تخريج مترجمين تعمل في دوائر الترجمة الفرنسية الحكومية، إلى جانب تخريج باحثي المستقبل، وعندما احتل الفرنسيون الجزائر عام(١٨٣٠م) كان(ساسي) هو من ترجم الإعلان العام للجزائريين، وكان وزير الخارجية يستشيره بانتظام في جميع الشئون الدبلوماسية المتعلقة بالشرق، وأحيانًا كان وزير الحربية يستشيره كذلك، وكان اسمه يرتبط بحق بإعادة بناء، وإعادة تشكيل الدراسات الشرقية[2].

وقد امتدت شهرته في كل أنحاء أوربا حتى أنه لما غزت ألمانيا وانجلترا فرنسا عام(١٨١٤م) صدر الأمر للجيوش بعدم التعرض لممتلكاته[3]. وكان(ساسي) قد أحدث نقلة نوعية في الاستشراق الفرنسي باعتماد المنهج العلمي، وخاصة فيما يتعلق بالدراسات الإسلامية، ولا سيما بعد أن تولى إدارة(الكلية الفرنسية)، وإدارة (مدرسة اللغات الشرقية)[4].

وانتقلت زعامة الحركة الاستشراقية الفرنسية بعده إلى المستشرق والمفكر(*Ernest Renan* =ارنست رينان ١٨٢٣–١٨٩٢)، فقام بتدعيم الخطاب الاستشراقي الرسمي وتنظيم أفكار لتلاءم(فقه اللغة)، ذلك المجال الذي تخصص به، وتطويع(فقه اللغة)و(الاستشراق) حتى يلاءما

(١) بدوي: موسوعة ٣٣٤– ٣٣٩ ؛ الطهطاوي: رفاعة رافع، تخصص الإبريز في تحصص باريز، طبعة عام ١٩٩٣م. الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢١ ١٦١– ١٧٠.

(٢)انظر: سعد، الاستشراق، ٢١٣.

(٣) انظر: بدوي، موسوعة ، ٣٣٦.

(٤) انظر: فوك، تاريخ حركة الاستشراق، ١٤٠.

الثقافة الفكرية لعصره، وهو ما مكن الأبنية الاستشراقية من الاستمرار فكريا، وزاد من إبرازها للعيان، فكان بمثابة قوة دينامية عملت على إشاعة ونشر المنجزات الاستشراقية السابقة، ومنح الاستشراق أهم خصائصه التقنية[1] .

والمقصود بفقه اللغة هنا ليس مجرد دراسة الألفاظ، ولا مجرد المعرفة بالعالم القديم، وإلا فمن يستطيع فقه اللغة البقاء إلى الأبد؛ لأن مادته قابلة للنفاد، ولكن المقصود به هو سرد لقصة حياة الكلمة ومغامراتها، وما اكتسبته من انطباعات مختلفة من الأحداث التي استعملت فيها، وما أيقظته من ألوان شتى من الانطباعات في عقول الناس وخيالهم وفقا للأماكن التي استعملت فيها، وهو أسلوب من أساليب التميز التاريخي للذات عن العصر الذي يعيش فيه المرء، وعن الماضي القريب، وكانت نجاحاته الكبرى تتمثل في (النحو المقارن)، وإعادة تصنيف اللغات في أسر منفصلة، والرفض النهائي للقول بأن اللغة لها أصول إلهية، وكانت هذه النظرية قد شاعت بعد أن اكتشف العلماء بالمناهج التجريبية أن اللغات المزعومة(العبرية بصفة خاصة)لم تكن ذات عراقة أزلية ولا أصول ربانية، وفقدان التوراة المنزلة الإلهية لتصوصها؛ بعد اكتشاف الأسبقية الزمنية للغة (السنسكريتية)- إحدى أقدم اللغات الهندية- على اللغة العبرية، وانتفاء أي فكرة عن وجود لغة أولى أعطاها الرب للإنسان في جنة عدن؛ مما أدى بالنتيجة لابتعاد وانتقال موقع أولى بدايات الحضارة إلى مناطق شاسعة تبعد شرقي الأراضي المذكورة في الكتاب المقدس. وإحلال الساحة للقول بوجود لغة أم(كالهندية الأوربية أو السامية)، واستخدام اللغة(السنسكريتية)كدالة أو كمعيار للمقابلة والاستكشاف؛ وهو ما أنتج فيما بعد نظريته القائلة بالأصل السامي[2] .

وبمرور الوقت ازدادت الحركة الاستشراقية تنظيما واتساعا، وشعر العديد من روادها بضرورة وجود رابط يجمع أعضاء هذه الحركة، وتم لهم ذلك عندما عقد أول مؤتمر للمستشرقين في باريس عام(١٧٨٣م)، وتدارس فيه المستشرقون خططهم وأعمالهم وتنظيم جهودهم؛ بغية

(١) انظر: سعد، الاستشراق، ٢٢١- ٢٢٢.

(٢)سعد: الاستشراق، ٢٢٣- ٢٣٤. ولعل أبرز الأعمال الاستشراقية التي وقف عندها فقه اللغة هو كتاب تاريخ القرآن لنولدكة. انظر: مقدمة الترجمة العربية للكتاب ١٤- ١٩.

الوصول إلى أهدافهم المنشودة، وأخذت الحكومة تنفق الأموال الطائلة على أبحاث المستشرقين، وترصد الميزانيات والتهيئات التي يعملون من خلالها[1] ولا شك أن المؤسسات الاستشراقية بشكل عام، والفرنسية بشكل خاص، كانت مع نشوب الحرب العالمية الأولى والثانية مرتبطة تمام الارتباط مع توجهات الاستعمار الغربي للشرق[2].

ثانيًا- أبرز ملامح الاستشراقي الفرنسي:

تأثرت الحركة الاستشراقية الفرنسية منذ بدايتها بجملة من العوامل التي حددت هويتها المختلفة عن باقي المدارس الاستشراقية الأوربية، ولا سيما مع نرجسية الشخصية الفرنسية وغرورها، وادعائها المركزية الثقافية، وولادة ما يسمى بـ(عصر الأنوار) فيها، وأيديولوجيتها الدينية المتزمتة؛ فهي حصن الكاثوليكية وابنت الكبرى للكنيسة[3].

من ناحية أخرى كانت فرنسا ترى نفسها الوريثة الشرعية لروما والعالم اللاتيني، والتواة التي حملت التراث الإغريقي والروماني والمسيحي على حد سواء، وكان حلم إعادة أمجادها الغابرة غالبًا ما يراود عقلية الفرد الفرنسي[4]. يضاف إلى ذلك الشعور النفسي الأوربي (الغربي) بشكل عام، والفرنسي على وجه الخصوص بالتفوق العرقي على الشعوب الأخرى؛ وبالتالي النظرة إليها بنظرة دونية من ذات حاكمة أعلى وأرقى إلى ذات محكومة أدنى[5].

---

(1) انظر: الرادي، ظاهرة انتشار الإسلام، 96.

(2) انظر: سلمى حسن، التطور التاريخي للاستشراق الفرنسي حتى القرن العشرين، مجلة الكلية الإسلامية الجامعة، مجلد2، العدد5 لعام 1429هـ/2008م، ص207-204.

(3) انظر: النصراوي وشهد كريم، الاستشراق الفرنسي وأبحاث الموسوعة لقاء الاستشراق والمستشرقين، بحث منشور في مجلة دراسات استشراقية، العدد4 لعام1436هـ/2015م، ص1-95.

(4) انظر: دلالة وجيه، الاستشراق والاختراق الثقافي للعالم الإسلامي خلال القرن 19م، بحث منشور في مجلة جوانات التاريخ والجغرافيا، العدد 12 لعام 1428هـ/2017م، ص185.

(5) انظر: سعيد، الاستشراق، 46؛ نعيمة عن الاستشراق، 26؛ الترجمة الكريمة: الاستشراق الفرنسي، 94.

ولعل هذا ما ينبي به عبارة المستشرق (*Maxim Rodinson* = مكسيم رودنسون)[1] حين قال: **أن النظرة المسبقة لدى المستشرق موجودة شئنا أم أبينا، موجودة بشكل جبري ولا نستطيع التخلص منها. بل هي السمة المميزة للدراسات الاستشراقية عن الدراسات التي يقوم بها أبناء البلدان الشرقية لحضارتهم؛ لأن المستشرق ببساطة ينتمي لحضارة أخرى غير الحضارة التي يدرسها**[2].

وأكد مؤرخ حركة الاستشراق المعاصر (ريتشارد سوذرن) بأن المعرفة لا تعني بالضرورة تصحيح الصورة السائدة، ذلك أن اللاهوتيين الأوروبيين لم يكونوا يسعون لمزيد من التعرف على الإسلام، بقدر ما كانوا يقترحون وسائل لمواجهته والقضاء عليه حربا أو سلما، وهدف كهذا لا يحتاج لمعلومات كثيرة، بل ربما كانت المعلومات التراكمية هنا في غير مصلحة الهدف[3].

وعلى أية حال كان لأسبقية فرنسا في تحقيق النهضة الأوروبية على الأفكار القرو وسطية، وبدء عصر الأنوار وظهور كوكبة من العلماء والأدباء والمفكرين الأوربيين، أثر كبير في اهتمامهم بعلوم الشرق ومنها علوم الإسلاميات، وقد تواصل هذا الاهتمام وبدأ يتخلص من الأفكار القديمة بمرور الزمن، ولا سيما مع ظهور تيارات الفلسفة الوضعية، وتيارات الحداثوية وما بعدها، وهذه العوامل مجتمعة شكلت الأيديولوجية الفكرية للاستشراق الفرنسي بشكل عام[4].

ومع ذلك يبقى العامل الأبرز في دفع عجلة الاستشراق الفرنسي هو الاستعمار الفرنسي لمصر وبلاد الشام وشمال أفريقيا، فقد كان المستشرقون في طلائع الجيش الفرنسي، ونجاوز

---

(١) مستشرق فرنسي ولد في باريس عام(١٩١٥م)، وحصل على الدكتوراه في الآداب واللغات الشرقية الحديثة، وعمل في مناصب عدة، ولد العديد من المؤلفات، منها: جهود فرنسا الأثرية في الشرق، ومحمد والإسلام والرأسمالية، ومحمد، وسر تقدم والرعب العربي، والماركسية والعالم العربي. توفي عام ٢٠١٤م. انظر: يحيى مراد، معجم،٣٩٤-٣٩٦.

(٢)انظر: الجابري، تفكيك الاستشراق ،١١-١٢.

(٣)انظر: سوذرن،صورة الإسلام ، ٢٣.

(٤) جورافسكي، الإسلام والمسيحية ،٨٦-٨٨؛ كرمو، الاستشراق الفرنسي ،٩٦.

عددهم في حملة نابليون على مصر (١٠٠) مستشرق يعملون كمستشارين لفرنسا في شؤون الشرق[١]. وهكذا فتحت أبواب الشرق للدراسات الغربية خدمة لمصالح الاستعمار، وإعداد البحوث والدراسات عن المنطقة الشرقية[٢]، والاتصال مع الشرق بشكل مباشر وعملي، والتعرف عليه عن كثب وبأحواله شتى، فأعدوا التقارير والخرائط، وتأسست على أيديهم الجمعيات الجغرافية الاستشراقية[٣].

وقد استمرت الظاهرة الاستشراقية بعد الحرب العالمية الثانية، تسير على نفس النهج الاستعماري، على الرغم من الدعوات المستمرة لتحريرها من التعصب الديني والارتباط بالمشاريع السياسية[٤]. ولكن الواقع كان على خلاف ذلك تماما، فقد كان المستشرقون المبشرون يرسلون بواسطة الجمعيات التبشيرية المعدة لهذا الغرض[٥]، ويعملون على تحقيق المصالح الاستعمارية والتبشيرية في المنطقة، بما فيهم من ضباط عسكريين، وحكام مدنيين، ورهبان وغيرهم[٦].

ولعل من أشهر المستشرقين الفرنسيين ارتباطا بالمصالح الاستعمارية(الفرنسية- الكنسية) في العصر الحديث هو المستشرق والمبشر(*Ch .de Foucauld* = شارل دي فوكو)[٧]، عبر الدور

---

(١)انظر: لصب بن إبراهيم، الاستشراق الفرنسي وتعدد مهامه قراءة مختصرة،١٣٢-١٣٣.

(٢)انظر: الريادي، ظاهرة انتشار الإسلام،٨٥.

(٣)انظر:ياسي، نقد الخطاب ،٥٧.

(٤)انظر:الريادي، ظاهرة انتشار الإسلام ،٧٥.

(٥)انظر: لوشاتلي، الغزو على العالم الإسلامي،١٨.

(٦) ناصر الدين سعدوني ،المسألة الثقافية في الجزائر،٧٦-٧٧.

(٧) راهب ومبشر كاثوليكي فرنسي. ولد عام١٨٥٨م، وهو صاحب كتاب(التعرف على المغرب). عمل ضابطا ورحالة مستكشفا عرف بالطوارق في الجزائر، وكان لا يحلم فقط بتنصير المسلمين واليهود والمسيحيين المنحرفين، بل كان يريد تنصير الفرق الأخرى كلها فدفع حياته ثمنا لذلك. وكان قتله على أيدي عرب الصوامع عام١٩١٦م) خدمة كبرى للفرنسيين وللعالم الكنسي في أوربا. انظر: كمال بن صحراوي. حركة التنصير في الجنوب الجزائري جهود شارل دو فوكو أنموذجاً،بحث منشور في مجلة الجزائر للدراسات التاريخية والأثرية-الجزائر. المجلد ٣ العدد ١ السنة= =(٢٠٢٠م)،٢٦٣-٢٦٩؛ محمد كرد علي: صورة المغرب في مرآة الرحلة الكولونيالية- شارل دو فوكو أنموذجا،بحث منشور في مجلة معارف تاريخية ،المجلد الأول. العدد١٤٤هـ ٢٠١٩م،٧٠- ٨٥

الـذي أداه فـي خدمـة المصـالح الاسـتعمارية الفرنسـية فـي الجزائـر [1]. والمستشـرق والمبشـر اليسوعي (*Henri Lammens* = هنري لامنس)، الذي كرس كل جهوده لتحقيق الطموحات الفرنسية والتبشيرية في منطقة بلاد الشام[2].

و على الرغم من إنكار ماسينيون للخطاب التبشيري، يرى بعض المؤرخين بأن له دوراً في هذا المجال لا سيما مع تمنياته بتوحيد الجهود لجعل المسلمين الذين يؤمنون بنبوة عيسى بأن يعتقدوا من جهة أخرى أنه ابن الله[3] . ويذكر أنه قال في أحد اجتماعات المبشرين المسيحيين: لقد خربنا كل ما لدى المسلمين. لقد قضينا على عقيدتهم وأخلاقهم، وارتباطهم بدينهم. ومشاعرهم الإنسانية ، لقد صهرنا قيمهم الوطنية والمعنوية في بوتقة الحضارة الغربية. وجعلناهم يشبهوننا. وأبعدناهم عن الإسلام، لقد نجحنا في جعل تعلم الإسلام، وتعلم القرآن، وإقامة الصلاة تبدو وكأنها جرائم ورجعية. لقد أصبح معظمهم لا يؤمنون بشيء، وقد قمنا في السنوات الأخيرة بدفع بعض دارسي الشريعة المتظاهرين بالإسلام إلى مناقشة دينهم وعقائدهم وعباداتهم التي مضى عليها أربعة عشر قرنا. ودفعنا بها إلى هاوية سحيقة. ومن الآن فصاعدا سيصبح عملكم أكثر يسرا وسهولة، قوموا بتنصير المسلمين. سواء بمنحهم رواتب، أو بإعطائهم تأشيرات سفر. أو بتوفير فرص عمل لهم في الخارج. أو حتى باستخدام الفحشاء[4]. ومع أنه كان عضوا في المجمع اللغوي المصري، والمجمع العلمي بدمشق. إلا أنه عدّ الراعي الروحي للجمعيات التبشيرية الفرنسية في مصر[5] .

(١) انظر. الجوهري، الاستشراق الفرنسي . ١٠٩ .

(٢) انظر. توتال، الأب هنري لامنس ١٦٣؛ العقيقي: المستشرقون، ٣ ٧٩٣-٧٩٥؛ بدوي. موسوعة ٥٠٣.

(٣) انظر. فروخ، التبشير و الاستعمار، ٨١

(٤) انظر. الزيني،لويس ماسنون،٩٨-٩٩.

(٥)انظر: المدني، الحجة المكرمة ١٦٠.

وبصفة عامة كان أغلب المستشرقين الفرنسيين هم بالأصل إما دبلوماسيين أو عاملين في الشرق، أو من المقيمين فيه، ومن المرتبطين بمشاريع السياسة الفرنسية في الشرق، فإضافة لما سبق، كان المستشرق الفرنسي(*Paul Casanova* = بول كازنوفا ١٨٦١–١٩٣٦)، قد ولد في الجزائر، ومن ثم سافر إلى باريس عام (١٨٧٩م)، وتعلم بمدرسة اللغات الشرقية الحية اللغة العربية، وعلمها فيما بعد في المعهد الفرنسي، وعين أميناً لقسم النقود الشرقية، ثم مدرساً للعربية وآدابها بجامعة فرنسا عام (١٩٠٩ م)، وزار مصر ثلاث مرات: الأولى عام (١٨٨٩م) وبها كتب بحثاً عن (قلعة القاهرة)، والثانية خلال المدة (١٨٩٢–١٩٠٩م) بوظيفة مساعد مدير المعهد الفرنسي للآثار الشرقية، والثالثة عام (١٩٢٥م) منتدباً لتدريس الأدب العربي وفقه اللغة في الجامعة المصرية، ومعظم آثاره منشوره في المعهد الفرنسي في القاهرة، وتوفي فيها بعد سنة واحدة. ومن أهم آثاره: اشتراكه في تحقيق كتاب (الخطط للمقريزي) وترجمته، وتأليفه كتاب(إعادة تخطيط مدينة الفسطاط)في جزأين عام(١٩١٦م)، وكتاب (محمد وانتهاء العالم) في باريس عام(١٩١٠ م)[١].

وكذلك الحال بالنسبة للمستشرق(*Évariste Lévi-Provençal*=ليفي بروفنسال ١٨٩٤–١٩٥٦)، فهو الآخر قد ولد في الجزائر، ودرس في جامعتها، ثم التحق في خدمة الجيش الفرنسي في الحرب العالمية الأولى، وانيطت به مهمة ادارية بالقرب من المغرب فكان لها أثر في تحديد مساره في الانكباب على الدراسات الإسلامية، ومن أهم كتبه(تاريخ اسبانيا الإسلامية) الذي صدر ثلاث مجلدات، وله أبحاث وتحقيقات أخرى كثيرة[٢].

ومع أن المستشرق الفرنسي(*Blusher* = بلاشير ١٩٠٠–١٩٧٣)، قد ولد في باريس، إلا أنه سافر مع والدته إلى المغرب في عام١٩١٥، ودرس في المدارس الفرنسية في الدار البيضاء، وعين أستاذاً في معهد مولاي يوسف في الرباط، ثم عين أستاذاً في مدرسة اللغات الشرقية في كرسي الأدب العربي باستدعاء منها، وبعد أن نال الدكتوراه عين أستاذاً محاضراً في السوربون، ومن ثم

(١) الحفني: المستشرقون،١ ص٢٢٥.

(٢) بدوي: موسوعة،ص٥٢٠–ص٥٢٢.

مديراً للدراسات العليا، ومشرفاً على مجلة المعرفة التي تصدر باللغتين الفرنسية والعربية، ومن أهم آثاره دراسته عن القرآن وترجمته في ثلاث أجزاء، و(تاريخ الأدب العربي١٩٤٩)[١].

ولعل من أبرز المستشرقين الفرنسيين الذين أقاموا في الشرق، وتأثروا بمنهج ماسينيون وطروحاته في حقل الإسلاميات على وجه الخصوص، فضلاً عن الصداقة التي كانت تربط بينهما هو المستشرق *Henry Corbin*= هنري كوربان ١٩٠٣– ١٩٧٨، وقد ولد لأسرة بروتستانتية في اقليم نورماندیا شمال فرنسا، وأتقن عدة لغات منها اللاتينية، واليونانية، والألمانية، والروسية، والعربية، والفارسية، وعُرف بنزعته الصوفية، واهتمامه بميدان التصوف والفلسفة الإسلامية، وكان حريصاً على حضور محاضرات لويس ماسينيون في المدرسة العملية للدراسات العليا، إذ درس الفلسفة والتصوف الإسلامي في السوربون، متأثراً بمحاضرات أستاذه ماسينيون، وقد ربطت بين الاثنين علاقة قوية بدأت منذ عام(١٩٢٨م)، وقاما بعدد من المشاريع المشتركة، وتبادل المخطوطات بينهما، وتولى ماسينيون نشر وتحليل وترجمة العديد من أعماله، ومن أهم كتبه، كتاب (الإسلام الإيراني مشاهد روحية وفلسفية للإسلام في الإطار الإيراني١٩٧٩م) [٢].

وهكذا كانت ابرز ملامح الاستشراق الفرنسي أنه كان حاضراً على الدوام في الشرق، عبر مستشرقيه الذين كانوا على تماس مباشر بالمجتمعات الشرقية والإسلامية.

(١) بدوي: موسوعة ١٢٧٠؛ العقيقي: المستشرقون ١/ ٣١٧–٣١٨.

(٢) بدوي: موسوعة ، ٤٨٢– ٤٨٥؛ *Ollivry:Louis Massignon , Louis Massignon et la mystique, pp.304-313.*

الفصل الأول

لويس ماسينيون وأثره في تطوير مباحث الاستشراق الفرنسي ودراساته

المبحث الأول

لويس ماسينيون، حياته، وتكوينه المعرفي، واهتمامه بالتصوف

أولًا- لويس ماسينيون= *louis Massignon* حياته وتوجهه نحو الاستشراق:

أبصر ماسينيون النور في(٢٥تموز/١٨٨٣م) في ضاحية(نوجنت سورمان)[١] ، على ضفة نهر المارن شرقي باريس[٢].

ينتمي ماسينيون لأسرة فرنسية مرموقة من مقاطعة(الفيسكان) الفرنسية، المشهورة بطابعها الفرنسي المحض، والكتلكة الصلبة، ووالدته هي السيدة(ماري هوفن)إحدى النساء الكاثوليكيات الورعات، أما أبوه فهو فنان فرنسي(نحات ورسام) اتخذ له أسما فنيًا مستعارًا في عالم الفن هو(بيير روش)[٣].

أكمل ماسينيون دراسته الإعدادية في مدرسة(مونتين)، وانتقل منها إلى ثانوية(لويس الكبير) أو(*Louis le Gran* =ليسيه لوي لوجران) في باريس، وهي من أبرز المدارس الثانوية في فرنسا كلها، ومخصصة لإعداد الطلاب لدخول المعاهد العليا، وقد تعرف خلال هذه المرحلة على(هنري ماسبيرو)، الذي سيصبح فيما بعد عالمًا في الحضارة الصينية[٤].

وفي الرابعة عشرة من عمره عمل ماسينيون وبالتعاون مع أصدقائه في الثانوية على اصدار مجلة صغيرة سموها (نحلة فرنسا)[٥]، وفي عام(١٩٠٠م) دخل ماسينيون جامعة باريس ونال شهادة

---

(١) ولد ماسنون في بيت يقع على موقع تاريخي شهير، اذ يقع منزل عائلته على أنقاض القصر الملكي، الذي شيده الملك الفرنسي(شارل الخامس١٣٣٨-١٣٨٠م) بن هذه الضاحية وبين غابة(فانسين) والتي أصبح بعد ذلك المكان المفضل لاستراحة ورئة الملك(شارل التاسع١٥٠٣- ١٤٦١م)، والذي أهداه بدوره إلى محظيته(آنس سوريل). وكان جدة الاصغر لاي: *Ferdinand Charles Massignon*= فرديناند تشارلز ماسنون) قد اشتراها وباعها عام(١٨٨٣م) انظر: محيي يوسف الكلاني، بمناسبة مرور مائة عام على ولادة المستشرق العالم لويس ماسنون، بحث منشور في مقالات مجلة الموقف الأدبي، العددان ١٥٥-١٥٦، آذار-نيسان ١٩٨٤م، ص ١٩٠.

(٢) انظر: بدوي، موسوعة المستشرقين،٢٩٠؛ لحقفي: المستشرقون،٢٨٧.

(٣)انظر: الكلاني، بمناسبة مرور مائة عام ،١٩٠.

(٤) انظر: الكلاني، بمناسبة مرور مائة عام،١٩٠؛ بدوي، موسوعة ،٣٠٠.

(٥)انظر: عبدالرزاق الاصفر، ماسنون ما له وما عليه، بحث منشور في مجلة التراث العربي، المجلد٢١، العدد٨٣-٨٤ لعام١٤٢٢هـ ٢٠٠١م، ١٨٥.

الآداب والفلسفة عن دراسته(*La Langue d'Honoré d'Urfé* =مفردات الحب عند أونوريه أوروفا)، وفي عام(١٩٠٦م) حصل على شهادة في قسم الرياضيات، وهذا ما يفسر ولعه بالرياضيات طيلة حياته[١]. ويبدو أنها شهادة فخرية أو رمزية كغيرها من الشهادات المتتابعة التي حصل عليها في السنوات اللاحقة.

سافر ماسينيون إلى المغرب والجزائر عام(١٩٠٤م)، وأعدّ بحثًا بعنوان(*Le Maroc dans les premières années du XVIe siècle : tableau géo graphique d'après Léon l'Africai* =لوحات جغرافية من المغرب خلال السنوات الخمس عشرة الأولى في القرن السادس عشر وفق ليون الأفريقي)، وحصل فيه على دبلوم الدراسات العليا من جامعة السوربون في باريس(١٩٠٦م)، ودرس على يد المستشرق(*Alfrred Le Chatelier*= ألفرد لو شاتليه)[٢] الحضارة الإسلامية من الناحية الاجتماعية[٣].

ارتبط ماسينيون بالجزائر بالذات؛ لوجود روابط قديمة بين بعض الجزائريين وأفراد عائلته، وكان لهذه الرحلة دور كبير في تعلمه العربية، بعد أن تعرضت قافلته لهجمات البدو، وقيل أن مترجمة قد تآمر عليه؛ فكرس نفسه لتعلم اللغة العربية بعد عودته إلى باريس، وحصل على شهادة الدبلوم فيها من مدرسة اللغات الشرقية الحية عام(١٩٠٦م)[٤].

---

(١) انظر:بدوي، موسوعة ،ص٣٠؛ ادب عامر: ماسنون المستشرق والانسان ابحث منشور في مجلة الإحياء العربي للعلوم الانسانية ،العدد٣٢لعام ١٤٠٢هـ ١٩٨٢م، ص٣٥١-٣٥٢.

(٢) مستشرق فرنسي ولد عام(١٨٥٥م)، واهتم بالأوضاع الاجتماعية والسياسية في العالم الإسلامي. وعلى وجه الخصوص الإسلام في منطقة افريقية والمغرب العربي، كلف برئاسة البعثة العلمية في مراكش(١٩٠٥م) لإنشاء مجلة العالم الإسلامي، التي أشرف على اصدارها تلميذه لويس ماسنون، وتولى كرسي عنه الاجتماع الإسلامي في الكوليج دي فرانس، وخلفه من بعده أيضا لويس ماسنون، توفي لو شاتليه عام(١٩٢٩م)، ومن اهم مولفاته: الإسلام في القرن التاسع عشر، والإسلام في افريقية الغربية، و الطرق الصوفية الإسلامية في الجزائر .انظر: بدوي، موسوعة،ص١٧.

(٣) انظر:بدوي، موسوعة المستشرقين،ص٣٠؛ جورافسكي. المسيحية والإسلام،١٠٢.

(٤) *Angelie: Écrits Memorables ,vole1,p.I-XXXVIII*. علي بدر: ماسنون في بغداد . ٧٣.

بدأ ماسينيون نشاطه الاستشراقي بعد مشاركته في المؤتمر الدولي (الرابع عشر) للمستشرقين في الجزائر عام(١٩٠٥م)، ولقائه هناك بكبار المستشرقين أمثال جولدسيهر[١]، وبلاشير، وشتاليه أستاذهُ في الاستشراق[٢]، ومن ثمَّ مكنته معرفة اللغة العربية من التعرف على علوم الشرق والإسلام، كما ساعده على ذلك انتخابهُ في عام(١٩٠٦م)عضواً في المعهد الفرنسي لعلم الآثار في القاهرة، فتابع دروسه في الجامع الأزهر عام(١٩٠٩م)[٣].

ومثل عام(١٩٠٨م)تغييراً جذرياً في حياة ماسينيون بعد اطلاعه على سيرة الحلاج التاريخية، فكان ذلك بمثابة لحظة صوفية غامضة أثرت على مجرى حياته في شتى النواحي وعلى وجه الخصوص الجوانب الروحية وتوجيه طبيعة دراساته فيما بعد[٤]، وقد عمل ماسينيون بين عامي(١٩٠٧–١٩٠٩)في التنقيب عن الآثار في العراق، وتعرف خلالها على كرم الضيافة العربية في بغداد، التي حظي بها خصوصاً عند أسرة آل الآلوسي[٥]. وكان من ضمن البعثة الفرنسية التي عملت في التنقيب عن آثار(قصر الأخيضر) أو(تسدير)، و تمخض عنها إعداده مخطط لبغداد في القرون الوسطى في مؤلفه الصادر عام(١٩١٠م)، بعنوان(*Massignon en Mesopotamie* = بعثة إلى بلاد وادي الرافدين)[٦].

---

(١) مستشرق مجري ولد لأسرة يهودية عام(١٨٥٠ م)، ودرس في بودابست، وبرلين، وجامعة ليبتسك، وحصل على الدكتوراه فيها عام(١٨٧٠م)، عين خارج يهودي للتدريس في العصور الوسطى، زار عدد من البلدان والمناطق العربية والشرقية، ثم عاد الى بودابست ليعمل بعض الساعات هناك وليتكفف على التأليف وتدريس اللغات السامية، اهم مؤلفاته الظاهرية مذهبها وتاريخها، ودراسات اسلامية بجزأين، محاضرات في الإسلام او العقيدة والشريعة في الإسلام، اتجاهات تفسير القرآن او مذاهب التفسير عند المسلمين . انظر:بدوي، موسوعة ،١٩٧–٢٠٣.

(٢)انظر: ساسي، نضد الخطاب ،٢٠٥، ٢٠٥؛ سربي سلمان،مورد آراء المستشرق ماسنيون مورد راء المستشرق لويس ماسنيون من كتب السنة وتقدمه دراسة وصفية تحليلية نقدية (رسالة ماجستير غير منشورة) قدمت الى مجلس كلية الدعوة واصول الدين، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة،١٤٣٦، ٢٠١٥م ، ٤٦.

(٣) انظر: الكلاني، مجلة مرور مائة عام،١٩٧؛ الربعي، لويس ماسنيون،١٥.

(٤) انظر: بدوي،موسوعة ،٥٣٠–٥٣١ .

(٥) انظر: الربعي، لويس ماسنيون،١٦.

(٦) انظر: جورافسكي، الإسلام والمسيحية،١٠٥.

أتهم ماسينيون الذي كان يرتدي زي ضابط عثماني، بمؤامرة ماسونية[1]، وأعتقل بتهمة التجسس ضد السلطات العثمانية، فبذل(آل الآلوسي) جهودا كبيرة لإخراجه، ويرجح علي بسر تعرفه حينها على الحلاج وسيرته[2]. بينما صرح ماسينيون نفسه في مناسبات عدة بأنه تعرف على الحلاج عن طريق صديقه الإسباني المنحرف(*Diquadora*= دي كوادورا)، الذي سلمه كتاب(فريد الدين العطار) الشاعر الصوفي ، وحدثه عن سيرة الحلاج التاريخية، وعذابات الصليب المشابهة للمسيح التي تعرض لها، فأثار الحلاج منذ ذلك الحين اهتمامه وشغفه[3].

وخلال رحلته تلك زار ماسينيون العديد من المناطق في العراق، ومنها مشاهد الشيعة في النجف والكوفة وكربلاء، ومرقد(سلمان پاك)، الذي نال اهتماما واسعا من قبله، وبقايا إيوان كسرى وغيرها من الأماكن[4].

في نهاية عام (١٩٠٨م) حضر المؤتمر الدولي للاستشراق في(كوبنهاجن)، وتعرف عن خلاله على(شارل دي فوكو)، وربطته به علاقة صداقة قوية استمرت حتى وفاة الأخير[5]، ومن ثم عاد ماسينيون عام(١٩٠٩م) إلى جامع الأزهر، وبدأ بالإعداد لأطروحته عن(الحلاج)، ونال بها شهادة الدكتوراه من السوربون عام(١٩٢٢م)،وعينته الجامعة المصرية أستاذا للتاريخ والفلسفة للمدة(١٩١٢–١٩١٣م)، قام خلالها بالعديد من الرحلات إلى الحجاز وبيروت وحلب ودمشق و

---

(١) حركة صهيونية يرعم أصحابها بأنها رسالة دينية تعمل على توحيد اليهود في العالم. وتبني أفكارها وشعاراتها اليهودية. ينظر: عبد الوهاب المسيري، موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، ١١٩٣–١١٩٦.

(٢) ينظر: ماسينيون في بغداد، ٧٥.

(3) *Ollivry :Louis Massignon, P.201*.

(٤) ينظر: علي ثابت، لويس حياته وأعماله: مقال منشور في مجلة اللغة والأدب، العدد٩ لعام١٤١٧هـ ١٩٩٦م، ١٨٥؛ حسني سيح، خرائط وصور أخرى غير ذي أهمية، ذكرى مستشرق، بحث منشور في مجلة مجمع اللغة العربية، مج٥٩، العدد٣، ١٤٠٤هـ ١٩٨٤م، ٤٤٩.

(٥) ينظر: حسين عبد، قراءة جديدة لآلام ماسينيون، ٣٦٩.

الأستانة[١]. وفي عام (١٩١٣م)تزوج ماسينيون من ابنة عمه(مارسيل)، وبارك القطران (اليفناك تيون) زواجهما باسم (شارل دي فوكو)[٢].

برز ماسينيون في الحرب العالمية الأولى كساع لتسويغ الهيمنة الفرنسية الاستعمارية على الشرق؛ تسلمه عدد من المناصب في السلك العسكري السياسي الفرنسي، إذ كان مستشارا لوزارة المستعمرات الفرنسية في شؤون شمال أفريقيا، ومستشارا لـ(جورج بيكو)في اتفاقية(سايكس – بيكو)، وعين مترجما للمندوب السامي الفرنسي في سوريا وفلسطين بين عامي(١٩١٧–١٩١٩م)[٣]، وساهم في التخطيط للثورة العربية عام(١٩١٦م) حيث انهمته مجلة جامعة الأزهر (مجلة الأحزر) بمساعي استعمارية في المنطقة ودخوله الركب كعميل في خدمة المصالح الفرنسية مع(اللورانس العرب)[٤] ، وبالرغم من التنافس بين هاتين الشخصيتين، إلا أن الشعور بالخيانة من قبل الدول المنتصرة سيطر على كلاهما، حيث بين ماسينيون أسفهما تجاه العرب، وأنهما كانا يعتقدان أنهما عملا لتحقيق العدالة أو مملكة الله[٥].

---

(١)انظر: نذير حمدان، مستشرقون ساسوا ،١٩٤، الكلابي: بمناسبة مرور مائة عام،١٩٢.

(٢)انظر: الربعي، لويس ماسنون،١٩.

(٣)انظر: سلمان، موارد، آ، ماسنون،٤٤-٤٥.

(٤) مستشرق وساسي بريطاني ولد عام(١٨٨٨م)، وتلقى تعليمه في أكسفورد. ثم التحق بالجيش الملكي بعد اندلاع الحرب العالمية الأولى، وبلغ رتبة مقدم في الجيش، وعمل في سلاح الطيران الملكي، من أشهر مؤلفاته: أعمدة الحكمة السبعة، وتجربة في الصحراء العربية، و انقلاب العصا. انظر: لورنس، أعمدة الحكمة السبعة،٥،المترجم؛ يحيى مراد: معجم المستشرقين، ٦١٩ ، انظر : . *Belames , t The writings of muhammad hamidullah in French trends and novelties Islamicus , Islamic Economics Institute , King Hamdard Islamicus , 67, Vol.XL, No.4 , Abdulaziz University , Jeddah, Saudi Arabia . , P . 71*

(5) *Krokus:Louis Massignon's influence on the teaching,P.47.*

وأبدى ماسينيون مساندته للحركة الصهيونية في بداياتها، ودعا للمصالحة بين العرب وإسرائيل، فقال: **أرى أن على الأشقاء أن يجدوا سبيلاً للمصالحة، إذ إن كلا الفريقين – إسرائيل والعرب – يملكان شهادة داخلية للإدلاء بها، أنها شهادة لغتهما التي هي لغة مقدسة، فضلًا عن أنها أداة بحث علمي مجرد، لقد كتبت النخبة اليهودية وفكرت باللغة العربية خلال العصور الوسطى بكاملها**[1] . وهذا ما جعل البعض يصفه بالإمبريالية الاستشراقية، وأنه يسعى لخدمة المصالح الاستعمارية في الأراضي الإسلامية[2].

فيما بعد تأثرت حياة ماسينيون بالتقلبات التي سادت حياته، والازدواجية الاعتقادية بين شعوره الديني وواجبه السياسي، إذ وقف لمناصرة الشعوب المستعمرة والمطالبة بحريتها في شمال أفريقيا والجزائر مع استمراره في العمل السياسي[3]، وساهم مع الجزائريين في ثورتهم لتحرير الجزائر والمغرب، وبين عدائه للصهيونية، والنزعة المادية، التي تنادي بها من خلال مقالاته في الصحف الفرنسية وغيرها[4]. وعبر عن تعاطفه مع القضية الفلسطينية، واللاجئين العرب، وإدانة الحركة الصهيونية بعد ازدياد الهجرات إلى فلسطين واضطهاد العرب فيها، ودعا إلى التعايش السلمي بين الديانات الثلاثة (اليهودية والمسيحية والإسلام)على أساس العدل، والمصالح المشتركة بين الشعوب، ومن خلال التواصل الثقافي والاجتماعي والإنساني[5].

أنتخب ماسينيون عام(١٩٢٤م) عضوًا في الجمعية الآسيوية الملكية في لندن، وعضوًا في أكاديمية العلوم السوفيتية، وأرسل في بعثة مرة أخرى إلى العراق وسوريا عام (١٩٢٨م)، حيث جدد زيارته لقبر(الحلاج) في بغداد، وفي عام(١٩٣٣م)، عين عضوًا في مجمع(فؤاد الأول) للغة

---

(١)انظر: جامع الزهر، العسكرة الاستشراقية، ٥١.

(٢)انظر: فروخ، التبشير والاستعمار، ٨١، ٨٨، المغذاني: الإسلام وشبهات المستشرقين، ١٩٢.

(٣)انظر: المقفي، المستشرقون، ١ ٢٧٩.

(٤)انظر: الكيلاني، مجلة مرور مائة عام،١٩٥.

(٥) انظر: احمد عبد الحسيب،العرفي والسياسي صورة ماسنون ،ضمن كتاب في قلب المشرق،٢٨٧.

العربية في القاهرة، وشارك مع(ماري كحيل)[1] في تأسيس جماعة(البدلية) عام(١٩٣٤م)[2]، التي سنأتي على الحديث عنها لاحقًا، كما عُين في عام(١٩٣٣م) مديرًا في أكاديمية القاهرة العربية حتى عام(١٩٦٠م)، وأنتخب رئيسًا لمعهد الدراسات الإيرانية في عام (١٩٤٧م)، وأسس في ذات السنة الجمعية الفرنسية الإسلامية[3].

وفي كانون الثاني من عام(١٩٥٠م) نُصب بشكل رسمي بمنصب(كاهن كاثوليكي) في القاهرة، وانتقل بشكل قانوني إلى المذهب الملكي اليوناني الكاثوليكي، وبقي على دعمه لجماعة (البدلية) ومنزل كحيل، والمشاركة في الحوار عن طريق الصيام الخاص، والصلاة، والدعاء، والحج المشترك[4].

وفي عام (١٩٥٢م) زار الولايات المتحدة الأمريكية، وألقى ثلاثين محاضرة فيها، كما قام عام(١٩٥٣م) بزيارة محج غاندي في مهرولي، وأسس جمعية فرنسا المغرب، وأنتخب عام(١٩٥٤م) رئيسًا للجنة الدائمة للعفو عن السياسيين، وترأس رابطة أصدقاء غاندي، وشارك في مؤتمرات عدة بعد إحالته للتقاعد عام(١٩٥٤م)، كان آخرها المؤتمر الدولي العشرين للمستشرقين الذي أنعقد في موسكو[5].

بقي ماسينيون في بحث دائم عن المعرفة وعلى اهتمام متواصل بها حتى وفاته، ومن الجدير بالذكر أنه توفي بالتحديد الدقيق في ليلة(٣١ تشرين الأول:١٩٦٢م) إثر نوبة قلبية حادة، وصادفت

---

(١) ولدت عام١٨٨٩م،الأب سوري مسيحي تركي وأم المانية، وكان والدها أرثر ورعة كثيرة في مصر. وعمل لصالح الحكومة، فسافرت هي مع بعض الراهبات في القاهرة وبيروت، وسافرت الى أوربا. وتعلمت عدة لغات، واستقرت في القاهرة، وشاركت بساحات سورية ودينة متعددة، وأصبحت تلميذة لماسينون في الحوار الإسلامي المسيحي، وتوفت عام١٩٧٩م. أنظر: سوزان طه حسين: معك، هامش رقم:٢: ٢٨٦– ٢٨٧.

(٢) الأصفر: لويس ماسينون حياته وأعماله١٨٨٣-١٩٦٢م، المرجع السابق، أنظر: فرانسيز جيفنه، الأم والبدية والذر المعذار، لفكرة لويس ماسينون ، ضمن كتاب في قلب الشرق، ٢٩-٤٥.

(٣) أنظر: الربعي، لويس ماسينون،٢٢-٢٣.

(4) *Borrmans: Massignon, Jésus et Marie, Hallâj et Fâtim, Islamochristiana , UNiversity Platform for research on Islam, vol. 36 , 2010 , P.3.*

(٥)أنظر: الربعي، لويس ماسينون،٢٤.

وفاته ليلة(عيد جميع القديسين) أو(عيد الأموات)في المسيحية، والذي طالما رغب بالاتحاد معهم، أو الاجتماع بهم[1].

ثانيًا- تكوينه المعرفي واتجاهاته الروحية:

إلى جانب التعليم الأكاديمي الذي حصل عليه ماسينيون، وما يحمله من صور مغايرة لحقيقة الشرق ودين الإسلام، كانت هناك جملة من المنعطفات التاريخية التي أثرت على أيدولوجيته، وبناءه الروحي.

تأثر ماسينيون منذ بدايات حياته بتيارين مغايرين في البيئة الفكرية التي ولد فيها؛ من جانب والدته الكاثوليكية الورعة، التي كانت تؤدي صلواتها بشكل دائم للمسيح[2]. ومن جانب والده(بيير روش)، الذي درس الطب وعلم التشريح، وتخصص بالرسم والنحت، وتأثر بالتراث القديم اليوناني والروماني[3]، وعمل تحت اشراف الفنان الفرنسي المشهور (جان دالو)فكان علمانياً مادياً في الغالب، وقد أشار ماسينيون في إحدى رسائله للأب(أنستاس الكرملي)، أن والده قام بنحت مجسم نصفي للروائي الفرنسي(كارل ويسمان)[4] ، رفيقة وصديقه المقرب[5]، وأعد عام(١٨٩٠م) نصبًا يمثل الفروسية والشخصية المحاربة لتخليد القديسة الفرنسية(جان دارك)، التي

---

(١)انظر: بدوي، موسوعة المستشرقين،ص٤٣. *Borrmans:Islamochristiana,p.4.*

(٢)انظر: الكلاي، مجلة مرور مائة عام،١٩١.

(3)*Angelier : Écrits Memorables ,vole1,pp. XXX-1.*

(٤)أحد أهم الروائيين الفرنسيين في القرن التاسع عشر في الفكر الأدبي والجمالي لتيار الرواية الطبيعية والرمزية،ولد عام (١٨٤٨م)وكان ولد لأب هولندي وأم فرنسية. وتحول في أواخر حياته من البروتستانتية إلى الكاثوليكية، وتركز في رواياته الأخيرة على جوانب الحشمة في مصر لشخصيات عالية أو مرتكسة. يدفعها اعتلالها وهامشيتها المفقودة والتماس محيطها الاجتماعي إلى التركيز على الوجوه المظلمة من وجودها، وهو ما انتهى به على صعيد حياته الخاصة وتفقه الفكري إلى أن يخوض في أواخر حياته تجربة النسك والعزلة لإرادته، توفي ويسمان عام١٩٠٧م. انظر: ويسمانس، رونة لعرفا،مقدمة المترجم: ٥-٧

(٥) ينظر: علي بدر، ماسينون في بغداد،٦٩.

أثرت بشكل كبير في المتخيل الروحاني لماسينيون، وقد قال عن ذلك: **لقد علمني والدي أن أحب جان دارك**[١].

أثرت هذه العوامل في تكوين ماسينيون المعرفي، وفي بناء عقليته التاريخية والثقافية، وذائقته الفنية، ونمو الروح الجمالية لديه، وهو ما قاده في النهاية للبحث عن هذه الروح الجمالية في الشرق والعناية بتاريخ الإسلام وحضارته وثقافته، ولاسيما الجوانب الصوفية والرمزية فيه[٢]، حتى قيل لقد فتق ماسينيون والده عبقرية وتيوغا، وهو بلا شك أمر ورثه عنه[٣]. إلا أنه وجه اهتمامه صوب الشرق، وقال: **من الخطأ إهمال الحضارات الشرقية والإسلامية، والاهتمام فقط بالتراث اليوناني والروماني**[٤].

فضلاً عن ذلك تأثرت رؤى ماسينيون وأفكاره بمرحلة الشباب بمجموعة من الأشخاص الذين ازدادوا باطراد مع تقدم حياته، ومن هؤلاء الذين كان لهم دور كبير في حياته، الكاتب الكاثوليكي (*Leon Bloy* =ليون بلوا)[٥] وارتبط لاحقًا بصداقة عميقة مع (شارل دي فوكو)، والشاعر (بول كلوديل *Paul Claudel*) [٦] والشاعر الفيلسوف الفرنسي (*Lamartine*

---

(1) *Angelier.Écrits Memorables ,vole1,pp.I,Xxxll.*

(٢) انظر: بدوي، موسوعة، ٢٩.

(٣) انظر: علي بدر، مستشرقون في بعد، ٦٩-٧٠؛ الربضي: لويس ماسينون، ١١.

(4) *Angelier.Écrits Memorables ,vole,pp.I,XXlV.*

(٥) مولف وروائي فرنسي ولد عام(١٨٤٦م)، وكان كاثوليكا متحمسا شديد التمسك بعقيدته، وعرف بمواقفه المتسمة والفلسفة ولرغبة في الاتصال الروحي من خلال المعاناة والفقر، توفي عام(١٩١٧م)، ومن اشهر مؤلفاته: الرجل الذي، المرأة الفقيرة. للمزيد ينظر الموسوعة البريطانية :- https://www.britannica.com/ .

(٦) شاعر وكاتب مسرحي فرنسي، ولد عام(١٨٦٨م) واتسم للسلك الدبلوماسي في الشرق والغرب، وكانت افكاره تتمحور حول الكون والروحي الشعري، تعرض لأزمة أخلاقية وبالرغم من توبته إلا أن الذنب ظل يرافقه خلال حياته، توفي عام(١٩٥٥م)، من مؤلفاته . بشارة مريم والحذاء الجديدي، البدعة في بحث الرجال عن الخلاص. للمزيد عنه ينظر الموسوعة البريطانية:https://www.britannica.com

Alphonse de ألفونسو دي لامارتين)[1] فكانوا من الشخصيات التي أثرت ببحثه عن القضايا الجمالية في الشرق[2]. وقد أشار ماسينيون لذلك أثناء كلمته التكريمية لـ لامارتين) الذي تعود صداقته معه إلى وقت طويل حين لقائه به عام (١٩١٣م) فقال: **لطالما اجتمعت الكنيسة على مباركة نداء التفوس من أجل عودتي إلى الله. وهكذا بدأت بعض الولاءات في توجيه حياتي. ومنهم الحلاج، وويسمان ، الذي كنت أود ان أفتديه بنفسي. وفوكو، ولامارتين. وحضور مريم العذراء.** وسينظم لهم في تأمله الروحي المصير الغريب لفاطمة بنت محمد[3].

وفيما يخص الروائي الفرنسي (كارل ويسمان) فإنه كان صديقًا مقربًا لوالده(بيير روش)، وقد أهتدى للمسيحية بعد معاناة روحية غامضة، وظل محافظًا على إيمانه الكاثوليكي حتى وفاته عام (١٩٠٧م)[4]. وذكر ماسينيون ذلك ، بقوله: **أن ويسمان كان يصلي من أجلي أنا الضائع. وأنه كان حاضرًا في ساعات احتضار أبيه الأخيرة وهو ينظر إليه ويدعو له، وأنه هو من أرسله بعد وفاة أبيه إلى(*Daniel fontaine* = دانيل فونتان) القس الرائع. وأن ويسمان هو الذي نقل إليه سر الحب الأخوي لرفاق العمل. والصلاة والدعاء من أجل الخاطئين لردهم إلى الايمان. وأنه نقل إليه هذا السر لينقله بدوره إلى الآخرين**[5].

أما(شارل دي فوكو)، فقد سمع ماسينيون به بعد عام(١٩٠٦م) أثناء تواجده في الجزائر، وكان قد أهتم بتاريخ قبائل الطوارق القاطنة في بلاد المغرب العربي، وعاش حياة الرهبنة والزهد،

---

(١) أديب وشاعر فرنسا الشهير ولد عام(١٧٩٠م)، ورحل إلى الشرق عام(١٨٣٢م) فزار بلاد الشام، ورجع إلى فرنسا ورشح للانتخابات البرلمانية وفاز بها عام(١٨٣٣م)، وفي عام(١٨٤٨م) أصبح رئيسا مؤقتا للجمهورية، ثم سقط أمام حزب المحافظين، فرجع لكتابة الشعر وألف عن فرنسا وثورتها، وألف كتاب تاريخ تركيا بثمانية أجزاء تحدث فيها عن الإسلام والنبي. توفي عام(١٨٦٩م). انظر: لامارتين، مختارات من كتاب رحلة إلى الشرق،٨-١٠(المترجم)؛ سر جورج: الرحلة إلى الشرق ،٢٥-٥٥.

(٢)انظر. جورافسكي، المسيحية والإسلام،١٠١-١٠٢.

(3) *Borrmans:Islamochristiana,p.1.*

(٤)انظر. الربعي، لويس ماسينون،١٣.

(٥) جان مورتون . لويس ماسينون ،١٥.

فأعجب به ماسينيون وبدأت بينهما مراسلات، ورابطة صداقة متينة[١] .وكان(فوكو) يبحث عن من يشاركه دعوته وافكاره، وكاد ماسينيون أن ينخرط في هذا الميدان، ويصبح تابعا لـه في صحراء الجزائر، إلا أنه عدل عن ذلك بعد أن قرر الزواج ، وقد استمرت صداقته مع(دي فوكو)؛ ففي رسالته التي أرسلها إلى ماسينيون عام(١٩١٦م)، بارك فوكو له جهوده؛ بالانخراط في جبهة الحرب الاستعمارية التي اعتبرها حربا مقدسة، وبارك له شرف الاستشهاد والخطر والمعاناة في سبيلها؛ من أجل الاتحاد بالقربان المقدس حسب قوله، وكان يرغب بتركيز النزعة الكاثوليكية لدى ماسينيون إلا إنه قتل قبل ذلك[٢] .

وبالمقابل نذر ماسينيون حياته لفوكو(ناسك الصحراء)، وسعى إلى الكشف عن براءته من تهمة التجسس، وكان له دور كبير في إلهام (رينيه بازان) في نشر سيرة(شارل دي فوكو)[٣]. كما وقد عدّه ماسينيون(متأملا كاثوليكيا)، عامل الآخرين على كونهم يعتنقون نسخة أخرى من دينه ، وعندما قتل ألقت قصيدة بحقه، تلخص مشاعره تجاهه، ومنها قوله:

عزاء طلبته في آلمي، فأصبح ألمي هذا العزاء،

دليل أبحث عنه من أجل صلاتي، فأصبحت صلاتي هذا الدليل

إلى اليمين واليسار أبحث عن صديقي

لكني كنت أبحث في الخارج وهو في روحي[٤]

ويمكن أن نضع في مقدمة قائمة الشخصيات التي تأثر فيها ماسينيون ، وغيرت مجرى حياته شخصية(الحسين بن منصور الحلاج)؛ إذ مثل هذا الصوفي المصلوب نقلة روحية جذرية في حياة ماسينيون، بعد أن قرأ سيرته عام (١٩٠٨م)في أشعار(فريد الدين العطار) الشاعر الصوفي الفارسي ، الذي ترجم بشعره لحياة الحلاج ومصرعه وأفكاره، فألهم ماسينيون أن يكرس جهوده

(1) *louis Massignon :Parole donnee ,pp64-65.*

(٢)انظر: عبي بدر، ماســـون في بعد د،٧٧-٧٨.

(3) *Borrmans:Islamochristiana,p.2.*

(4) *Hossein Nasir:Traditional Islam,p.258.*

للبحث عن الحلاج واكتشافه[1]. وقد أبدى ماسينيون وتعه بالجملة الفارسية للعطار:(**يكفي سجلدتان في الحب، عند الفجر وفي الحرب**) فقال: **لقد وقعت في حب الحلاج من الخيال الأدبي**، وقرر أن يعد اطروحته للدكتوراه عنه[2].

وعند زيارته للعراق تعرض ماسينيون إلى مصاعب جمة، ومنها اتهامه بالتجسس على الوالي العثماني، واصابته بالملاريا، فتولدت لديه صدمة روحية، وبعدها تحولت إلى تهيب للإيمان، وتوجها للصوفية، ونذر روحه للحلاج[3]. وقد أشار لذلك في مذكراته بأن قد : **راودته حالة من التأمل المفاجئ، أمام النار الداخلية التي تحاكمه وتحرق فؤاده، والشعور بالخطيئة. إذ استحضرته روحياً وهو يصلي أولى صلاته بالعربية شخوص ملهميه، أمثال ويمان . وفوكو، ووالدته، والحلاج، الذي مات من أجل الحب الخالص لله**، فنذر حياته حينها للحلاج[4].

وفي أخريات سني حياته وجد ماسينيون في شخصية(غاندي) نمثلا لأفكاره، كما(الحلاج) في مسيحانيته؛ إذ أعجب بالنزاع السلمي للمهاتما غاندي، وبذلك اكتمل الثالوث الروحي الأبرز في شخصية ماسينيون (فوكو، والحلاج، وغاندي)[5]، فقد رأى في صورة غاندي الذي سمع عنه عام(١٩٤٨م)، وعرف زهده وتقشفه وملابسه البسيطة، ورأسه المكشوف، وقدماه الحافيتين، بأنه كان أشبه برسول ينذر باللاعنف، ولاسيما أنه قد قتل على يد هندوسي غاضب عام(١٩٤٨م)، فرأى ماسينيون أنه قدم روحه فداء للحق[6].

---

(١)انظر: بدوي، موسوعة، ٥٣٠-٥٣١.

(2) *Angelier.Écrits Memorables ,vole1,pp.I,Xl .*

(٣)انظر: مونون، لويس ماسينون، ١٨-١٩.

(4) *Massignon.Parole donnee ,p.67.*

(٥)انظر: علي بدر، ماسينون في بغداد، ٧٧.

(6) *Massignon .Parole donnee, p.130.*

ثالثا- اهتمامه بالتصوف الإسلامي:

شكلت الصوفية كنزعة روحية-دينية نسقًا عامًا منذ فترات مبكرة في تاريخ الديانات، سواء أكانت ديانات سماوية أو وضعية، إذ استقطبت الصوفية بميلها الروحي وممارساتها الزهدية الجذابة العديد من الأتباع والمريدين، الذين انتقضوا على النزوع البشري المادي على أنها نشأت في العديد من مراحلها واشكالها ثوب المغالاة الدينية ونزعت لأن تكون غلوصًا دينيًا متطرفًا في أحيان أخرى.

لقد تماشت الروح الصوفية مع الامتداد التاريخي للديانة اليهودية وتخللت في أعماقها منذ نواكير الأولى لها، وتسلل بعضها إليها من عوامل خارجية بعد مجاورة اليهود في منفاهم للفرس والبابليين، ووصوله إلى كبار رجالاتهم من العارفين بالطب والكيمياء، والسحر والشعوذة، وأسبغ على التصوف اليهودي تسمية(القبالا أو الكبالا)التي راجت في أغلب أنحاء العالم، وأدعت الخلاص الدنيوي، كما وقد روجت إلى كون العقيدة اليهودية هي الحق على ما سواها، وقامت هذه القبالا على ممارسات روحية تقوم على الحدس والتأمل والكشف والرياضة الباطنية[1]، كما ارتكزت على فكرة الحلول بكون أن الإله أو الخالق هو مخلوقاته وتعكس والذي اصطلح على تسميته في عقيدتهم(ديفيقوت) أي التوحد مع الإله[2].

وكانت هذه النزعة حاضرة ايضًا في الديانة المسيحية التي عدت امتدادًا سماويًا للديانة اليهودية، وفرضت هيمنتها الروحية عليها منذ بواكيرها الأولى عبر الرهبنة والممارسات العبادية الأخرى، مستندة ذلك إلى المسيح نفسه[3] فارتبطت المسيحية بشكل عفوي ومباشر بحياة الرهبنة التي يمارسها رجل الدين المسيحي أو النصرانية أو الأفراد المسيحيين العاديين عبر التعاليم

(١) انظر:علي سامي، نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام،١ ١٨٦-١٨٧.

(٢) انظر:لمزيد من التوسع:التجربة الصوفية بين الأدب والمشكلات الكبار والتأثيرات متبادل، في مجلة الحكمة للدراسات الاجتماعية، المجلد٧، العدد(العدد)١٤٤٤هـ ٢٠١٩م،٢٤٢-٢٤٣.

(٣) انظر: علي سامي، نشأة الفكر الفلسفي،١ ١٨٨ -١٨٩.

التي يجدونها مبثوثة في الكتاب المقدس [1]، لذا لا عجب من ان يبدي المستشرقون اهتمامهم بالتصوف الإسلامي الذي يقارب ممارسات عقدية سابقة لديهم، في حقب هيمنت عليها الروح الاستعمارية، والوجهات التبشيرية وابرازها على أنها دخيل على الديانة الإسلامية من المسيحية، خصوصا مع اضمحلالها في الغرب لصالح انتشار النزعة المادية العلمانية؛ ولذا نُقل عن أحد المستشرقين بأنه وجد خلاصه الروحي ونجاته من المادية الأوربية في التصوف الإسلامي [2] فاستحوذت هذه الموضوعة على اهتمام كبار مستشرقيهم وبمختلف ميادين علومهم كعلم الأديان، وعلم الاجتماع، وعلم النفس وطبقت عليه المناهج العلمية المختلفة[3] ومن المسلمات المعروفة بما متفق عليه أن هذا التوجه برز لديهم في القرن التاسع عشر ميلادي ،ومثلته كوكبة من كبار المدارس الاستشراقية المختلفة؛ مما ساهم في اظهار الكتابات الصوفية التي كان يُنظر على أنها مستهجنة وحظيت باهتمامات العلماء من كُتاب ومحققين وديجت عنها العديد من الكتب والدراسات وحققت العديد من المخطوطات المتنوعة عن التصوف وشخوصه[4]. أما عن كيفية وصول التصوف الإسلامي للعرب فعلى الأرجح أنه كان عبر الأدب الفارسي وعن طريقه وبالأخص ما عرف عنهم من الشعر الصوفي فلقد نقل عن آرثر آربري بأن الشعر الفارسي الصوفي صار بمثابة الدراسات التقليدية في فرنسا وأثر على شخصيات علمائها وبالأخص المستشرق الفرنسي سلفستر دي ساسي الذي نشر ترجمة لأشعار فريد الدين العطار الشاعر الصوفي عام(١٨١٩م)ومن ثم انطلقت اهتمامات الآخرين في الشعر الصوفي الفارسي تحقيقا ونشرا.[5]

فكانت المدارس الاستشراقية بين التجاذب والتنافر في البحث عن اصول التصوف ومدى تأثره بالديانات السماوية السابقة والعقائد الوضعية وعلى وجه الخصوص المدرسة الفرنسية التي ابدت ولعا في دراسة التصوف الإسلامي منطلقة في تفسيرها الروحية المسيحية من منظور أن التصوف

(١) انظر: امال برهمه، تاريخ الفلسفة،٣ ٧٣-٧٥.

(٢) انظر الحسني معدي، موسوعة التصوف،١٠٠٥-١٠٠٦.

(٣) انظر آن ماري شمل، الابعاد الصوفية في الإسلام،٢١،المترجم.

(٤) انظر المرعاوي، المستشرقون ونشأة التصوف الإسلامي،١٦٣.

(٥) انظر: المرعاوي، المستشرقون ونشأة التصوف الإسلامي،١٥.

الامتداد الفعلي لها في العالم الإسلامي، كما فعل ماسينيون وبكل جهده في انتقاء ما يخدم هذا الهدف ونبذ خلافه مدفوعا لعقيدته المسيحية في اظهار الحلاج على دين وشاكلة المسيح المصلوب[1].

بمعنى مقارب دفع الهاجس الديني المتجذر لدى ماسينيون ولازمه طيلة حياته ، ويوحي من الشخصيات التي تعرف عليها في حياته إلى دراسة الجوانب الروحية في الإسلام، ولا سيما في ميدان التصوف، وقد أحدثت دراساته تغييرات جوهرية في علم الإسلاميات الاستشراقي، وخصوصًا مع ابتعاده عن التفسير التقليدي للعقيدة الإسلامية، الذي يقوم في أغلب الدراسات السابقة على أساس الانطلاق من التفوق العرقي، والأفضلية الدينية والأخلاقية. وفي رأي الباحثين ودارسي الاستشراق، فإن مؤلفات ماسينيون واسهاماته العلمية، ومنطلقاته الروحية، ونشاطاته السياسية، قد مهدت الطريق للتحول المسيحي الجذري بشأن الموقف من الإسلام؛ ففي مجهوده العلمي الكبير، تتجلى بشكل واضح سمات العالم الواسع الاطلاع، والمعارف العميقة المتنوعة، وهي تمتزج مع مشاعر نسكية-رومانسية دينية[2].

انشغل ماسينيون رجل الدين الكاثوليكي والمتصوف، بالبحث الدؤوب عن النقاط المشتركة بين المسيحية والإسلام، أو نقاط(الاتصال والارتباط)، في الطقوس، والشعائر، والأدعية، والممارسات العبادية، ولا سيما لدى المتصوفة وفرق الغلاة؛ لتأكيد أصالة العقيدة المسيحية في عمق الإسلام، وهو بذلك عمل على دراسة التصوف بما يرضي نزعته الصوفية، ورغبته الدينية كونه رجل دين مسيحي كاثوليكي يؤمن بعذابات المسيح؛ فوجد في التصوف والحلاج الوسيلة في إبراز ذلك[3]، ومن جانب آخر فإن اعجابه بشخصية(الحلاج) قد هيمن عليه بشكل كامل، حتى أنه كان يعده النموذج الذي يستوجب المحاكاة، وقال بالنص: (**لقد حاولت أن اتبع مثاله**

(١) ينظر: علي سامي، نشأة الفكر الفلسفي،٣ ٢٩.

(٢)انظر: جوزافسكي، الإسلام والمسيحية، ١٠١، ١٠٤.

(٣) ينظر: لاصفر، ماسينون ماله وماعليه،١٨٨-١٩١.

ليس أكثر) [1]. وقد كان الاعتقاد الدائم لدى ماسينيون هو أن التصوف هو أساس التدين الأول، وعليه بُنيت الديانات الأخرى، فهو الطريقة الفطرية الأسمى في التواصل بين الأنسان والذات الإلهية، حيث يرتقي الأنسان من خلالها إلى القداسة النورانية، التي تعد أسمى غاياتها في عقيدة تمسيح التضحية والفداء [2].

وبسبب اهتمامه الملحوظ بالتصوف، وتأثره به، وبشخصياته الصوفية المميزة، عُدَّ ماسينيون أول مستشرق أعاد التصوف الإسلامي وجذوره إلى قلب القرآن وروحانيته، من خلال دراسته لتاريخه الاصطلاحي والروحي، الذي أعطى له ثريادة في علم التصوف الإسلامي [3]. وكان الزهد والميل إلى الروحانيات قد اجتذب ماسينيون منذ بدايات حياته، وتبلور هذا الأمر بعد معرفة ماسينيون للحلاج وولعه الروحي به؛ لما وجد فيه من جسر روحي بين الديانتين الإسلامية والمسيحية وتكريسها لمبدأ حوار الأديان خصوصًا وأنه من الشخصيات القلائل التي ساعدت بفاعلية كبرى في التضال لإقامة السلام والصداقة والتعاون بين أناس ينتمون إلى أعراق، وأمم، وعقائد مختلفة [4].

وعلى الرغم من أن ماسينيون لم يقف في دراسته للتصوف عند الحلاج، فحسب بل تعداه إلى دراسة شخصيات أخرى، فلسفية وصوفية، أمثال: أبي العلاء المعري، وابن سينا، والفارابي، وابن عربي، وغيرهم، ودرس المتنبي وآثاره [5]؛ إلا أنه من أكبر الأعمال الموسوعية، التي احدثت صدى واسع، هو عمله عن الحلاج (شهيد الحقيقة)، كما أصطلح على تسميته، وإعادة تشكيل

---

(١) انظر: جوزافسكي. الإسلام والمسيحية،١٠٤.

(٢) انظر: الشرقاوي. لويس ماسنون والعولمة الروحية(بحث منشور في حوليات آداب عين شمس، العدد ٣٤، ١٤٢٧هـ ٢٠٠٦م ، ٣٨٣-٣٨٤.

(٣) انظر: ماسنون ومصطفى عبد الرازق: التصوف،١٩٨٤م.

(٤) انظر: جوزافسكي. الإسلام والمسيحية،١٠٤.

(٥)انظر: الكلاي، محاضرة مرور مائة عام،١٩٤.

النظرة للتصوف بمنظور الاستشراق الجديد غير (تصوف الحلاج). فهيمنت طروحاته العلمية على مجمل الدراسات السابقة واللاحقة في هذا المجال[١].

تطرق ماسينيون إلى الحلاج بكل تفصيلاته (حياته، وأفكاره، وآثاره، وقصائده ونصوصه الصوفية، وعذاباته النفسية، والآمه...)، وكان يرى أن موت الحلاج (قتله) كان بمثابة موت للتصوف الإسلامي[٢]. وقد استهوته لحد بعيد مقولة الحلاج (أنا الحق)، وشكلت وتيرة روحانية متصاعدة في حياته الشخصية، وناقشها بكل تفاصيلها بالنقد والتحليل[٣]. وقد تعددت أعمال ماسينيون عن الحلاج والتصوف، ومنها: اطروحته للدكتوراه (آلام الحلاج)، و (مذهب الحلاجية)، و(الحلاج والشيطان في نظر الزيدية)، و(ديوان الحلاج)، و(المنحى الشخصي لحياة الحلاج)، و(الفلسفة ومدى الطبيعة في التصوف الحلاجي)، أضافة لعدة مباحث أخرى[٤]، واهتم بجمع الرسوم التاريخية التي عبرت عنه، وكيفية صلبه كالسيد المسيح، فجمع منها(١٩ رسما)، يتفاوت تاريخها بين القرنين السادس عشر والثامن عشر للميلاد[٥].

وكان خلال تواجده في العراق يرتاد قبر الحلاج باستمرار، ومارس ضغطاً على السلطات العراقية لبناء غرفة صغيرة حول قبره، وإيقاف التوسع الحضري على حساب مقبرته[٦]، ودعا العولمة الروحية والتواصل بين الأديان، وحل الخلافات السياسية والأزمة الإنسانية المعاصرة؛ لبناء عالم روحي يقوم على مبدأ السلام بين الشعوب[٦]. وكيف كان الأمر فانه تفنن في دراساته أشخاصاً مهمشين في التراث الإسلامي إلى مركزية التأريخ؛ لتمكنه من البحث عن مصادر متنوعة

---

(١)انظر: قاسم محمد، الحلاج الاعمال الكاملة،١٤-١٥.

(٢)انظر: صابر عبده، فرح، نقده ،٣٩٧.

(٣) للمزيد ينظر: لويس ماسنون، الآم الحلاج،١٤٢-١٤٣.

(٤)انظر: عبد الرزاق، قراءة التصوف الإسلامي ،٧١.

(٥)انظر النصي، ماسنون والحلاج ، ضمن كتاب مع قلب المرق ،١٠٩.

(6) *Hossein Nasir:Traditional Islam,p.259.*

(٧)انظر: الربضي، لويس ماسنون،٥٢-٥٣.

ومختلفة، ولقدرته المنهجية في صياغة التفاصيل الدقيقة والصغيرة، وجعل القارئ أمام تاريخ موسوعي كامل ذي نمط غير تقليدي[١].

وقد ساهمت الضيافة التي حظي بها ماسينيون في بغداد من (الآلوسيين) في توجيهه لحوار الأديان؛ لما كان لهذه العائلة من دور كبير في انطلاق سراحه من العثمانيين، ومداراتهم له خلال اصابته بداء الملاريا ، كما ساهمت هذه الضيافة العربية في تغيير نظرته للعرب إلى الود والحب والاحترام[٢]. وهذا ما بينه في إحدى مقالاته عن (محمود شكري الآلوسي) والقاضي (علي نعمان الآلوسي) تحت عنوان (الأساتذة الذين وجهوا حياتي)، ومما قاله فيها: **أيقنت أني لن أتوصل إلى شيء هنا وحدي؛ لاعتبار الأجنبي عدو عادة، فهو إما جاسوس، أو تاجر، ولم يكن لي أمل للتقرب من المسلمين والألفة معهم؛ لذلك ذهبت إليهم واستجرت بهم فأجاروني؛ لأن هناك شيء في حياة الناس وفي أخلاقهم اسمه(الضيافة)**[٣]. وكان قد منحاه خاتما نقش عليه اسمه بلفظ (محمد عبده ماسينيون) تختم به لنهاية حياته[٤]، وساعداه في توفير سكن له في بغداد في حي (حيدر خانه)؛ ليطلع على كثب على أخلاق العرب المسلمين وعلاقتهم مع الآخر[٥].

ولذلك تركزت كتابات ماسينيون على إبراز نقاط الالتقاء والتواصل في العلاقة بين المسيحية والإسلام[٦]، فساهم بشكل كبير بعرس بذرة مبدأ حوار الأديان، وأحدث تغييرات جوهرية في إعادة صياغة العلاقة بينهما على أساس الاحترام للآخر، مبيناً أن التبشير والدعوة ليست أسلوباً للحوار، وأن الشك الذي ساد عليه الاعتقاد ليس الطريق الأمثل لمقاربة الإسلام[٧]، وأنه لابد

---

(١)انظر: عبد بدر، ماسينون في بغداد، ٢٦.

(٢)انظر: ماسي، عبد الخطاب، ٢٠٦.

(3) *Massignon: Les maîtres qui ont guidé mavie ,p.158.*

(٤)انظر: ماسي ، عبد الخطاب، ٢٠٧.

(٥)انظر: ادب عامر ، ماسينون المستشرق و الانسان، ٣٥٥.

(6) *Nasir:Traditional Islam,p.263.*

(٧)انظر: محمد العمر، اختلافات الضيافة وحوار الاديان خمس كتاب في قلب الشرق، ٢٢٦-٢٢٧.

من صنع السلام في العلاقات مع المسلمين [١]، والعمل على التقريب بين الديانتين على أساس الدعوة للتعايش السلمي بينهما [٢].

وكان من بين اجراءاته العملية في هذا الميدان أنه طلب من المجمع الكنسي الاعتراف الجزئي بنبوة النبي محمد ﷺ، وصدق الوهية القرآن، كما أعترف الإسلام بشكل جزئي بعيسى المسيح، فعدّه نبيًا ولكنه أنكر إلوهيته [٣].

وقد جعل من الحلاج خطًا للشروع في هذا الحوار، إذ قال في ختام بحثه عن منحنى حياته: رأينا أن موت الحلاج يُثبت عند كثير من المسلمين المتفاوتين في النزعة الصوفية، أنه لابد من التألم من أجل الخلاص، وأن الصليب فداء وقداسة. ومنحنى حياة الحلاج كلها، ومناظر محاكمته تجعل منه شبيهًا بالمسيح ظاهريًا، لكن هذا الشبه الخارجي لا يساوي شيئًا أمام التحول الصامت لقلبه، وإيمانه المتزايد بالمبادلة مع عشقه الأول، بين حق الله في عبادتنا المفروضة، وبين حقه عند الله للشفاعة بما يمنحه للناسوت منذ زمن حكم الملائكة [٤].

وقال في نص آخر استذكر فيه شفاعة الحلاج له في ازمته الروحية: ذلك الغريب الذي زارني ذات مساء من آيار أمام الطاق على دجلة، في زنزانتي ويداي موثقتان بالحبال بعد أن حاولت الهروب مرتين، دخل عليّ الغريب والأبواب كلها موصدة، فأشعل نارًا في

(1) *Thomas: A Trajectory Toward the Periphery: Francis of Assisi , Louis Massignon, Pope Francis , and Muslim – Christian Relations The Review of Faith & International Affairs , Vol. 16, 2018 – Issue , Pp.2-3*

(٢) ينظر: الشرقاوي، ماسينون والعولمة، ٣٥٧-٣٥٨.

(٣) ينظر: جورجكي، الإسلام والمسيحية، ١٠٨.

(٤) ينظر: رمضان بن يوسف، التأويل المسيحي للإسلام لدى ماسينون عرض(بحث منشور في مجلة منتدى الآداب في المجلد ١٤، العدد ٢ لعام ١٤٣٩هـ ٢٠١٨م)، ٣٦.

قلبـــي. وانتشلني من هوة اليأس كما تلمع سمكة ناشبة من أعماق المياه المظلمـة نحـو السطح[١] ؛ ولذا نجده في آخر لحظات حياته يردد ما ردده الحلاج قبل موته[٢] . وهـذا مـا حـدا بالبعض إلى القول: إنه لمن الصعب وضع حد فاصل بين دقته العلمية وتوجهاته الشخصية وحماسته المتطرفة: إذ عمل على رفع الحلاج إلـى حـد نصـرته[٣]. وذهـب مـؤرخ حركـة الاستشراق الباحث والناقد الفلسطيني (إدوارد سعيد) إلى أن ماسينيون ربما يكون أشهر المستشـرقين الفرنسيين المحدثين وأبعدهم تأثيرا، ولكنه مارس دورا سياسيا داعما للاستعمار والهيمنة الغربية في الشرق، وهو يرى أن الإسلام كان يمثل رفضا متهجيا لمذهب التجسد المسيحي، وأن أعظم أبطاله لم يكن محمد أو ابن رشد، بل الحلاج(المقدس) المسلم، الذي صلبه أصحاب المذهب(المعتمد أي مـذهب السـلطة)من المسـلمين؛ لأنـه تجاسـر علـى أن يصـبغ الإسـلام بصـبغة شخصـية [٤]. وسلط (سـعيد) المزيـد مـن الضـوء علـى شخصـية ماسـينيون ودراسـاته فـي كتابـه(العالم والـنص والناقد)الذي صدر عام(١٩٨٣م)[٥].

وهو مع ذلك قد أبدى اعجابه بماسينيون فقال: إن ما أريد بيانه هو أن ريتان وماسـينون كانا جزأ لا يتجزأ من الثقافة الفرنسية، كلٌ في حقبته؛ كي يخلعا على عملهما عن الإسلام. منزلـة وسـلطة بالنسـبة للجمهـور الثقـافي غيـر الاستشـراقي[٦]. وأشار إلـى أن المهمـة الفيلولوجية(فقه اللغة)[٧] الكامنة في صميم الثقافة الفرنسية تتعرض للتحول التام على يدي

(١) ينظر: عامر ماسينون الأسرار. ٣٥٥-٣٥٤.

(٢) ينظر: الشرقاوي، ماسينون والعولمة. ٨٣.

(٣)ينظر: الأعظمي، ماسينون ماله وما عليه. ١٩٣.

(٤) ينظر: الاستشراق- المفاهيم الغربية للشرق،١٨٥.

(٥) خصه بفصل كامل بعنوان(الإسلام و الفيلولوجيا والثقافة الفرنسية- رينان وماسينون)،٣٢٧- ٣٥١.

(٦) العالم والناقد النص ،٣٣٣-٣٣٤.

(٧) هو العلم الذي يبحث في أصول الكلمة كمجرد لفظة حاملة للكلمة وما اكتسبته من انطباعات مختلفة من الأحداث والأمكنة التي استعملت فيها، وكانت مجاهاته لكثرة تعمل في البحر لمقارنة واعادة تصنيف اللغات في أسر مفصلة ينظر: سعيد، الاستشراق. ٢٢٣-٢٢٤.

ماسينيون. فنحن نتعامل مع عقل ذي شأن من نوع آخر، ومع خبرة عميقة ورائعة. حتى أن تماثلاتها ودعاماتها الثقافية الجليلة ماهي إلا جمالية وسيكولوجية[١].

وأشار (باتريك لود) إلى أن ماسينيون يمثل حالة مغايرة للاستشراق، نتيجة تداخل الرؤى والأفكار وأبعادها في أعماله، ولأنه أبدى في معظم الأحيان تعاطف فكريا وأخلاقيا مع العالم الإسلامي، وأظهر نشاطا ملحوظا لدعم حقوق وكرامة مسلمي شمال أفريقيا القابعين في ظل تحكم الفرنسي، وساهم في الاحتجاجات الشعبية المطالبة بالتحرر، وكان له دور فاعل في قضايا دينية واجتماعية أخرى[٢].

(١) العالم والناقد ، ص ٣٤٣.

(2) *Lude: The Orient Without Orientalism The WeI International Academic Conference Proceedings , Bali , Indonesia ,2014,p.77.*

المبحث الثاني

النتاج الاستشراقي للويس ماسينيون

المبحث الثاني

النتاج الاستشراقي للـويس ماسينيون

دار نتاج ماسينيون الاستشراقي حول محاور عدة من الدراسات الأثرية، و الجغرافية، والوقائع التاريخية والاجتماعية، والروحية، والإسلامية وفهم ظاهرة النبوة وتفسيرها، وأهتم بشكل خاص بمنحى التصوف الإسلامي عبر دراسته لشخصية الحلاج [1]. كما وأبدى اهتماما بالمشاكل العصرية في البلاد الإسلامية، والنظم الاجتماعية في الإسلام، وتاريخها، أضافة إلى يده الطولى في الدراسات الفلسفية، ودراسة الشيعة وبالأخص الفرق الغالية منهم[2] . وقد قدم بعض من ترجموا له جرد لأبرز أعماله التي بلغت قرابة (٦٥٠) بين مقال، وكتاب، ومحاضرة، وتقرير محقق ومترجم[3]، وإذا أردنا تقصيها بعناوينها، وتفصيلاتها سيطول بنا المقام، لذا سنقتصر على أهم مؤلفاته في حقل الإسلاميات من الكتب والبحوث لا سيما ما يتعلق أو يقترب من موضوع دراستنا:

- Les origines de la méditation shi`ite sur Salmân et Fâtima

منطلق التأمل الشيعي من سلمان وفاطمة

– Les saints musulmans enterrés à Bagdad,1908.

الأولياء المسلمين المدفونين في بغداد .

– Ana al-Haqq", Etude historique et critique sur une formule dogmatique de théologie mystique,1912.

---

(١) انظر ماسي: لقد الخطاب، ٢٠٧ – ٢٢٠.

(٢) انظر بدوي: موسوعة، ٥٢٩.

(٣) انظر: الحقني، المستشرقون، ٢٨٨ – ٢٩٢؛ بدوي، موسوعة، ٥٢٩ – ٥٣٥. يحيى مراد: معجم، ١٠١٣ – ١٠١٧؛ عبي ماسينون في بغداد، ١١٧ – ١٢٥.

أنا الحق ' دراسة تاريخية ونقدية حول صيغة عقائدية في اللاهوت الصوفي ،
بحسب المصادر الإسلامية .

-Edition commentée du Kitab al - Tawâsîn d'al – Hallâj,1913.

الطبعة المعلقة من كتاب الطواسين للحلاج .

- Quatre textes inédits , relatifs à la biographie d'al - Hallâj ,1914.

أربعة نصوص غير منشورة تتعلق بسيرة الحلاج .

- Les Nusayris de Syrie,1920.

النصيرية في سوريا .

- " What Moslems expect ? " , Moslem World,1922.

ماذا يتوقع المسلمون؟' ، العالم الإسلامي .

- La Passion d'al - Hallâj ,1922.

شغف الحلاج .

- La méditation coranique et les origines du lexique soufi,1923.

التأمل القرآني وأصول المعجم الصوفي .

- e La crise de l'autorité religieuse et le Califat en Islam,1925.

أزمة السلطة الدينية والخلافة في الإسلام .

- Recueil des textes inédits concernant l'histoire de la mystique en pays d'islam,1929.

مجموعة من النصوص غير المنشورة المتعلقة بتاريخ التصوف في البلدان الإسلامية

.

- Salman Pak et les prémices spirituelles de l'Islam iranien,1934.

سلمان پاك والبواكير الروحيه للإسلام الإيراني .

− Les origines et la portée du Gnosticisme en Islam,1937.

أصول ونطاق الغنوصية في الإسلام .

- Etudes sur la notion islamique de souveraineté ,1938.

دراسات حول المفهوم الإسلامي للسيادة .

- Der Gnostische Kult der Fatima im Shiitischen Islam,1938.

عبادة فاطمة الغنوصية في الإسلام .

- Recherches sur les Shi'ites extrémistes à Bagdad à la fin du IIIème siècle de l'Hégire,1938.

بحث عن الشيعة المتطرفين في بغداد في نهاية القرن الثالث الهجري .

- La Mubahala de Médine et l'hyperdulie de Fatima.Ann.de l'Ec.des Hautes,1943.

مباهلة المدينة المنورة دراسات مقترحات المحنة.

- Etude sur une courbe personnelle de vie : le cas de Hallaj, martyr mystique de l'Islam,1945.

دراسة المنحنى الشخصي لحياة الحلاج : حالة الحلاج ، شهيد الإسلام الصوفي – الله الحي .

–El-Hallaj, mystique de l'Islam ,1949.

الحلاج المتصوف الإسلامي .

- Les trois prières d'Abraham, père des croyants, Dieu Vivant,1949.

الصلوات الثلاث لإبراهيم ، والد المؤمنين ، الله الحي .

- (espagnol);trad.Français.ap.Mélanges W. Marçais,1949.

لتكون ساميين روحيين، الله الحي .

- Les Fouilles archéologiques d'Ephèse et leur importance religieuse pour la chrétieneté et l'islam,1952.

الحفريات الاثرية في أفسس وأهميتها الدينية للمسيحية والإسلام .

- Les VII Dormants d'Ephèse (ahl al - kahf) en Islam et en Chré tienté,1952.

نيام أفسس السابع (أهل الكهف) في الإسلام والمسيحية .

- La Mubahalà de Médine et l'hyperdulie de Fatima,1952.

مباهلة المدينة المنورة وقداسة فاطمة.

- Qissat Husayn Al-Hallaj,1955.

قصة حسين بن منصور الحلاج .

- L'expérience musulmane de la compassion, ordonnée à l'universal. A propos de Fâtima, et de Hallâj,1955.

التجربة الإسلامية في التعاطف نحو العالمية عن فاطمة والحلاج .

- La notion du vœu et la dévotion musulmane à Fatima,1956.

مفهوم النذر وعبادة المسلمين لفاطمة

– L'oratoire de Marie à l'Aqça vu sous le voile de deuil de Fatima,1956.

فصاحة مريم ' وبلاغتها نظرة إلى خيمة عزاء فاطمة.

- Les Nusayris.- L'élaboration de l'Islam,1959.

النصيرية وتطور الإسلام .

- La Rawda de Médine, cadre de la méditation musulmane sur la destinée Bull,1960.

روضة المدينة المنورة اطار تأمل المسلمين في مصير الرسول

هذا فضلًا عن كثير من المحاضرات الجامعية، والمقالات التي نشرها في الدوائر الاستشراقية، كـ(*Encyclopedia of Islam*= دائرة المعارف الإسلامية) التي تولى ادارتها، والجريدة الآسيوية الفرنسية وغيرها، من بحوث كبيرة وصغيرة عن التصوف، والقرامطة، والشيعة... وما يقاربها من مذاهب، وعدد من الشخصيات الفاعلة في الساحة الإسلامية[1].

(١) بدوي : موسوعة، ج٣، ص٣٣٠ – ص٣٣٣ .

وعمل ماسينيون على ترجمة القرآن الكريم للفرنسية بمساعدة محمد حميد الله ؛ للتغلب على أوجه القصور في ترجمة بلاشير، وأعيد إصدار هذه الترجمة اثنتي عشر مرة بين عامي (١٩٥٩-١٩٨٩م)، وتعد الترجمة الثامنة للقرآن الكريم منذ عام(١٦٤٧م) [1].

وقد دونت أعمال ماسينيون وصُنفت وتم التقديم لها على يد تلميذه المخلص (يواكيم مبارك) في كتاب(أوبر مينور)، (وثائق وبحوث لويس ماسينيون)تحت رعاية مركز دراسات دار السلام، ونشر في دار المعارف في بيروت عام(١٩٦٣م)- (*Recherches et Documents Louis Massigno Opera Minora textes recueillis, classes et preentes avec une Bibliographie par Y. Moubarac*) بثلاثة أجزاء، جمع فيها(٢٠٧)بين مقالة وبحث .

(1) *belabes:The writing of Muammad Hanliduliah,p.76.*

المبحث الثالث

آليات لويس ماسينيون المنهجية

في التعامل مع النصوص الإسلامية

المبحث الثالث

آليات لويس ماسينيون المنهجية في التعامل مع النصوص الإسلامية

سعت الدراسات الاستشراقية التي اتجهت نحو معالجة العقيدة الإسلامية وظاهرة الوحي والنبوة والقرآن، بعد أن أعراها نجاح دراساتها ومناهجها في حقل الدراسات المسيحية واليهودية، أن تمارس المنهجيات ذاتها في حقل الإسلاميات، من دون الالتفات إلى أن الظواهر الروحانية تستعصي على التحليل المنطقي، والمقولات التجريبية والمادية؛ فمعالجتها حسب هذه المناهج لا تؤدي إلى نتائج خاطئة فحسب، وإنما لا تأتي بطائل من الأساس، كمحاولة فهم ماهية الوحي والاتصال بالمتعالي الغيبي؛ لذلك قامت أغلب هذه الدراسات على ما هو مكون في المخيلة التي رسمها التفكر الرؤيوي، عند بعض الرواة، والمؤرخين، وليس على ما هو كائن في الحقيقة[1]. وقد ألمح لذلك المستشرق البريطاني (مونتغمري وات)، فقال: **إن النظرة العقلية الحديثة التي يقوم عليها العلم، يُمكن أن تطبق في مجالات عدة، ولابد من تقبل النتائج العلمية اليقينية. والإيمان بصحة المنهج العلمي على معظم مجالات الحياة. إلا أنه يجب استثناء مجالات أخرى أهمها القيم؛ لأن القول بأنه لا منهج إلا المنهج العلمي يؤدي لنظرة علمانية للكون، لا مجال فيها للقيم الخلقية والدينية**[2].

ولذلك لم تلتزم العديد من الدراسات الاستشراقية – إن لم نقل أغلبها – بالحيادية والموضوعية والمنهجية، والعلمية المطلوبة، وقد أشار لذلك المستشرق الفرنسي المعاصر (*Dominique sourdel*=دومينك سورديل)[3]،فقال: **إن دراسة الإسلام بصورة موضوعية قلما وجدت بين علماء الغرب الذين يترددون في وضع الوحي القرآني على أثر الوحي**

---

(١) انظر: كريم، صورة أصحاب الكساء، ١٥٢ – ١٥٣.

(٢) محمد في مكة: ٤٠ – ٤١.

(٣) مستشرق فرنسي ولد عام:١٩٢١م، من أهم إنجازاته سيرة بن النفيع، وقضاة البصرة، ومن كل تاريخ الجزيرة العامة. وبعض الكتب الأخرى. انظر: مراد، معجم،٤٥٥-٤٥٦؛ العقيقي، المستشرقون،٣٢٩.

السابق، الذي شوهه المؤتمنون عليه. وإبراز الشبه الممكن بين نبوة محمد والدعوات السابقة. منهم يقعون صراحة وعلنا في الجدل الديني، فتبدر عنهم في موضوعه مواقف ومشاعر شخصية، قد حرفتها أهواء عصرية ذات صبغة سياسية [1].

وعليه فمع ما أدعته الدراسات الاستشراقية الحديثة، من تطبيقها للمناهج والمعايير العلمية في عملية البحث والدراسة، إلا أنها ظلت تنطلق من مبدأ إرجاع أصول الديانة الإسلامية إلى اليهودية والنصرانية، ومعتقدات الجاهلية[2]. وبالتالي فإن الاستشراق الجديد هو إعادة إنتاج لما هو قديم بصورة مغايرة أكثر ليونة وأقل حدة، كما أشار إلى ذلك (إدوارد سعيد) في أحاد حديثه عن لويس ماسينيون، إذ قال: بالرغم من الأسلوب المغاير، والخصوصية الشديدة التي استند إليها ماسينيون في دراسة الإسلام. وإيمانه النفسي بإمكانية اختراق عالمه. إلا أن عمله الأكاديمي كان عرضة لتأملاته العائدة لتقلباته المزاجية، واعترافه شخصيا بأن العمل الاستشراقي الجديد هو إعادة إنتاج ما سبق. ونقل عن ماسينيون قوله: أن هذا اللون من الاستشراق لا يعني التبرؤ من أوروبا، ولا يمثل ولعا بما هو غريب، بل هو محاولة للمساواة بين مناهج بحوثنا، والتقاليد الحية للحضارات القديمة[3].

وبطبيعة الحال كان لماسينيون كما للآخرين آلياته المنهجية في دراساته عن الإسلام، مع ما أبداه من المرونة الشديدة في تعامله مع الإسلام، حتى ذهب البعض إلى إسلامه[4]. وعليه يمكن القول أن ماسينيون شأنه شأن أسلافه المستشرقين الفرنسيين، أراد التعرف على الديانة الإسلامية، وفتح الحوار بين الديانات السماوية، لكنه تأثر بالرؤى والأيدولوجيات الفكرية والعقدية التي غلبت على أتباع المدارس الاستشراقية عامة.

---

(1) انظر: الإسلام في القرون الوسطى، ٢١ – ٢٢.

(2) انظر: الوهيبي، حول الاستشراق الجديد، ٤٣ – ٤٩.

(3) انظر: سعيد، الاستشراق، ٤١٠ – ٤١٤.

(4) انظر: ماسي، نقد الخطاب، ٢١٨.

ومن أبرز من تأثر بهم ماسينيون هو المستشرق المجري اليهودي (جولدتسهير)[1] إذ كانت بينهما رسائل متبادلة ولقاءات متكررة بدءاً من عام(١٩٠٨م)، وقد وصفه ماسينيون بـ(المعلم الأول والسيد)، وعده بمثابة الموجه لحياته، فكانت العلاقة بينهما كالأستاذ وطالب البحث، إذ أن ماسينيون يطلب منه قراءة أبحاثه بصورة مستمرة، والتعليق عليها وتنقيحها، وكان جولدتسهير مشجعاً له بحماس في كتابته عن الحلاج[2]. وقد قال له في إحدى المرات: **متى ستنشر أطروحتك؟ فمن خلال العينات التي أطلعت عليها أعتقد أنها ستعمل على إصلاح جميع أعمالنا. هذا العنصر جدًا مهم في الإسلام**، وعندما تنشر ماسينيون مقالة عن الحلاج وعلاقته بالزيديين، هنأه جولدتسهير، قائلاً: **عزيزي يا له من اكتشاف رائع حققته للتو في دراستك عن الزيديين وعلاقتهم بعبادة الحلاج، فمن خلالها ستحصل على نظرة متماسكة، بمثابرة جديدة للإنتاج حول الحلاج، وأشاد بجمعه الشامل للمصادر ونقدها.** وحين طلب من جولدتسهير التدريس في الجامعة المصرية القديمة ، أعتذر وأوصى بإناطة هذه المهمة للأستاذ ماسينيون الذي ألقى فيها اربعين محاضرة عن الاصطلاحات الفلسفية الإسلامية، وكان جولدتسهير قد أوصى بتوريث كتبه لماسينيون، واذا كان الأول حاول التقريب بين الإسلام واليهودية، فإن ماسينيون حاول التقريب بين الإسلام والمسيحية[3].

وبدا هذا التأثر واضحا في المناهج التي أعتمدها ماسينيون في أطار دراساته الإسلامية، وهي بصورة عامة تنطلق من ذات الرؤى البنيوية التي أنطلق منها جولدتسهير، وبلاشير، وغيرهما من

---

(١) مستشرق مجري ولد لأسرة يهودية عام(١٨٥٠ م)، ودرس في بودابست وبرلين وجامعة ليبتسك. وحصل على الدكتوراه فيها عام(١٨٧٠م). زار عددا من البلدان والمناطق العربية والشرقية، ثم عاد الى بودابست لتعمل بعض المناصب، ولتكثف على التأليف وتدريس اللغات السامية، ومن أهم مؤلفاته :الظاهرية مذهبهم وتاريخهم، ودراسات إسلامية بجزأين، محاضرات في الإسلام أو العقيدة والشريعة في الإسلام، واتجاهات تفسير القرآن أو مذاهب التفسير عند المسلمين . بدوي: موسوعة ،١٩٧٠-٢٠٣.

(2) *Ollivry:Louis Massignon ,Pp.281-284.*

(٣) انظر: بدوي . موسوعة،٣١٠-٣٢٠؛ *Ollivry:Louis Massignon,pp.282-291*

المستشرقين في المدارس الأخرى[1]. وبصورة عامة كانت هذه المناهج بمثابة المعطيات الثابتة، التي اعتمدها المدرس الاستشراقي في تناول هذه القضايا، والتعامل مع حقل الدراسات الإسلامية، والتي يمكن أن نوجزها بالتالي:

أولًا – منهج التفسير المادي للأحداث:

هو تعامل مستمد من فكر كارل ماركس[2]، الذي ألغى أهمية القيم الروحية والأخلاقية في حراك التاريخ الإنساني، وعلى الرغم مما عرف به ماسينيون من تعمقه الديني إلى حد التصوف، و روحانيته المتأصلة، إلا أنه وقع في بعض الأحيان أسيرا لهذا المنهج، كما يشير لذلك (*Pierre Rocalve*- بيير روكالف) في أطار دراسته لمناهج ماسينيون، إذ يرى الأخير أن الإسلام هو عودة لديانة الإبراهيمية البدائية، التي بشر بها النبي محمد للحصول على أكبر عدد من الأتباع، ولتجميع الأمم تحت زعامة واحدة بإطار ديني، وبالأخص أتباع النبيين موسى وعيسى، وصهرها في بوتقة واحدة، وبالتالي يكون الإسلام دين كوني على عكس اليهودية المنطوية على ذاتها[3].

---

(١) انظر: سعد، الاستشراق، ٣٠٧-٣٠٨.

(٢) مصطلح ألماني وضد لأبوين يهوديين اعتنق المذهب البروتستانتي عام(١٨٨١م) ودرس الفلسفة، وأعجب بالصفة الجدلية لهيجل، وعين استاذا للفلسفة في جامعة بون، واهتم بالعمل السياسي والاجتماعي عام(١٨٤١م)، وحرر مع صديقه فردريك أنجلز بيان الشيوعي، وحاول تنظيم الحزب الاشتراكي الألماني. ولكنه اضطر أن يلجأ إلى لندن عام(١٨٤٨م) حيث كتب أغلب وأهم مؤلفاته هناك. وأسس الفكر أو المذهب الاشتراكي في الاقتصاد. وغدت الماركسية والمادية أكثر تعبير عنه. توفي ماركس عام ١٨٨٣.انظر. يوسف كرم، تاريخ الفلسفة. ٤٠١-٤٠٢.

(3) *Rocalve:Louis Massignon, P.33*.

وأشار في السياق ذاته إلى أن النبي أدرك طبيعة المدينة بعد أن نفي[1] إليها، ولكي يحافظ على مركزه في بيئة إسرائيلية-توراتية، لم يستطع أن يفصح في بداية الأمر عن حقيقة طبيعة المسيح، وسر العذراء[2].

وادعى أن رفض النبي للتصوف والرهبنة في الإسلام يرتد بشكل وآخر إلى كونه رئيس للدولة، وهو يؤثر على حواراته مع أمراء الدول والحرب؛ ونبعا لذلك فإنه رفض الاتحاد مع الذات الإلهية في قصة الإسراء والمعراج كالمسيح[3].

وأشار إلى أن النبي مارس في(سورة الإسراء) بعض التلفيقات بوعي أو بدون وعي؛ إذ عمد إلى ربط تخيلاته بسلسلة من التعبيرات البلاغية التي انطوت تحت تفسير الإلهام[4]. وطرح ماسينيون أيضا الفكرة القائلة: **أن الوحي كائن غامض، أو كما يسميه(الوجود الملائكي الغامض)، مثل أرواح النجوم أو اصوات الجن، التي أنكرها محمد، أثناء استماعه لها للمرة الأولى**[5]، وأشار في موضع آخر إلى أن النبي كان مستنيرا في بعض الجوانب، وأن نبوءته جزئية. كما أن اللغة العربية بطابعها البلاغي وخصوصيتها؛ هي ما مكنته من إبداء الإلهام والتميز[6].

---

(١) تعني بعض النصوص القرآنية بهذا المعنى، قال تعالى: ﴿وكأين من قرية هي أشد قوة من قريتك التي أخرجتك...﴾ سورة محمد ١٣. وقال تعالى: ﴿وإذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك...﴾ سورة الأنفال: الآية ٣٠.

(2) *Rocalve : Louis Massignon , P.42.*

(3) *Rocalve: Louis Massignon,p.49.*

(4) *Angelier: Écrits Memorables ,vole1,p. 31.*

(5) *Rocalve :Louis Massignon ,p.39.*

(6) *Rocalve :Louis Massignon ,p.48.*

وفي طرحه للقضية المهدوية رأى أن الأمل بظهور المهدي عند المسلمين الشيعة يرتبط بالأيام المأساوية التي مروا بها بعد وفاة النبي، الذي اختار له لقب الهادي، ولعجز الإمام علي عن الحصول على الخلافة، وبالتالي إبعاد أهل البيت عن المشهد السياسي الإسلامي[١].

ثانيًا – منهج الأثر والتأثر:

تكشف الدراسة المتعمقة لنصوص ماسينيون عن اتباعه لهذا المنهج بصورة ضمنية، شأنه شأن غيره من المستشرقين الذين تغافلوا عن الأصل الواحد لكل الديانات، وأنها سلسلة متكاملة، ولابد أن تتفق مع بعضها بخطوطها العريضة وتفاصيلها، كما العهد القديم والجديد، وبالتالي تتشابه في الأوامر والنواهي وهو أمر طبيعي يحكم به العقل والمنطق، فهذا المسيح نفسه يقول: **لا تظنوا أني جئت لانقض الناموس أو الانبياء. ما جئت لأنقض بل لأكمل**»[٢]، وبالتالي فإن المسألة ليست مسألة أخذ اللاحق عن السابق، وإنما هي منهج متكامل، وعبارة عن سلسلة إصلاحية، إلا أن المستشرقين يتغافلون عن هذه الحقيقة لتشكيك المسلمين بعقائدهم[٣].

ويمكن أن يستشف هذا المنهج في الكثير من آراء ماسينيون وطروحاته، ومنها قوله: **أن التجانس الأدبي في بعض سور القرآن الكريم، لا يدلل اقتصاره على الإلهام التشريعي فحسب، وإنما الاستعارة من النصوص الآرامية والمسيحية والإسرائيلية، التي تبنى محمد ترتيبها حسب رغبته الشخصية**[٤].

وعلى الرغم من اعترافه بأصالة القرآن يربط ماسينيون بين سورة الفاتحة والفكر الموجود في المزامير العبرية، إضافة إلى مقتطفات من الشعر العربي الإسلامي[٥]. وأضاف أن القرآن الكريم

---

(١) انظر: ماسنون، الآم الحلاج، ٢٧٢.

(٢) انجيل متى: ٥ ١٧

(٣) انظر: كريم، صورة اصحاب الكهف، ١٦٤ – ١٦٥.

(4) *Angelie: Écrits Memorables ,vole1,pp.331-334.*

(5) *Y.Moubarac: Opera Minora1 , Vole 1 , p.17.*

يختصر بأجزاء لا يستهان بها العبادات التوراتية من سفري التكوين والمزامير والأناجيل، باعترافات تشريعية للنبي محمد[1].

وأشار ماسينيون إلى الدور النصراني في حياة النبي عن طريق بحيرة الراهب، وورقة بن نوفل –معتمداً على ما بثه الموروث التاريخي السائد بهذا الشأن من روايات الإسرائيليات وغيرها– وألمح أيضاً إلى الدور قام به سلمان الفارسي فيما بعد بهذا الخصوص أيضاً، وهو بذلك يتبنى فرضية أن الواقع التاريخي الحجازي كاد أن يصبح نصرانيا بالكامل قبل مجيء الإسلام، حيث وضع الأخير حداً للنزاعات حول طبيعة السيد المسيح[2].

وأحال ماسينيون فكرة المهدوية وإن كانت لها– أصالتها المختلفة والمغايرة في الديانة الإسلامية–، إلى تأثيرات فلكلورية ما قبل إسلامية ويهودية ونصرانية، جرى صياغتها بطريقة شرعية عبر القرآن[3]. وأشار إلى أنها فكرة اعتنقتها آمال القبائل والشخصيات الأقل مكانة اجتماعية في المحيط الحجازي، قياساً بقريش ومثيلاتها من القبائل الكبرى[4]. وهي بحد ذاتها خليط من أفكار فارسية وبابلية ويهودية ومسيحية، وما إلى ذلك[5].

ورأى في الحلاج وآلامه ومأساته مثالاً على الترجمة المسيحية، والتناسخ في التصوف الإسلامي، والتأثر بالتصوف المسيحي[6]. وأنه استطاع ذلك من خلال شهادته على الصليب لتحقيق الوحدة مع الإله[7].

---

(1) *Rocalve:Louis Massignon ,p.33.*

(2) انظر: موريون، لويس ماسينون، ص58 – 62.

(3) انظر: ماسينون، الآم الحلاج، ص271.

(4) انظر: ماسينون، الآم الحلاج، ص272–273؛ الإسلام الكامل، ص113–114.

(5) انظر: ماسينون، الإسلام الكامل، ص113–114.

(6) انظر: عصمت الشرقاوي، ماسينون والعولمة، ص384–385.

(7) انظر: ماسينون، الإسلام الكامل، ص113–114؛ بعد الاستشراق، ص412–413.

ثالثا – منهج الاستبطان(المنهج الداخلي):

ويسميه ماسينيون البناء الاستبطاني(*Reconstruction introspective*)، بمعنى تحليل وإعادة بناء الظواهر التاريخية، ولاسيما الروحية منها، على أساس المعرفة الحدسية والتأمل العميق، فدراسة النصوص الدينية تقتضي عدم التوقف عند معانيها الظاهرية، وإنما ينبغي النفوذ لمعانيها وتفسيراتها الكامنة حقيقتها الروحية وبواطنها، وميدان اشتغال هذا المنهج هو التصوف وقضاياه، انطلاقا من التجربة العقلية والروحية التي يمر بها المتصوف، مرورا بالتأمل والنظر والذكر، ووصولا إلى المجاهدة والمكاشفة، ومن ثم تنتهي بالفناء في الله أو الحلول. ولابد لمن يريد الاقتراب من تلك الحقائق أن يعايشها، ويستشعرها بتجارب مماثلة؛ ولذا عمد ماسينيون إلى ممارسة عملية(تحقير الجسد)، وارتدى ثياب الزهاد والمتصوفة الرثة والمتواضعة، ونام في الأسطبل والعراء، وألزم نفسه بحياة تقشفية زاهدة غاية في الشدة والصرامة؛ ومارس الطقوس العبادية؛ من أجل استيعاب حقيقة التجربة الصوفية وفهمها باطنيا وروحيا، واستنباط بعض الأحكام منها[1]، فتمكن أن يثبت حضوره الفاعل في الحياة الاجتماعية العربية، وتحويل أكوام الوثائق التاريخية الخاملة إلى صورة حية[2]، عبر ادعاء تحقيق الكشف الباطني للمجهول ووسمه بالعمق الديني[3].

ومما يميز هذا المنهج أنه أضفى الصبغة الروحانية على العديد من الظواهر التاريخية، مبررا ذلك بأن للعقل حدود لا ترقى للوصول إلى الحقيقة، وأنه لابد من الاعتماد على الوحي والإلهام والكشف الباطني؛ لأنها خالدة خلود الروح[4].وبطبيعة الحال تبقى النتائج المستخرجة وفق هذه العملية ظنية وذاتية في المقام الأول، فتعطي صورا مشوهة عن الحقائق غالبا[5].

(١) ينظر: موريون،لويس ماسينون، ٣٧ – ٣٩؛ عباسي، نقد الخطاب، ٢١٨.

(٢) علي بدر: ماسينون في بغداد، ٨٦.

(٣)ينظر: بدوي، موسوعة، ٢٩.

(٤)ينظر: الشرقاوي، ماسينون والعولمة، ٣٨٧.

(٥) ينظر: علي عودة، علم النفس التجريبي،١٣.

ولعل أبرز الموارد لاعتماد ماسينيون على هذه المنهجية، هو ادعاؤه أن الحياة الداخلية للنبي تشير إلى الاتجاهات الصوفية لديه منذ بدء رسالته، فهو مؤمن بوحدانية الله ودعا إليها من أعماق قلبه، بالإضافة إلى أن واقعة (المعراج) تعبر بصورة أو بأخرى عن(الاتحاد بالله)، **ولكنه لم يتهيأ فرصة الإسراء والمعراج للاتحاد بالله والاندماج في ذاته، كما لم يستطع الصوفيون من بعده تحقيق هذا لاتحاد، باستثناء الحلاج الذي دفع حياته ثمنًا لهذا الاندماج**[1].

وقد أشار ماسينيون إلى أهمية هذا المنهج في دراساته فقال: **أن منهج الاستبطان الذي يستند إليه، وأحيا به علوم الإسلام، يجعل من المتصوفة أطباءً نفسيين، يسعون إلى مساعدة الآخرين**[2]. وجاء في إحدى رسائله لـ(محمد أركون) قوله: **في ما يخص العلوم الدينية، توصلت أخيرا إلى موقف منهجي(استبطاني) يمكن أن تجده معروضا، ليس فقط في مقالاتي، وإنما أيضا في الطبعة الثانية لكتابي(دراسة عن الأصول التقنية للتصوف الإسلامي)**[3].

ومن خلال هذا المنهج قدم ماسينيون عرضًا استبطانيًا موسعًا للحلاج، فتحدث عن بداية دعوته وأفكاره، وما أُنكر عليه من المقولات والمواقف، وسجنه وعذابه وآلامه، وطريقة محاكمته، والتهم الموجهة له وإدانته والحكم عليه، وصلبه وتعذيبه، وكأنه تقمص هذه الشخصية التاريخية وعايشها[4].

رابعاً – منهج التأويل والمقابلة :

ويقصد بالتأويل التفسير المأوراني للحادثة، أو البحث عن الأبعاد المضمرة فيها من خلال بعض الإشارات، والتأملات البسيطة، ويرتبط هذا المنهج بصعود نجم علم الفيلولوجيا في الفكر

---

(١) انظر: ماسي، نقد الخطاب، ١ ٢١٣.

(٢)انظر: بدوي، تاريخ التصوف الإسلامي، ٢٣.

(٣)انظر: أركون، نحو تاريخ مقارن، ٣٦٨ – ٣٦٩.

(٤) للمزيد انظر آلام الحلاج: ترجمة حسن مصطفى حلاج، ٣٠١– ٥١٢.

الغربي إبان القرن الثامن عشر ميلادي، وهي تعتمد على التحليل الثقافي للنصوص اللغوية المبكرة ودراستها [1]. ويعتمد هذا المنهج على أن النص –الديني خصوصًا– يتخذ في معناه أشكالاً أربعة: المعنى الأول: هو الفهم الحرفي للنص، والثاني: هو الفهم الرمزي له، والثالث: هو ما يستخلصه الباحث من قراءته للنص، وهو أعمق من المفهومين السابقين، أما المعنى الرابع –وهو الأهم بينها– هو (الشعور الديني– الروحي) المستخلص من النص المقدس. وهو ما يطلق عليه الباحثون: المعنى التأويلي أو *Anagogique*)، الذي يقود إلى التأمل والخشوع[2].

وهذا المنهج هو الآخر لا يعطي نتائج صحيحة؛ بسبب ذاتية التأويلات وخضوعها للمزاج والتجربة الشخصية، وهي مختلفة حتمًا من شخص لآخر وبالتالي يبقى باب التأويل مفتوح على مصراعيه، ومن جانب آخر هو يتصادم مع النص المقدس (القطعي) سواء أكان في القرآن أو التوراة والأنجيل، فليس كل شيء يحتمل التأويل[3]، هذا مضافًا لمزاجيات الكتاب ومستوياتهم العلمية، والفلسفية، وبالتالي فالنص بمواجهة منصات تشريحية متنوعة ومختلفة[4].

ومن قبيل اعتماد ماسينيون على هذ المنهج، قوله: أن النبي محمد لم يستطع أن يحقق (التجسد) أو (الاتحاد مع الله) في تجربته خلال (المعراج)، التي بقيت حدودها قاب قوسين أو أدنى– بحسب سورة النجم–، وبقي بعيدًا عن المجد الإلهي؛ وذلك بسبب ما استوحاه من إبليس (الشيطان)، الذي طالما خالط القرآن وفكر النبي كما في الغرانيق[5]، والذي بدوره (أي إبليس)،

---

(1) انظر: براهيم بن عمر، تأويل الجداني للتراث، 19.

(2) انظر: ماسي، نقد الخطاب، 1 216– 217.

(3) انظر: بدين بجدي، تر الاستشراق في الفكر العربي، 240–241.

(4) انظر: لوهيبي، الاستشراق الجديد، 183.

(5) تدعي قصة الغرانيق: أن النبي جلس في أحد الأيام في مجلس قريش فقرأ عليهم بعض آيات سورة النجم: ﴿والنجم إذا هوى . ما ضل صاحبكم وما غوى..﴾ حتى بلغ قوله: ﴿أفرأيتم اللات والعزى . ومناة الثالثة الأخرى﴾، ألقى الشيطان كلمتين على لسان النبي فقال: تلك الغرانيق العلى، وإن شفاعتهن لترتجى، ثم أتم السورة وسجد، وسجد معه كفار قريش فرحين لاعتراف الرسول بسرعة الههم، ومن ثم سأل جبريل الرسول عن مصدر هاتين الكلمتين، فحزن بذلك، فنزل قوله تعالى: ﴿وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي إلا إذا تمنى ألقى الشيطان في أمنيته فينسخ الله ما=

رفض أن ترتقي العبادة البشرية لله بأكثر من مستوى عبادة آدم، الذي أغواه؛ لتبقى البشرية دائما خاضعة لهيمنة وساوسه وغواياته[١].

وهو يعتمد في ذلك على التأويل المسيحي الكنسي لفكرة الارتقاء للاتحاد، وبحسبها إن الجسد الرافض للاتحاد مع الله هو جسد معذب بـ«الجذام الميتافيزيقي»[٢]. وبالتالي فإن رفض الإسلام لفكرة صلب المسيح والقول بأنه رفع حيًا؛ لأنه من الصعب على الإسلام التعبير عن موت الإله، فذلك يضر برسالته، فلم يتطرق إلى موت يسوع [٣]. ومن جانب هو يرى أن رسالة الإسلام رسالة توجيهية فقط؛ وذلك أن يسوع –بحسب القرآن– هو الحاكم المخلص في الدورة النهائية للحياة، ولا دور للنبي فيها[٤].

ويرى في اطار موضوعة(المباهلة) أن هناك تعاليًا في فكره التقاء الخمسة من أهل الكساء مع ثلاثة من الرهبان، وأن هذه المباهلة لم تنته حينها، وإنما تأجلت إلى يوم القيامة [٥].

=التقي الشعبان لما لحكمة الله آياته والله عليم حكيم؟ سورة الحج،الآية٥٢. انظر: ابن اسحاق،السيرة،٢ ١٥٦-١٥٨؛ابن سعد: الطبقات الكبرى،١ ١٧٤-١٧٧.

(1) *Rocalve:Louis Massignon ,p.49;Lude: pathways to an inner Islam,p.187.*

(٢) رياض بن يوسف: التأويل المسيحي، ٣٠.

(3) *Angelier.Écrits Memorables ,vole1,p.218.*

(٤)انظر: ماسينون، الآلام، الكامل،١١٣.

(٥)انظر: رياض بن يوسف، التأويل المسيحي،٣٨.

المبحث الرابع

البدلية، مفهومها وأبعادها الفلسفية

في طروحات ماسينيون

المبحث الرابع

البدلية، مفهومها وأبعادها الفلسفية في طروحات ماسينيون

اعتمد ماسينيون في مقارباته الإسلامية على فكرة أساسية نظمت مجمل طروحاته في الأبعاد الروحية الداخلية للإسلام، ولا سيما في دراساته المقارنة للتصوف الإسلامي وأقطابه الأولى. وتقوم هذه الفكرة على مفهوم أو مبدأ (*l Badaliyyah, Badaliya*- البدلية) الذي استوحاه عن مصادر عدة لحكايات وممارسات لقديسين وقديسات ضحوا بأنفسهم من أجل الآخرين، وفي مقدمتهم السيد المسيح نفسه، فهو المعيار الأبدي والنموذج الدائم للبدلية[1]. هذا فضلًا عن تأثره المباشر بصديق والده ومرشده فيما بعد (*Joris Karl Hysmans* = جورس كارل ويسمان ١٨٤٨– ١٩٠٧م)، وهو أحد أهم الروائيين الفرنسيين في القرن التاسع عشر، في الفكر الأدبي والجمالي لتيار الرواية الطبيعية والرمزية، وكان ولد لأب هولندي وأم فرنسية، وتحول في أواخر حياته من البروتستانتية إلى الكاثوليكية، وركز في رواياته الأخيرة على جوانب العتمة في مصير شخصيات عليلة أو مرتكسة، يدفعها اعتلالها وهامشيتها المقصودة والتباس محيطها

---

(١) تقارب هذا المفهوم فكرة الأبدال في الموروث الإسلامي بشكل عام، والموروث الصوفي بشكل خاص، فالأبدال في الموروث الإسلامي هم: قوم استخلفهم الله واستخلصهم لنفسه، وهم أربعون صديقًا أو ثلاثون رجلًا لا يموت الرجل منهم حتى يكون الله قد أبدل من يخلفه، وهم خلف الأنبياء، وأوتاد الأرض، فلما انقضت النبوة أبدل الله مكانهم الأبدال. ينظر: الغزالي، إحياء علوم الدين، ٨/ ١٣٨.

وهم في الموروث السني الأئمة الأولياء الأوصياء، جعلهم الله في الأرض أبدالًا، فقد ثبت الأنام بالرجال من هم هؤلاء الأبدال؟ قال: الأبدال هم الأوصياء، جعلهم الله في الأرض بدل الأنبياء، إذ ربع الأنبياء وختم النبوة بمحمد ﷺ. ينظر: الطبرسي، الاحتجاج، ٢/ ٣٣١.

وورد أن إن الأرض لا تخلو من القطب، وأربعة أوتاد، وأربعين أبدالًا، وسبعين نجيبًا، وثلاثمائة وستين صالحًا، فالقطب هو المهدي ﷺ، وقد يكون الأوتاد أكثر من أربعة، والأبدال أكثر من أربعين، والنجباء أكثر من سبعين، والصلحاء أكثر من ثلاثمائة وستين. ينظر: المجلسي، بحار الأنوار، ٥٣/ ٣٠١.

وهم عند المتصوفة سبعة رجال أو أربعين رجلًا، يسير أحدهم من موضعه فيترك عبدًا على صورته قد يحسن لا يعرفه أحد أنه فقد، وذلك معنى البدل. ويهولاء الأبدال يحفظ الله الأقاليم السبعة، لكل إقليم بدل، ولهم تنزل روحانيات السماوات السبع، وهم يعرفون سائر الأولياء من الأمة، ولا يعرفهم من الأولياء أحد، فإذا فقد واحد من الأربعين أبدل مكانه من الأولياء. ينظر: ابن عربي، الفتوحات المكية، ١/ ١٥٤؛ عبد الرزاق الكاشاني، معجم مصطلحات الصوفية، ٣٢–٣٣؛ الحنفي، معجم مصطلحات الصوفية، ٣٢–٣٣.

الاجتماعي إلى التركيز على الوجوه المظلمة من وجودها، وهو ما انتهى به على صعيد خياراته الخاصة وقلقه الفكري إلى أن يخوض في أواخر حياته تجربة التنسك والعزلة الإرادية[1].

وكان والد ماسينيون أرسله لزيارة ويسمانس والتعلم منه، فأثرت صلته بالأخير في أعماق روحه، وأحدثت فيها تغيرا جوهريا ظل يستذكره على الدوام، ويعرب عن امتنانه له، ومن ذلك قوله: أنا مدين لصلاة ويسمان باستعادتي للإيمان، ويسمان هذا الكاتب الكبير الذي تحول للإيمان، إن ما يعنيني هو القيام بواجبي المليح تجاه ويسمان الذي أدين له باهتدائي مرة أخرى للطريق السليم، والذي دعا لي تالها اثناء احتضاره، والذي تلقى آخر نظرات أبي المحتضر، والذي أرسلني بعد وفاة أبي إلى (Daniel Fontaine= دانييل فونتين) هذا القديس والكاهن الرائع الذي كان آخر من تلقى اعترافه، والذي أباح لي بسر شرف زمالة العمل الأخوية، أي المشاركة بواسطة البدلية الصوفية بين المذنب التائب وأخيه المذنب الذي لم يتب بعد، لأنقله -أي السر- للآخرين. وهكذا كان ويسمان حاضرا على الدوام كشفيع لماسينيون، وما كان من الأخير إلا أن أهدى أهم أعماله عن الحلاج إلى ذكرى شفيعه و مرشده، فهما بالقطع أكثر منظري التصوف البدلي منهجية، وأكثر مطبقيه دأبا، وأعلى قمة من حيث القوة[2].

وقد تلقى ماسينيون عن ويسمان اعتقاد إمكانية أن يُكفر عن خطايا الآخرين من خلال تقديم معاناته نيابة عنهم، ومن ثم أصبح هذا الاعتقاد الذي تلقاه في عمر السابعة عشر أحد أهم أركان إيمانه الكاثوليكي[3].

على أن ويسمان اعتمد ثمة استعارات محددة في رواياته لمفهوم البدلية، فعندما وصف أبناء الضوائف المتآلمة قال: إنهم مانعوا الصواعق بالنسبة للمجتمع، وهم من يمتصون

(١) انظر: ويسمانس، رواية المرفأ، مقدمة المترجم، ٥- ٧.

(٢) انظر: فرنسو أنجلمر، الألم والبدلة والغفران، ٣٠- ٣٣.

(3) *Lude Massignon lnterIeur ,p.76.*

إغراءات الرذائل. ويحفظون بفضل أدعيتهم الذين يعيشون في الخطيئة مثلنا. وأخيرًا فهم الذين يهدئون من غضب العلي. ويحولون دون إدانة الأرض. ومنح إحدى شخصياته الروائية المقدسة في التصوف البدلي عام(١٩٠١م)، وهي(اليدوين) وسم أنها كانت: مغناطيسًا للآلام. تتجمع عنده بقايا العذابات والآلام المبعثرة. فتحولت البدالة في هذه الشخصية إلى حارس للتوازن الصوفي للعالم، والأمين عليه؛ فهي تمارس التضحية الرسولية، وتحافظ على النسب الدقيقة للخير والشر. وقال: إن هذا الكم من عذابات القديسات يحقق التوازن بين الكفتين في حالة رجوح كفة المظالم. فإذا لم تكن هذه النفوس التي تقبل مثل خالقها أن تعذب من أجل جرائم هي بريئة منها. إذا لم تكن موجودة لكان الوضع بالنسبة للكون مماثلًا لما ستكون عليه بلادنا من غير حماية السدود لها. أي لأبتلع فيضان الذنوب العالم كما يبتلع مد الأمواج هولندا[١].

ومنجد ماسينيون يسارع لاقتباس فكرة ويسمان هذه ليصوغها لاحقًا على النحو التالي: كل واحد منا حتى نقطة معينة مسؤول عن أخطاء الاخرين. ويجب على الطرفين التكفير عن بعضهم. وهو ذات الأمر الذي يشبه الفداء المسيحي. أو على حد تعبيره تضحية يسوع[٢].

وكانت فكرة **البدلية** لويسمان قد ألهمت شخصيات دينية أخرى، فعرضها القس الانجيلي (*Gevresin Bollan*-جيفرسان بولان)عام(١٨٩٥م)على أنها: المنهج الذي كان وما زال هو السبب المجيد لوجود الرهبنة. عبر حياة القديسين والقديسات الذين رغبوا بهذه التضحيات ليصلحوا خطايا الآخرين. بواسطة عذابات تطلعوا إليها بحرارة وتحملوها بصبر. والبدلية هي التي تخلص النفوس الأخرى غير القوية من المخاطر والمخاوف.

(١)انظر: فريد أنجلس، الأب والبدلة والنذر، ٣٢-٣٣.

(2) *Lude :Massignon lnterIeur,p.76.*

كأحد قوانين التصوف الكبيرة. ومعجزة للرحمة المطلقة. والانتصار الفائق للإنسانية للمتصوف[1].

وقد شكلت البدلية العمود الفقري للفكر الإيماني لويسمان، والذي بدوره علمه لماسينيون، إذ كان يعتبر البدلية السبب لتمجيد لوجود الرهبنة في حياة القديسين والقديسات، الذين آثروا هذه التضحيات، وأصبحوا خطايا الآخرين، وبالتالي الانتصار الفائق في تحملهم العذابات للإنسانية في التصوف[2].

أما من وجهة نظر تاريخية فقد كان مفهوم **البدلية** حاضرا في ممارسات طائفة(**إخوان الرحمة**)، تلك الطائفة التي أسسها(*Saint Pierre Nolasque*، *Peter Nolasco* - القديس بيير أو بيتر نولاسكو)، وهو أحد القديسين المشهورين في العصور الوسطى، ولد في قرية من قرى مقاطعة لانغدوك جنوب فرنسا عام(١١٩٨م)، وتربى في أحضان عائلة متدينة، فكان رحيما بالفقراء، ومحبا للصلاة ومساعدة الآخرين. وشارك في شبابه في إحدى الحملات الصليبية في مدينة نافار الإسبانية، وشاهد هناك أعمال القتل والحرق، فعقد العزم على تكريس نفسه لخلاص الأسرى(وخصوصا الأسرى المسيحيين بأيدي المسلمين)، وسعى إلى تأسيس طائفة دينية بمباركة البابوية تحت مسمى:(وسام سيدة الرحمة لفداء الأسرى)، واستمر على هذا المنوال حتى وفاته عام(١٢٨٦م)[3].

ومثلما كانت هذه الطائفة تطالب المسيحيين بفدية إخوانهم الأسرى لدى المسلمين وغيرهم، فإن (البدلية)بالنسبة لماسينيون المتشبع بروحانية زهدية خاصة بالفداء، هي الطريق الذي يمكن أن يصل من خلاله إلى الله. بمعنى أنه عندما يقدم نفسه فدية من أجل الآخر المذنب(المارق)، وبدلا عنه، فإن ذلك هو المرادف تماما للحقيقة المحورية للإيمان، ولذا نجده يقول في رسالة يكتبها

(١)انظر: فرانسو أنجلمه. الألم والبدلية والذكر، ٣٢.

(٢)انظر: فرانسو أنجلمه. الألم والبدلية والذكر، ٣٢.

(3) *Baring-Gould,:The Lives Of The Saints. 1897, Volume 01,PP.470- 472.*

إلى صديقه(*Claudel*-كلوديل)بتاريخ(١٩٠٨/١٠/١٧م): **إن التاريخ في تسلسله ليس إلا مجموعة من البدليات التي ترجع لزمن المذنبين الأول**[١].

ويمكن أن نعد هذه الفكرة امتدادا للتراث الروحي لرواديات القرنين الثامن والتاسع عشر التي لطالما مثلت الصليب على أنه سيف الحضور الإلهي الذي يخترق قلب المؤمن ويسمه بالإيمان (الوصم)، في الوقت الذي اتخذ منه ماسينيون رمزية لقلب العذراء، متماشيا مع ويسمان الذي رأى أن هذا القلب الممزق هو أصل الاستبدال الصوفي، وعبر عن ذلك بقوله: **إن الإنسانية محكومة بقانونين همل التضامن مع الشر، وقابلية التراجع للخير، وكل شخص مسؤول إلى حد معين عن أخطاء الآخرين**[٢]، وعد المسيح المعيار المنهجي لنظرية البدلية، وهو النموذج الدائم لها[٣].

وأشار بعض الباحثين إلى أن الروائي والكاتب والشاعر الفرنسي(*Léon Bloy* ليون بلوي) كان هو الآخر –عبر أعماله ونصوصه– من الشخصيات التي حفزت ماسينيون للتشبث بمفهوم **البدلية** وتطويرها، فإذا كانت هناك نقطة واحدة مدين بها ماسينيون لبلوى، فهي **الحاسمة في دراساته التي تتمحور حول العاطفة والرحمة والصلاة من أجل الآخرين**[٤].

ومن أبرز مؤلفاته التي تأثر بها ماسينيون روايته الموسومة:(*Albert Beguin*-ألبير بيجان)، فمن خلالها نقل لماسينيون مثال العذاب الحقيقي للتصوف.

---

(١)ينظر: فرانسو أجيله : الألم والبدلية والمذنبون، ص٣٠.

(2) *Dominique Avone: Les frères precheurs en orient,p.569.*

(٣)ينظر: فرانسو أجيله، الألم والبدلية والمذنبون، ص٣٣.

(4) *Lude Massignon lnterIeur,p .76* .

كما وتأثر ماسينيون أيضًا بالصحفي والروائي الفرنسي (*Barbey de Aurevily*- باربي دي دورفيلي ١٨٠٨-١٨٨٩م)، ولا سيما في روايته المعنونة: (*Un preter maire*-قس متزوج)، إلى غير ذلك من الأعمال الأخرى لرواتيين وفلاسفة آخرين [١].

وقد جعل ماسينيون من البدلية نظامًا لشتى مظاهر الحياة، ولتفسير التاريخ بعد فلسفي روحي تصل بالتفكر البشري إلى ما يسمى (نهاية التاريخ)، ولكونه عالم لاهوت كاثوليكي، وجد في نفسه الرغبة بتطوير النظرة اللاهوتية الكاثوليكية للأديان الأخرى، بدل من سياسات القمع التي مورست أثناء الحرب العالمية، والصراع اليهو-إسلامي على الأرض المقدسة، وإظهار (يسوع المسيح) كنوع من الرحمة العالمية عبر التفاهم الأخوي بين الديانات السماوية في القرن العشرين [٢].

تكمن فلسفة التاريخ عند ماسينيون بكونها سر لاهوتي، يمكن تفسيره تاريخيًا على إنه (سر الإثم أو الخطيئة)، ويتحتم على البشرية الصالحة حتى وإن كانت قلة، أن تعمل لخلاص كل الخاطئين [٣].

ويتم ذلك عبر سلسة متواصلة من هؤلاء الأبدال أو القديسين، أو رواد المجتمع الذين يدفعون التاريخ نحو نهايته، حيث يغدو التاريخ اقتباسًا موجزًا في المظهر الأخروي لهذه السلسلة المتعاقبة من الشهود، فالقداسة ليست انفرادية وإنما جملة من الفضائل، والرغبات المتواضعة، والخطايا [٤].

---

(١) انظر: فريد أنجيه، الألم والبدلة والقدر، ٣٤.

(2) *Aydin:Modern westen chisitign theological,p.16.*

(3) *Keryell :Louis massignon temps an Coeur denotre,p.53.*

(4) *Krokus: The Theology of Louis Massignon.p.195.*

وبذلك فإن ماسينيون يسير على خطى ليون بلوي الذي قال: إن التاريخ الفردي بالرغم من انجازاته الأولية أظهر اخفاقه النهائي، وأصبح مؤشرا على ضرورة التاريخ الجمعي. فهو حتى في اخفاقه دائم ومتجدد[١].

وبناء على ذلك جعل ماسينيون الألم هو الحجر الأساس في بناء البدلية، والمثل الأسمى لفكرة الألم هي عذابات المسيح على الصليب، لذا لابد من السير على خُطاه، والمعاناة كما عانى عبر الشفقة الروحية التعويضية(البدلية)من أجل حب النفوس وخلاصها[٢].

وهو بذلك يعد مريم العذراء المضيفة الرحوم للمسيح التي تقوم بدور الأمومة، ومقتدياً بها بنفسه حيث قال :أنه مختوم بصمت بهذه الإصابة في القلب(أي موصوم)،من قبل المضيف الإلهي (روح القدس)،الذي تفيض عنهُ في البستان أحشاء الزوجة العذراء المختومة، أي قطرة الدم تلك التي منحت يسوع حياتنا البشرية للأبد[٣].

استنبط ماسينيون فلسفة الضيافة التي توهجت لديه، وأدركها مؤخرا في الضيافة العربية على أرض الواقع من قبل(آل الآلوسي) المسلمين في بغداد، ومن تأثره الواضح بالاتجاه المسيحي الباطني في أفكار الفيلسوف اليهودي الفرنسي المعاصر (*Emmanuel Levinas*= أيمانويل ليفيناس ١٩٠٦-١٩٩٥)[٤]، الذي وحد بين المسيح وكينونة الآن[٥].

---

(1) *Keryell :Louis massignon temps an Coeur denotre,p.55.*

(٢)ينظر: فرسو أنجله. الألم والبدلة والنذر،ص٣٥.

(٣)ينظر: جاد حاتم.الأساس الفلسفي والمسيحي للبدلة.ضمن كتاب في قلب الشرق،ص١٥٨.

(٤: فيلسوف فرنسي ولد عام ١٩٠٥م) اشتهر بمقدرة الابداع لفلسفة علم الوجود فوعي وجه الخصوص أعمال الفيلسوف الألماني هيدغر . بدأ اهتمامه الفلسفي بعد دراسته الفلسفة عام ١٩٢٨-١٩٢٩م في جامعة فرايبورغ، وبعد أنهاء أطروحة الدكتوراه عمل لفترة مدرسا في باريس في مدرسة المعلمين الإسرائيلية الشرقية، والتحق بالجيش الفرنسي كضابط عند اندلاع الحرب العالمية الثانية، ثم أنتقل للتدريس في جامعة باريس عام١٩٦١م، والسوربون عام١٩٧٣م،وتوفي لفساس في باريس عام١٩٩٥م. ينظر الموسوعة البريطانية: https://www.britannica.com

(٥)ينظر: جاد حاتم: الأساس الفلسفي والمسيحي للبدلة،ص١٥٨.

وهي رؤية مشتركة بين ماسينيون وبلوي؛ لاهتمامات الأثنين بعذابات شخصيات سعت للتكفير عن الأخرين أمثال جان داراك، وماري أنطوانيت، إذ كان بلوي هو الآخر يرى أن العذاب الحقيقي هو أمر الرحمة وتعطف الإلهي، كما عدة المعيار والغربال لتمييز الجمال الأخلاقي (١).

إلا أن نظرية ماسينيون في تفسير التاريخ كانت أكثر صبراً من بلوي، الذي كان يتمزق روحياً ونفذ صبره؛ لتسريع مجيء المسيح؛ لأن ماسينيون تقبل التسويف بقلب صابر، ووضع تخطي بشكل أكثر ارتكازاً لتحقيق هذا الغرض، لأن الحراك التاريخي لا يختل خطاً مستقيماً، بل منحني لكي يصل إلى الأنسان الكامل (٢).

وهذا ما يظهر جلياً عند تتبع التاريخ، والبحث عن الكائنات المتألمة وسر هذا الألم، كالحلاج(مثال المسيح)، وفاطمة(مثال مريم) في الإسلام، وتنبي يونان(يونس) الذي ألقي في البحر ،هذا الفداء هو (العقيدة الخفية) في التاريخ، فإن التاريخ يقودهم لدموع مريم العذراء، من خلال دعوة بلوي المضادة للتاريخ المتكرر الكراهية، والتمجيد بالتاريخ الإبداعي لتقديسين (٣).

وعلى أية حال فقد تشكل فكر ماسينيون وتأمله الروحي من ثلاث مفاهيم أساسية مترابطة، هي:(**البدلية**)، وقد تمثلت بشهادة ويسمان، و(**الألم**)،وقد ارتبط بليون بلوي، و(**النذر**)، الذي نبع من عقيدة ماسينيون المسيحية والتراث الفلكلوري الذي تغذى طوال حياته عليه، حتى قال عن وقعها: **بأنها كالناقوس تدق فوق رؤوسنا**(٤). كما أشترك مع بلوي بتأرأي القائل: **إن التاريخ يتحقق بمعنيين، فهو أما يَنسج أو يُدبر، وأما يحاك، أو يخطط له، فهو نسيج وكتابة رمزية**(٥).

---

(١)انظر: فرنسو أنجلد ، الألم والبدلة والنذر،٣٧.

(2) *Keryell :Louis massignon temps an Coeur denotre,p.56.*

(3) *Keryell :Louis massignon temps an Coeur denotre,p.61.*

(٤)انظر: فرنسو أنجلد ، الألم والبدلة والنذر،٢٩.

(٥)انظر: فرنسو أنجلد ، الألم والبدلة والنذر،٣٨.

وهذا ما جعل السياق العملي لمفهوم **البدلية** في التصوف المقارن عند ماسينيون يرتكز على ما أسماهم بشخصيات(**الجسر المسيحي – الإسلامي**)، بما في ذلك المقدسون: (أهل الكهف، وفاطمة[1]، والحلاج، وسلمان بالك) لفهم إمكانية تحول الحب الذبيحي كيسوع، وفي توضيح له عن تأثير هذا التعاطف للقديسين البدلاء، كتب قائلاً: **إن للتعاطف البطولي تأثير على معظم سجلاتنا البشرية والتقليدية والشرعية. يظهر أن هناك سرًا للتاريخ وأن هذه القصة لا يتم الكشف عنها إلا للنخبة التي تم اختيارها، والذين ولدوا ليتحملوا الكرب الأعمى. وليكتشفوا أن الشر لا يمكن التغلب عليه بالقوة والعنف. ولا يمكن تغييره إلا من خلال المعاناة التعويضية. أو التعاطف الشديد أو الاستبدال المحب. فقط الأشخاص الذين يعانون من الحزن والرحمة، مستعدين لتحمل الألم الأعمى من أجل الآخرين**[1].

وهو يهدف من وراء ذلك إلى ضم الإسلام بشكل روحي – مع الحفاظ على اعتبارات كيانه القائم بذاته – إلى وجد الروحانية المسيحية ليكمل بعضهما الآخر، وخاصة أن الإسلام في بواطنه الروحية يشتمل على صورة وجه المسيح الذي نعبده، لكنهُ بانطباعاته غير الدقيقة من خلال نسبته فقط بكونه عيسى بن مريم[2].

وهذا ما يعلق عليه الناقد الاستشراقي (إدوارد سعيد) بأن أعمال ماسينيون تميزت بالازدواجية في تطبيقة الصوفية الواحدة بين فكر العالم والمؤرخ الأكاديمي، وبين اهتمامات رجل الدين من خلال ربط الحياة الروحية للمسلمين بالعقيدة الكاثوليكية، والبحث عما يقرب بينهما من الولوج بموضوع تبجيل السيدة فاطمة الزهراء، وعقيدة إبراهيم الخليل، وقصة أهل الكهف، وغيرها من الموضوعات الإسلامية[3].

---

(1) *Krokus: The Theology of Louis Massignon Islam,p.192.*

(٢)ينظر: حامد حاتم، الأساس الفلسفي والمسيحي لبدلية، ١٦٤.

(٣)ينظر: الاستشراق،٤٠٧-٤٠٨.

قد شكل عمل ماسينيون تحد لأي دارس للديانة الإسلامية، من خلال اخضاع دراساته العلمية للمنحى الروحي ولمنظوره الكاثوليكي، إذ تمكن وفق ذلك من تفسير ، وتأويل النصوص الإسلامية[1]. وذلك بتكثيف البحث في الأبعاد الصوفية لدراساته الإسلامية، كونه كاثوليكياً متصوفاً، نهض لإحداث ثورة ضد التيارات المادية الجارفة في عصره[2].

وقد سبق وأن تأثر ماسينيون بأحد شفعائه في هذا الفكر وهو(شارل دي فوكو)، الذي التقى به في صحراء المغرب قبل انخراطه بتعاليم الإسلامي؛ إذ وجد أن فوكو مختلف اختلافاً جذرياً عن نهج من سبقه من المستشرقين، فكتب عن ذلك قائلاً: **لقد ألهمني فوكو من خلال اتصاله الروحي بالعالم الإسلامي، واكتشافهُ القداسة فيهم**. وفي نص آخر عام (١٩٥٩م) قال : **لقد أخذني فوكو إلى ما وراء عالم الموتى، فأتصلتُ روحياً بشكل ملائكي مع روحه**[3] .

وقال عن قتله على يد عرب الطوارق: **إن الأمر يتعلق بالشهادة، والصلاة، والصوم، والصدقة، والحج بروح الاستبدال، التي يعتمد عليها خلاص البشرية جمعا بفضل الذبيحة القربانية للبدائل، التي دعاها الله نفسه لمنفعة إخوانهم المتعبدين**. وقد شكل ذلك- فيما بعد- جانبا من **الموضوعات الجوهرية في التفكير التأملي لدى ماسينيون، الذي أراد على غرار فوكو، أن يجمع تحت جدرانه الروحية المؤمنين بالقرآن، وخدام التوراة، وتلامذة المسيح**[4].

وبطبيعة الحال عمل ماسينيون على اختيار شخصية توفيقية للضيافة في البدلية؛ فاختار نبي الله إبراهيم، كإطار عام للتوليف بين أتباع الديانات الثلاث، منطلقاً من إخلاصه لفكر

(1) *Krokus: The Theology of Louis Massignon,p . 18.*

(2) *Remi Brague:Queiguse difficultes pour compender l islam,p. 4*

(3) *Brennd Moore:Kindered Friendship and resistance,p.78.*

(4) *Bromans:Louis massignon hier. to day,p.5.*

صديقه دوكور، الذي يرى بأن البدلية موجهة للذين لا يشاركوننا في الإيمان المسيحي من الديانات الثلاث، وحتى بعض المسيحيين الذين لم يدركوا سر الإيمان بيسوع المسيح[١].

وفي هذا السياق يجب أن لا ننسى العلاقة التي ربطت بين ماسينيون والمتصوف الإسلامي الحلاج، الذي عزز الجانب الروحي لدى ماسينيون، بعد الانقلاب الاستثنائي الذي حدث معه عام(١٩٠٨م) وشعوره بوجود روحي لعدة شخصيات تراءت له، ومنها الحلاج، الذي أرتبط به لأخريات حياته، ووصف نشوة تعرفه عليه بقوله: **أن سلسلة رائعة من النعم، قد نزعها الله عليّ**. وبذلك أصبح لدى ماسينيون اعتقاد جازم أن سر التاريخ يكمُن بكون العالم يخضع لما أسماهم: (أبطال الرحمة)، هؤلاء الشهود[٢].

وكان ماسينيون يرى في الحلاج تطبيقاً لمفهوم النذر المقدس، الذي عدهُ المغزى الحقيقي لكنه العالم المعاصر، عادا الحلاج محققاً لختم القداسة بعدد هائل من النذور[٣].

كما أشار لاعتباره شفيعاً روحياً له خلال وبعد حياته، فهو بمثابة التضحية النفسية(عيد القصح)، التي تنظم وتتـــوج مجموع البدليات الأخر في الفداء الأوحد[٤].

وذهب ماسينيون إلى أن هؤلاء النخبة من القديسين الذين مثلوا الإبدال النفساني، وأعلنوا استعدادهم للألم، يشكلون العامل الأساس لتغيير مجرى التاريخ، و نقل المعاناة، فتأثيرهم الإيجابي لا يكون مؤقتا على المجتمعات فحسب، وإنما تعطيهم وفاتهم مجدا خاصا[٥].

(1) *Duclero: Les mehamophose de soi ,p.424.*

(2) *Brennd Moore:Kindered Friendship and resistance,p.80..*

(٣)ينظر: فرنسو أنجلـه، الألم والبدلية والنذر،ص٣٩.

(٤)ينظر: جاد حاتم، الأساس الفلسفي والمسيحي للبدلية، ص١٥٩.

(5) *Krokus: The Theology of Louis Massignon,p.93.*

وأكد على أن الاستبدال التصوفي وفقا لمبدأ القديسين، وبتعريف مبسط، هو عقيدة الذين يأخذون مكانهم أمام الله عن طريق التضحية الطوعية، من خلال قبول الألم لإصلاح جسد المجتمع المكسور، بالعودة إلى الروحانيات الدينية، وهو القانون الأسمى للحب[١].

وهم بحسبه قد شكلوا بدائل مؤقتة للمسيح، أو ما أسماهم(الوساطة الإنسانية)، فقال: إن الله يريد أن تكتشف رغباتهُ الجديدة، وولعهُ المتجدد على الدوام بالأرواح، وأن نكون أبدالاً لهُ، بعد أن صار عاجزاً عن الاستمرارية في العذابات، لإصلاح ما أفسدتهُ الخطيئة الأولى[٢]. ولذلك نجد أن ماسينيون أستعان بالكثير من التفسيرات المغلوطة لفهم الحلاج لصلب الروحانية المسيحية، إن لم يكن فهمه لحقيقة الديانة المسيحية، بالرغم من تناقضه العميق مع المستشرقين الآخرين حول مبحث التصوف، على أنه دخيل على الديانة الإسلامية[٣].

وعلى صعيد التنظيم لهذا المبدأ أسس ماسينيون في مصر بشكل رسمي مع ماري كحيل عام (١٩٤٣م)منظمة البدلية، وهي حركة دينية مكرسة للصلاة والصوم من جانب المسيحيين الناطقين بالعربية نيابة عن المسلمون الذين يعيشون تحت سيطرتهم السياسية. وزاولت المنظمة أعمالها تحت اسم(دار السلام)، فكانت هناك اجتماعات ونشاطات دينية ومؤتمرات تعقد تحت رعايتها، كما قامت المنظمة بنشر ملف(نشرة البدلية)ورتب ماسينيون نسخًا من هذه المنشورات تتم إرسالها إلى أشخاص آخرين يشاركونهم نفس الأفكار[٤].

---

(١)انظر: فرسو أنجلو: الألم والبدلة والنذر ،٣٠.

(٢)انظر: حاد حاتم: الأساس الفلسفي والمسيحي للبدلة،١٦١.

(٣)انظر: حاد حاتم: الأساس الفلسفي والمسيحي للبدلة، ١٦٣.

(4) *Griffith: Louis Massignon and the challenge of Islam, pp.156- 157.*

وقد أدت مارى كحيل دوراً مركزياً إلى جانب ماسينيون في البدلية، وهنا يظهر احتياجه الدائم للروحانية الشرقية، وبفضل مساندتها له أصبح ماسينيون قساً كاثوليكياً في كنيسة الشرق، وأصبحت مارى المضيف الروحي له، على أساس الحب المتبادل بين الاثنين[١].

وبذلك تحققت توقعات ماسينيون عن الشرق على أنه بيئة روحية قادرة على استيعاب روحانيته وقدرته التفسيرية، لا سيما وأنه كان (منسوب العاطفة) على حد تعبير أدوار سعيد، وأنه كان مؤمناً بإمكانية اختراقه للعالم الإسلامي، لا من خلال الدراسة العلمية فقط، بل حتى من خلال تكريس جُل نشاطاته وخصوصاً دوره في جماعة البدلية[٢].

وكان ماسينيون حريصاً على في الحصول على موافقة الكنيسة ودعمها في أعماله، ولا سيما البدلية، حيث التقى بعدد كبير من البابوات، والأساقفة، والكهنة، حتى لقبه البابا بيوس الحادي عشر (١٨٥٧-١٩٣٩م) بـ (المسلم الكاثوليكي)[٣].

وعلى هذا النحو - وبحسب ماسينيون - يكون الأبدال هم الشخصيات المقدسة التي أدركت دورها في تاريخ الفداء، من خلال حياتها، وهؤلاء القديسون يستجيبون بشكل إيجابي وملموس للأمر الإلهي، الذي يتم التأكيد عليه. ومن أول نماذج هؤلاء المقدسين إبراهيم في ذبيحة إسحاق القربانية، إذ يبدو أن إبراهيم شارك بطريقة استباقية في ذبيحة يسوع ومنه استمرت القداسة[٤].

والأبدال أو القديسون هم رواد المجتمع الواسع، وهم يمثلون نقطة الارتكاز التي ترفع مستوى العالم، على سبيل المثال (الحلاج)، الذي أدى اعدامه إلى توحيد الفرق المختلفة عليه، و(غاندي)، الذي ساهمت أعماله في إصلاح المجتمع بعد وفاته[٥].

---

(١) انظر: حامد حاتم الأساس الصوفي والمسيحي للبدلية ،١٦٦.

(٢) الأستراني، ٤١٠-٤١١.

(3) *Krokus: The Theology of Louis Massignon,p .190.*

(4) *Krokus: The Theology of Louis Massignon,p.194.*

(5) *Krokus: The Theology of Louis Massignon,pp.195- 196.*

ومن خلال هؤلاء النخبة من القديسين الذين مثلوا الأبدال الفدائي، وأعلنوا استعدادهم للألم وعملوا على تغيير مجرى التاريخ، و نقل المعاناة من النساء والرجال، لا يكون تأثيرهم الإيجابي وقتياً على المجتمعات؛ لأنهم النخبة الحقيقية التي أعطت وفائهم مجداً خاصاً في تسيير حركة التاريخ(١).

وهؤلاء الأبدال- بحسبه- هم المسيرين للعائلة التاريخية، عبر تحملهم الألم، وتقديم أنفسهم كفداء للآخرين، فقال: يوجد دائماً قرناً تلو قرن، أضحيات خاصة، رجالاً ونساء، يرتضون تحمل نصيبهم من خطيئة العالم، مانحين الذي يبعث زوجاً جسدياً لهم، سعادة الاستمرار في العذاب من أجلنا، فالتاريخ في نهايته مواجهة بين الذي يفدى والذي يفدي(٢).

وبشكل عام يمكن أن نفهم البدلية بثلاث أوجه:

- أما أن يكون شخصاً بديلاً للآخر.
- أو أن يكون شخص مباطناً للآخر.
- أو أن يحتوي الشخص في ذاته على الآخر(٣).

وقد ذهب إلى أن دورة التاريخ تستمر برفد العالم بعدد من هذه البدليات إلى حين مجيء المسيح الأخير، الذي سيبقى محتضراً حتى نهاية العالم، ولا بد من الإيمان بأنه في حال ضعفنا عن إكمال مسيرة الأبدال سيهبط (عيسى المرتب) من السماء؛ حتى لا يتركنا نضعف، وعندئذ سيأتي آخر؛ ليتعذب بدلاً منا بواسطة البدلية(٤).

وبطبيعة الحال ظل ماسينيون وفياً لمبدأ (البدلية) طوال حياته، وكان في دراسته للتصوف الإسلامي يؤكد على الحفر المعرفي لتعميق المقاربة بينه وبين المسيحية، ولا سيما في كتابه

(1) *Krokus: The Theology of Louis Massignon, p.18.*

(٢) انظر: فرانسو أنجلد، الألم والبدلة والنذر، ٣٠.

(٣) انظر: جاد حاتم، الأساس الفلسفي والمسيحي للبدلة، ١٦٦.

(٤) انظر: جاد حاتم، الأساس الفلسفي والمسيحي للبدلة، ١٦٨.

التأصيلي للمفاهيم الصوفية:(*Essai sur es originesdu exique technique de la mystique musulmane Paris:J.Vrin,1964*- مقال عن أصول المعجم التقني للتصوف الإسلامي باريس: ج. فرين، ١٩٦٤)، الذي ركز فيه على المفردات الفنية للتصوف الإسلامي، وكان غالبا ما يقارن ويقابل المصطلحات التي يدرسها بالعادات المسيحية السابقة. وأحيانا يضع إلى جنبها التعبيرات التي يستخدمها الهندوس والبوذيون لوصف ظواهر صوفية مماثلة، متجاوزا بذلك ما يتقاضع مع النقد الإسلامي للرهبنة، والذي أعرب عنه جزئياً في العبارة الشهيرة المنسوبة للنبي (لا رهبنة في الإسلام)[١].

نقد مارس ماسينيون نفسه **البدلية** عام (١٩٠٩م)،نيابة عن صديقه الإسباني لويس دي كوادورا في الصلاة والشفاعة لإعادته إلى الحضيرة الكاثوليكية، وبعد عام(١٩٣٤م) تعاهد هو ماري كحيل على أن يقدما نفسيهما من أجل المسلمين، ليس لكي يتحولوا للمسيحية، ولكن لكي تتحقق إرادة الله فيهم ومن خلالهما [٢].

كما أقنعها أن تستبدل (دي كوادورا)، الذي مات آنفا بسبب شذوذه الجنسي، ومرتدا عن عقيدته الكاثوليكية، بالتكفير عن خطاياه عبر الصلوات له بأسمائهم العربية (إبراهيم - ماسينيون)، و(مريم- ماري كحيل)[٣]. حيث أتخذ من اسم إبراهيم اسماً عربياً له عام(١٩٣٢م)، ومن الإيمان بالتصوف الإسلامي- ولا سيما تمثله في شخصية (الحلاج)- مرتكزاً لبلورة معتقدة المسيحي، فغالباً ما كان يردد: **بفضلهم اهتديت لإيماني**[٤].

على أن اختياره لاسم(إبراهيم)، لم يكن اعتباطيا بقدر ارتباطه برؤيته الفلسفية لتاريخ، فهو إبتداء يمثل نقطة الارتكاز في الديانات التوحيدية الثلاث:(اليهودية، المسيحية، الإسلام)، ومن ثم أنه ربما حاول التكفير عن خطيئة سدوم(قوم لوط)، إذ صلى لنجاتهم، وكذلك ارتبط بمفهوم

(1) *Griffith: Louis Massignon and the challenge of Islam. P.151.*

(2) *Krokus: The Theology of Louis Massignon,pp.198- 199.*

(3) *Domink Avon:Les Frers precheurs en orient,p.569.*

(4) *Remi Brague: Quelgues difficuites pour compernder l islam,p.280.*

حسن الضيافة. وذهب ماسينيون إلى أن خطيئة(سدوم) لم تكن على مستوى الشذوذ الجنسي فحسب، وإنما الخطيئة الحقيقية هي فشلهم في الضيافة(١).

وذهب إلى أن السر التاريخي في دلالته سر لاهوتي، و هو (سر الخطيئة أو الإثم) ولخلاص البشرية منه، يجب أن تعمل القوات الصالحة وإن كانت قليلة على إعادة سدوم للسياق التاريخي، لأن الحضارات التي تموت لا تندثر ، وإنما تعود لتنمو من جديد، فالتاريخ لا ينطوي على الانتقام في نهايته بل يفزع إلى الرحمة(٢).

وعلى ما يبدو أن ماسينيون لم يتخلص من الأزمة الأخلاقية ،وأن الشعور بالذنب والإثم يقي يلاحقه طيلة حياته، وهذا ما يظهر جلياً في إسقاط أزمته الأخلاقية على البعد الفلسفي للتاريخ، وخلاص قوم سدوم، وهذا ما يفسرة قوله: كانت مشكلتي بالنسبة لي أنني أستخدم لغة خطاياي، وأنا في مسيرتي بحثاً عما يكفرها، عن شيء لم أكن أعرفه، وجدته في العذاب المشترك، ومراعاة حسن الضيافة(٣). موضحاً منهجة في تحقيق هذا التكفير الروحي عبر قوله: جعلت من نفسي عبدًا للجميع؛ لأحقق ذلك بشكل أكبر، بالنسبة لليهود صيّرتُ نفسي يهودياً من أجل أن أكسبهم. وبالنسبة للسياسة أصبحت سياسياً لمن يرغبون في القانون. ولمن هم خارج الناموس صرت خارجه لأربحهم. وكنتُ ضعيفاً لمن كان ضعيفاً، وقويا لمن كان قويًا. ولكي أكسب ود المسلمين أصبحت مسلماً مثلهم. وليشعر المسلمون بآلام المسيح وموته وقيامته. ويرغبوا صراحة بتضحيته. وثار الروح عبر إبقاء الجسد الخارجي للإسلام على حالة. وتمني التحول من داخل الإسلام. باعتبار الطقوس البديلة. والحج المشترك بين المسيحية والإسلام. هي الدعوات الأصيلة إلى الاتحاد الصوفي بين أصدقاء الله(٤).

---

(1) *Routiedee:Derrida and religion,p.82.*

(2) *Keryell:Louis Massignon temps an Coeur dentore,pp.53-054.*

(3) *Derrida and religion,p.84. Routiedee:*

(4) *Krokus: The Theology of Louis Massignon,Pp.206, 213.*

وكانت رغبته في استبدال المسلمين نابعة من امتنانه لهم؛ لكونهم ساهموا في خلاصه، فقال: صحيح أنني مؤمن مسيحي كاثوليكي. وقد أصبحت مؤمناً بعد سنوات من الشك ،وأنا مدين للأصدقاء المسلمين في بغداد الذين تحدثوا إلى الله عني بلغتهم العربية. ومن هنا كان امتناني العميق للإسلام وكرست جُل أعمالي له[١].

وقال في موضع آخر: لقد أعيدت حياتي الي، ليس لأتمتع بالعالم الذي ولدتُ فيه. ولا حتى لأبكي على خطاياي. ولكن قبل كُل شيء كي أقدم نفسي لأصدقائي المسلمين. الذين أعادوني إلى حضرة الله[٢]. وقال أيضاً: حتى وإن كانت المسيحية الأصيلة لا ترتضي إنكار المسلمين لفداء المسيح وصلبه. إلا أنها تدرك أن نداء الله موجه للبشرية جمعاء[٣].

وذهب ماسينيون إلى أنه يمكن عن طريق المحبة، والشفاعة، والصلاة، والاستبدال، إذا ما تمت بصدق، أن يتشكل تجمع أخوي إبراهيمي محب من المسلمين والمسيحيين، يؤمن بإثبات حدوث التجسد بالفعل. فالرب جعل نفسه إنسانا بدافع حبه الحقيقي لمخلوقاته، وخرج مقابل الفئات الشريرة، وهو يقتدي به في سلوكه هذا في التماهي مع الآخرين[٤].

ويرى ماسينيون أن الإسلام لم يذهب إلى حد الغائية النهائية للتاريخ كالمسيحية، ولذا ينكر القرآن تجسد المسيح الإلهي ،وتضحيته على الصليب. فقال: من خلال البدلية سيشعر المسلمون بآلام المسيح ،وموته، وقيامته، ولكي يرغبوا بدم المسيح، دون أن يتحولوا عن دياناتهم الإسلامية. وإنما عبر إيمانهم الداخلي، للرغبة في الاندماج الصوفي بين أصدقاء الله[٥].

---

(1) *Duclero: Les mehamophose de soi,p.423.*

(2) *Mystique et philosophie melees* : على الرابط ، www.librairieharmattan.com

(٣) انظر: حامد حنتوشة الأسامي، الفلسفي والمسيحي للبدلية ،١٤٧.

(4) *Krokus: The Theology of Louis Massignon.pp,208-210.*

(5) *Krokus: The Theology of Louis Massignon.p206.*

ولذلك كان أعضاء البدلية في آدابهم الصلاة، والصوم، والصدقة، والحج المشترك، يأملون بأن ينتمي عدد أكبر من المسلمين إلى روح الكنيسة، لأن رسالة القرآن – حسب رؤية ماسينيون – تكمن في التحضير للإنجيل، وهو في نهاية المطاف يبشر بعودة يسوع، ولذا يردد أتباع البدلية هذه الصلاة: أيها الرب يسوع، اجعلنا نحبهم بما فيه الكفاية، بحيث يمكن أن تصبح صلاتنا وصلاتهم واحدة فيك، بحيث يمكن صدقاتنا وصدقاتهم عبرك فقط، وأن موتانا وموتاهم يُمكن أن يجدوا المعنى فيك، أجعلنا نشبهك بما يكفي حتى يتعرفوا عليك في أفعالنا، وأنهم في حياتنا كأطفالك قد يتعلمون حالة أبنك في انتظار الساعة عندما يدركون أخيراً أنهم أبناء معك ومعنا، يكون ظهور الآب كاملاً ونهائيا في وحدة الروح، حتى يكتشفوا في وجوهنا لك، حتى يفهموا في أقوالنا، آمين[1].

وكان ماسينيون يُشدد على هذا المعنى، فيقول: يجب أن ترد المعروف لأخوتنا المسلمين، لتكمل ذلك النقص عبر مؤسسة خيرية مسيحية، كي يلتئم الخلاف بين الديانات الثلاث ويعود المسيح كما يعتقد بذلك المسلمون أنفسهم، وذلك بعد أن تصبح القدس قبلة الصلاة مرة أخرى[2].

وهنا لابد من الإشارة إلى أن مفهوم القبلة الأولى(بيت المقدس) مبثوث في التراث الإسلامي السائد بشكل مكثف، وأن النبي ﷺ يصلي نحو بيت المقدس والكعبة بين يديه وهو في مكة، وظل يصلي نحوه لمدة(١٦– ١٧)شهراً بعد هجرته إلى المدينة، ثم جاء الأمر بتحويل القبلة نحو الكعبة المشرفة(المسجد الحرام)[3]. ولكن النصوص القرآنية لا تشير لهذا المعنى بأي شكل من الأشكال!، قال تعالى: ﴿قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ ۖ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا ۚ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ۚ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ ۗ وَإِنَّ الَّذِينَ

(1) *Christian W: Live Given to the study of islal,pp20-21.*

(2) *Frederick Quinn:The sum of all heresies,p62.*

(٣) يُنظر: أحمد بن حنبل، مسند، ٣٢٥/١؛ ٣٥٧، ٢٨٩/٤؛ البخاري، صحيح، ١٠٤/١، ١٥٢/٥، ١٣٤/٨؛ مسلم: صحيح، ٦٦/٢.

أوتوا الكتاب ليعلمون أنه الحق من ربهم وما الله بغافل عما يعملون * ومن حيث خرجت فول وجهك شطر المسجد الحرام وإنه للحق من ربك وما الله بغافل عما تعملون *ومن حيث خرجت فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره لئلا يكون للناس عليكم حجة إلا الذين ظلموا منهم فلا تخشوهم واخشوني ولأتم نعمتي عليكم ولعلكم تهتدون »[1].

فالنصوص القرآنية لا تعين موضع القبلة الأول، والحالة الطبيعية أن النبي ﷺ والمسلمين كانوا يصلون إلى الكعبة، ولعل هذا ما تعني به الرواية السابقة(**يصلي والكعبة بين يديه وهو في مكة**). وبعد أن تحول إلى المدينة جاءه التأكيد الإلهي على التوجه نحوها كذلك.

وفي الواقع شكلت دراسة ماسينيون للحلاج نقطة انعطاف كبرى في حياته الروحية والدراسية، أي على صعيد تفاعله الشخصي-الروحي مع هذه الشخصية الصوفية الاستثنائية، أو على صعيد تحديد مساراته البحثية اللاحقة، ونهجه التطويري في دراسة الإسلام الداخلي وحياته الروحية، عن طريق السعي إلى التعميق الروحي لهذه الدراسات، ومن ثم وجد غايته لتحقيق هذا المبتغى في المذهب الشيعي، لاستثماره في تشكيل صورة المعاناة المسيحية في الإسلام والبدلية التي سعى لها؛ فهو يرى أن في كل من فاطمة ﷺ والحلاج، وصلاة كل منهما للمظلومين مثال على المسيحانية الإسلامية[2].

وعلى هذا النحو في التمزيج الفكري لتفسير التاريخ ببعد فلسفي صوفي، امتازت نظرية ماسينيون للتاريخ الإنساني على أنها أيضاً رؤية أنثوية، فإلى جانب شخصيات الشفاعة الذكورية أمثال: النبي إبراهيم ﷺ، ونيام أفسس (أهل الكهف)، والحلاج، تجد شخصيات نسوية خاصة، كالسيدة مريم العذراء ﷺ، والسيدة فاطمة الزهراء ﷺ، وجان دارك، وماري انطوانيت، وراعية الغنم (*Melane Calavat* -ميلاني كلافات) أو (شفيعة الأسالبت)، وهو يرى أن النساء لم

(١) سورة البقرة/١٤٤، ١٤٩- ١٥٠.

(2) *Rocalve:Louis Massignon,p.71.*

يخلقن للمطالبة بالعدالة، وإنما ليشهدن على تميز المستضعفين، ويمثلن السر النهائي للحراك التاريخي، لأن التاريخ لا تصنعه إرادة الرجال، بل آلام النساء[١].

وفي المحصلة النهائية يمكن القول أن فكرة البدلية، قامت وأصبحت بقوامها الفارغ أساساً في دراساته اللاهوتية والأكاديمية، بتغذيها المستديمة من ارتباطاته الفكرية بشبكة واسعة النطاق من العلاقات الاجتماعية، مع علماء، وأساتذة، وروائيين، وفنانين، ورجال دين عصره، ومن اعتقاداته المسيحية المتجذرة، وصورة الجسد البشري للمسيح الإله حسب المعتقد المسيحي، مما شكل الصورة التي أقتدى بها ماسينيون ليكون بديلاً عن المظلومين والمستبعدين في العالم، ويرى (فرانسو آنجليه) أن نظرية ماسينيون البدلية هي بوتقة جمعت أفكار و رؤى قرن ونصف من الروحانية الفرنسية، وعدت النتيجة الختامية لها [٢]. وبذلك فإن ماسينيون كغيره من الدراسين بصورة عامة لم يتمكن التخلص من الإرث الفكري، والشخصي، و الأيديولوجي الذي كان يثقل كاهله، بل عمل على إعادة تدويره وانتاجه بنسق متكامل طيلة حياته[٣].

وقد أستمرت جماعة البدلية بعد وفاة ماسينيون تدار من قبل تلميذة المخلص يواكيم مبارك، وبالرغم من كون البدلية لم تسعى لتحول الكلي للمسلمين عن ديانتهم، إلا أنها شكلت حركة ثورية في التضامن الراديكالي بين الكنيستين الشرقية والغربية، وبالتالي تحقيق المطالب الغربية التبشيرية والاستعمارية[٤].

(١) ينظر: فرانسو لفونيه، الجراحة الروحية، ضمن كتاب في قلب الشرق، ٤٨.

(٢) ينظر: الألم والبدلية والنذر، ٤٠.

(٣) ينظر: سعيد الأستراني، ٤١٧-٤١٦.

(4) . *Krokus: The Theology of Louis Massignon.p.201*.

الفصل الثاني

السيرة التاريخية للسيدة الزهراء(عليها السلام)

في كتابات ماسينيون

المبحث الأول

المرأة بين المسيحية والإسلام وأسباب

عناية ماسينيون بالكتابة عن السيدة الزهراء(ﷺ)

أولاً- المرأة بين المسيحية والإسلام:

ظهرت المرأة على امتداد المسار التاريخي للجنس البشري عبر تمثلات متعددة ومتنوعة في التفكر الديني؛ فهي منذ بداية الأفكار البدائية حول القوى الغيبية الواهبة للحياة، وارتباط الإنسان بالأرض، و غدت بمثابة الأم الكبرى للكون وآلهته، أو سيدته التي تمنحه المأوى، وما يحتاج إليه من ثمار، وزرع، وحطب، وعشب؛ فهي منشأ الأشياء، ومنها تصدر الموجودات، وإلى رحمها يؤول كل شيء، وفي منحى فكري آخر غدت الشمس أبرز الآلهة؛ فاضطلعت بدور الأم المنجبة التي أنجبت جميع الكواكب بما فيها الأرض عن طريق زواجها بالقمر، وبحسب ما تدل عليه المكتشفات الآثارية؛ فإن الآلهة الأنثوية واصلت ظهورها في شتى الجغرافيا السكانية الحضارية القديمة، في **سومر، وكنعان، ومصر، وآسيا الصغرى، وشبه الجزيرة العربية، والهند. وعند الإغريق، والرومان، والكلتيين (شعوب أوربا)**، وبعبارة أخرى إن طبيعة الحضور الأنثوي المقدس **كانت شاملة لهيكلية التفكر الديني العام**... وهو ما مهد لنظرية (المجتمع الأمومي /حكم الأم)، الذي يتضاءل فيه دور الذكر قياسا بدور الأنثى سواء في قيمتها الإلهية المقدسة، أو تمثلها البشري، مما أثار حفيظة الذكر ودفعه للعمل على قلب المعادلة، وفق النظام البطريركي *Patriarchy*، أو نظام الأبوية **حكم الأب**، ومن ثم الإمعان بتشويه صورة المرأة، وتهميش دورها في كتابات المحاخامات ورجال الدين اليهود، والرهبان والقساوسة المسيحيين، وصولاً إلى التفكر المادي الحديث الذي حاول الانقلاب على النص الإزدرائي فجعل للمرأة قيمة غريزية حيوانية لا أكثر [1].

وأول ما يمكن رصده في هذا اللحاظ هو النص التوراتي القائل: (**فأوقع الرب الإله سباتا عميقا على الإنسان فنام. فأخذ إحدى أضلاعه وسد مكانها بلحم. وبنى الرب الإله الضلع التي أخذها من الإنسان امرأة. فأتى بها الانسان، فقال الإنسان: هذه المرأة هي عظم من عظامي، ولحم من لحمي. هذه تسمى امرأة. لأنها من أمرئ أخذت**) [2].

---

(١) انظر كريم، المرأة والتكامل المجتمعي، ٢-٣.

(٢) سفر التكوين، الإصحاح ٢١-٢٣.

ومن هنا تأسس مفهوم اعوجاج المرأة، ومكانتها الدونية مقارنة بالرجل الحاكم عليها . وقد تلقف هذا المفهوم عدد من الباحثين والمفكرين بهذا الشأن ، فقال (ألكسندر روس =Alexander Ross) في كتابه(Adam and Eve in Seventeenth Century Thought =آدم وحواء في فكر القرن السابع عشر): إن حواء خلقت من ضلع آدم الأيسر، وكان هذا الضلع بمثابة الجانب الأضعف، ولذلك وصفت المرأة بالضعف وبالدونية[1]؛ ولذلك فاليهودي يردد في صلاته اليومية: مُبارك أنت يا رب، لأنك لم تجعلني لا وثنياً ولا امرأة، ولا جاهلاً[2] .

كما وصمت المرأة بالإثم، والخطيئة، وعدت صاحبة الذنب الأول المتسبب في خروج آدم من الجنة مقولة ذلك على لسان ادم المرأة التي جعلتها معي هي اعطتني من الشجرة فأكلت[3]؛ ولذلك قال الرب مخاطبا المرأة :لأكثرن مشقات حملك تكثيراً، فبالمشقة تلدين البنين، وإلى رجلك تنقاد أشواقك، وهو يسودك[4] .

انتقلت هذه النظرية المستقبحة للمرأة إلى المسيحية، فزخرت الأناجيل هي الأخرى بعدد لا يحصى من النصوص التي تمعن في امتهان المرأة، وتغييب دورها في المنحى الديني للحياة؛ فليس هناك تقاسم مشترك للسيادة بين الذكر والرجل في البناء العقدي للمسيحية، إذ تم تصور الوجه الفردي للرب على أنه وجه ذكوري! يمتد امتدادا للنظام السماوي الأعلى، فكتب القديس أوغسطين: ينبغي أن نخلص إلى أن الزوج قد قصد به أن يحكم على زوجته مثلما يحكم الروح على الجسد[5] .

(١) ينظر : صوالحي، المرأة في اليهودية في التوراة، ٥٠.

(٢) ينظر : صوالحي، امرأة اليهود، ٥٠.

(٣) سفر التكوين ٣، ١٢

(٤) سفر التكوين ٣/ ١٦.

(٥) ينظر : انبربي، الجانب المظلم، ٢٢.

وكان القديس بولس قد حاول في رسالته الأولى للكورنثيين أن يبين سبب هذه النظرة العدائية والمجحفة بحق المرأة، فقال: إن الرجل لم يتبع بالأصل من المرأة، وخلقت المرأة من الرجل، ولم يخلق الرجل من أجل المرأة، لكن المرأة خلقت من أجل الرجل[1].

وقد تبنت الكنيسة الكاثوليكية بشكل رسمي عقيدة وراثة الذنب الأصيل وانتقاله؛ فأصبحت خطيئة حواء (المرأة) سببًا في الطرد من الجنة، وانتقلت هذه الخطيئة لكل البشرية، ولكي يغفر الله هذه الخطيئة ضحى المسيح بنفسه وقتل مصلوبًا، فتسببت المرأة إذًا بقتل ابن الإله، وبسقوط البشر جميعًا من الفردوس!، ولقد عدت الكاتبة (Helen Ellerbe-هيلين إيليربي) هذه النظرة المجحفة للمرأة من الجوانب المظلمة في المسيحية، ونقلت عددًا من أقوال القديسين وآباء الكنيسة في كتابها[2].

وقد حرمت الكنيسة المسيحية المرأة من أن تقوم بتعليم الذكور؛ لكونها أدنى مرتبة منهم، فليس من صلاحياتها تعليم من هو ارفع منها، ولذلك قام الرهبان المسيحيون في القرن الرابع الميلادي بتقطيع الفيلسوفة الافلاطونية في الاسكندرية (Haybatia – هايباتيا ٣٧٠-٤١٥م) بأصداف المحار والخزف حتى الموت، لأنها تصدت لتعليم الذكور غاضبة بذلك أوامر الرب[3].

على أن هذه النظرة المتعالية والمتشنجة تجاه المرأة في المسيحية لم تستثن حتى السيدة مريم العذراء ؛ إذ تشير بعض نصوص الإنجيل إلى ضبابية العلاقة الباردة بينه وبين أمه[4]، فقد قدم عيسى على أنه ينتهر أمه العذراء، ويوبخها ويحدثها بقسوة وخشونة، فجاء في إنجيل (يوحنا): **وفي اليوم الثالث، كان في قانا الجليل عرس وكانت أم يسوع هناك، فدعي يسوع ايضا وتلاميذه إلى العرس، ونفدت الخمر، فقالت ليسوع أمه: ليس عندهم خمر، فقال يسوع: مالي ومالك أيتها**

(١) رسالة إلى الكورنثيين، ١١: ٨-٩.

(٢) ينظر: الجانب المظلم في المسيحية، ٤٧-١٧٥.

(٣) ينظر: داوود روشانى، هيباتا و الحب الذي كان، ١١٨-٨٦ بلزي: الجانب المظلم، ٢٣.

المرأة ؟ لم تأت ساعتي بعد [1]. وجاء في إنجيل (متي) أنه يفضل تلامذته عليها!: وبينما هو يكلم الجموع، إذ أمه وإخوته قد وقفوا في خارج الدار يريدون أن يكلموه، فقال له بعضهم: إن أمك وإخوتك واقفون في خارج الدار، يريدون أن يكلموك، فأجاب : من أمي ومن إخوتي؟. ثم أشار بيده إلى تلاميذه وقال: هؤلاء هم أمي وإخوتي؛ لأن من يعمل بمشيئة أبي الذي في السموات هو أخي وأختي وأمي[2].

وهذه الصورة الإنجيلية على تقاطع تام مع ما جاء في القرآن الكريم عن طبيعة العلاقة بين نبي الله عيسى وأمه مريم العذراء ، إذ قال-عز من قال-: «فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ قَالُوا يَا مَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا* يَا أُخْتَ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا *فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا * قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا *وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا *وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا» [3].

وإذا ما وضعنا تلك الصورة الإنجيلية الرائعة والمشوهة للعلاقة بين عيسى وأمه العذراء ، قبالة صورة الترابط والقرب والتماهي بين النبي والسيدة فاطمة ، نستشعر بهذا البون الشاسع في التصورين بين المسيحية والإسلام من خلال المكانة التي أعطاها الإسلام للمرأة؛ لامتزاج النبوة بالإمامة، وبالتالي جعلت من المرأة قطب ومحور المنظومة الدينية الإسلامية المتمثلة بالزهراء ، فتواجدها بهذا الثقل بكافة مفاصل تاريخ الدعوة والإسلامية ومحطاتها المهمة كحادثة الكساء، وحادثة الهجوم على الدار، وغيرها.. لا شك بين عظم المنزلة والدور الذي يحتله التواجد النسوي في الرسالة الخاتمة، وهذا ما أخرج بدوره الحضور النسوي الذي أريد له الوقوف عند مريم العذراء .

(١) الاحتجاج،٢ ٣-٤.

(٢) الاحتجاج،١٢ ٤٦ -٤٩

(٣) سورة مريم ٢٧- ٣٢.

فضلًا عن ذلك فقد قدم النص القرآني، المرأة بصورة مغايرة تمامًا عما في التوراة والإنجيل، ويمكن تلمس الأطر العامة لتفرق بين الصورتين على وفق النقاط التالية:

١ – لم يحرم الإسلام المرأة حقًا تقتضيه طبيعتها البشرية وتكوينها الفطري، ولم يكلفها واجبات غير قادرة عليها.ومنها قوله تعالى: «مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ» (١).

٢ – بين أن المرأة كالرجل في الطبيعة الإنسانية والبشرية سواء بسواء، لا فضل لأحد على آخر، ولا تمايز بينهما ، فهما متماثلان في الخلقة والابتداء، ومتشابهين في النشأة، قال تعالى: « يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا» (٢). وهناك العديد من الآيات القرآنية التي تجري في هذا السياق، وتعرض مفهوم التماثل والتكامل الانساني بين المرأة والرجل، وخلق الزوجين (الذكر –الأنثى)، رغبة منه في إزاحة وإلغاء الفكرة التوراتية(خلقها من ضلع آدم)، التي للأسف لقت طريقها للتسرب إلى الحديث النبوي ، عبر مدارس الوضاعين ونقلة الإسرائيليات ، فصاغوها بما يحلو لهم من صور وأشكال ! ؟، فرووا أن النبي ، قال : إن المرأة خلقت من ضلع أعوج. وإذا أردت إقامة ذلك الضلع المعوج فإنك ستكسره. قدارها تعش بها (٣).

٣ – بين القرآن أنه ليس هناك تمايز قط بين الرجل والمرأة في المنحى التعبدي وما يترتب عليه من ثواب وعقاب، قال تعالى: «مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ» (٤)،إلى غير ذلك من الآيات في هذا السياق.

---

(١)سورة النحل ،الآية٩٧.

(٢) سورة النساء،الآية١.

(٣) احمد بن حنبل: مسند ، ٨ البخاري،صحيح ،٤ ،١٠٣؛مسلم: صحيح،٤ ،١٧٨.

(٤) سورة النحل ،الآية٩٧.

٤ – حارب القرآن العادات الجاهلية التي تزدري المرأة وتحط من كرامتها وإنسانيتها، قال تعالى: «إِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالأُنثَى ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ * يَتَوَارَى مِنَ الْقَوْمِ مِن سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيُمْسِكُهُ عَلَى هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ» (١)، وقال تعالى: «وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ * بِأَيِّ ذَنبٍ قُتِلَتْ» (٢).

٥ – دفع عنها القرآن التهمة التي ألصقها بها كتاب التوراة، والإنجيل، والديانات الوضعية على أنها صاحبة الخطيئة الأولى، وهي من وسوست لآدم بالذنب فأكل من تلك الثمرة، وبين أنها وآدم اشتركا في تلك الخطيئة على حد سواء، قال تعالى: «وَيَا آدَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ * فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِن سَوْآتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ * وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ * فَدَلَّاهُمَا بِغُرُورٍ فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ الْجَنَّةِ وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا الشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ» (٣).

٦ – أمر القرآن بإكرامها غاية الإكرام، قال تعالى: «وَوَصَّيْنَا الْإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا» (٤)، وقوله تعالى: «وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا» (٥)،

(١) سورة النحل الآية ٥٨-٥٩.

(٢) سورة التكوير الآية ٨-٩.

(٣) سورة الأعراف الآية ١٩-٢٢.

(٤) سورة الأحقاف الآية ١٥.

(٥) سورة الإسراء الآية ٢٣-٢٤.

وقال تعالى: ﴿ ومِنْ آياتِهِ أنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أنْفُسِكُمْ أزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً ﴾ (١).

٧ – هذا فضلاً عن تشديد الإسلام على حقوق المرأة في الحياة الزوجية، والإرث والتعليم، وغيرها من الحقوق الأخرى التي تمتعت بها المرأة في ظل الرسالة الإسلامية، وتأكيد الرسول ﷺ على حسن المعاملة النساء في تلك البينة الذكورية، كما في حجة الوداع حيث قال: استوصوا بالنساء خيرًا فإنهن عندكم عوان. ليس تملكون منهن شيئًا غير ذلك، إلا أن يأتين بفاحشة مبينة: فإن فعلن فاهجروهن في المضاجع، واضربوهن ضربًا غير مبرح. فإن أطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلا، إن لكم من نسائكم حقًا ولنسائكم عليكم حقًا، فأما حقكم على نسائكم. فلا يوطئن فرشكم من تكرهون. ولا يأذن في بيوتكم لمن تكرهون. ألا وإن حقهن عليكم أن تحسنوا إليهن في كسوتهن وطعامهن (٢).

أضف لذلك أن النبي ﷺ في حديثه الشريف قد ركز على الصور المثالية النسوية العالمية، عبر نماذج أربعة: (آسيا بنت مزاحم زوجة فرعون، ومريم العذراء ، وخديجة الكبرى، وفاطمة الزهراء)، فقال: حسبك من نساء العالمين مريم ابنة عمران، وخديجة بنت خويلد، وفاطمة بنت محمد، وآسية امرأة فرعون (٣). وقال: سيدات نساء أهل الجنة أربع: مريم بنت عمران. وفاطمة بنت محمد. وخديجة بنت خويلد. وآسية(٤). وخص فاطمة ﷺ من بينهن بمكانة وتبجيل كبيرين، فروي أنه كان يمر ببيت فاطمة لستة أشهر إذا خرج إلى صلاة الفجر، فيقول : الصلاة يا أهل البيت، إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا(٥)، وقال:(فاطمة سيدة نساء أهل الجنة) (١)،

(١) سورة الروم، آية ٢١.

(٢) ابن ماجة، سنن، ١ ٥٩٤؛ الترمذي، سنن الترمذي، ٢ ٣١٥.

(٣) انظر: أحمد بن حنبل، مسند، ٣ ١٣٥؛ الترمذي: سنن، ٥ ٣٦٧.

(٤) انظر: الطبراني، المعجم الكبير، ٧ ٧٣؛ الحاكم النيسابوري: المستدرك، ٣ ١٨٥-١٨٦؛ الهيثمي، مجمع الزوائد، ٩ ٢٢٣.

(٥) انظر: أحمد بن حنبل، مسند، ٣ ٨٠؛ الطبري: جامع البيان، ٢٢ ١٣؛ ابن كثير: تفسير، ٣ ٤٩١؛ ابن حجر، فتح الباري، ٧ ١٠٤.

وقال: (أنها فاطمة بضعة مني يؤذيني ما آذاها وينصبني ما أنصبها)[٢]، وقال: فاطمة بضعة مني يقبضني ما قبضها، ويبسطني ما بسطها، وإن الأنساب لتقطع يوم القيامة غير نسبي وسببي وصهري[٣].

ثانيًا- أسباب عناية ماسينيون بالكتابة عن السيدة الزهراء( ):

شكلت الرؤية الاستشراقية التي تبناها ماسينيون عوامل عدة كان لها أثر مباشر على دراساته، فكان للبيئة الروحية والجمالية التي نشأ فيها أثر كبير في توجيه مسار حياته، إذ كانت والدته التي جسدت أقصى درجات التعبد الكاثوليكي، قد ساهمت في تكوين الصورة الذهنية عن المرأة العابدة لدى ماسينيون، ومن جانب آخر كان لاهتمامات والده أبيير روش بالشخصيات الأنثوية البطولية أمثال: جان دارك، وإيمانه بأنها تشكل تمثلاً لصورة مريم العذراء ، وتشبعه بدراسة الفن الروماني واليوناني القديم؛ دور كبير في تشكيل الشق الآخر من توجهات ماسينيون الفكرية، وامتزاجها بالبعد التاريخي الاسطوري.

كما كان للمفارقة بين الشرق والغرب في الجوانب الروحانية، وهو الأمر الذي أدركه ماسينيون بعد زياراته المتكررة للشرق، الأثر الكبير في ملئ تلك الفجوة النفسية العميقة لديه، ولا سيما مع تلاشي الروحانية الدينية في الغرب، وانتشار التيارات الفكرية المادية.

وقد تشكلت بدايات هذه الصحوة الروحية- الصوفية لدى ماسينيون بتعرفه على الحلاج الذي أثار انتباهه، ومن ثم الأزمة الروحية التي مر بها عام(١٩٠٨م)، والتي أدت بدورها دورًا كبيرًا في التغيير المحوري لمجريات حياته، وذلك بعد اعتقاله بتهمة التجسس على الدولة العثمانية، و ظل ماسينيون في

---

(١)أحمد بن حنبل: مسند،٣ ،٨٠الحاكم: المستدرك،٣ ،١٥٦ العدني: الآمالي،٢٣؛ البخاري:صحيح،٧ ،١٤٢ مسلم:صحيح،٧ ،١٤٣.

(٢) ابن أبي شيبة: المصنف،٧ ،٥٢٦؛أحمد بن حنبل: مسند،٤ ؛البخاري صحيح،٤ ،٢١٠؛ النسائي:سنن،٥ ،٩٧؛ الطبراني:المعجم الكبير،٢ ،٢٠٨؛الهيثمي:المجمع المصنف،٢ ،٢٠٨.

(٣)أحمد بن حنبل: مسند،٤ ،٣٢٣؛ الهيثمي: مجمع الزوائد،٩ ،٢٠٣.

أزمة ضمير لاعتبارات أخلاقية ونفسية وما إلى ذلك، قرر على أثرها الانتحار ولكنه لم يمت ، واصابته بالملاريا والحمى، و نقل للمستشفى لعدة أيام، وقد تحدث عن هذه التجربة الشخصية. فقال: **بدأت أعاني من نفسي(ألم الضمير)، وأنظر كيف أنتهى بي الحال بعد أربعة سنوات من أفعالي اللاأخلاقية، بأني حتى وإن مت ستسعد عائلتي لنسيان شخص مثلي. فقررت أن أنهي حياتي بضرب قلبي بسكينة صغيرة، ولكنها لم تُحدث سوى جرح سطحي نازف بعد أن اخترقت قميصي. وأنا أصرخ أريد أن أموت**[1]. وفي هذه الظروف العصيبة تجلى له الحضور المقدس للحلاج، وشخصيات ذكورية وأنثوية أخرى، كشفعاء، روحيين لسلامته وانتشاله من حالته النفسية. وقد قال في هذا الصدد: **شعرت على وجه اليقين بحضور أبداعي خالص لا يوصف، حيث أوقفت عقوبتي من خلال صلوات الأشخاص غير المرئيين. زوار سجني. الذين أرهقني كثرة التفكير بأسمائهم، كان الاسم الأول لأمي التي كانت تصلي لي في ذلك الوقت في لورد. والثاني اسم دي كوادورا. والثالث ومن المخاطرة التخمين به اسم الحلاج. والرابع وبسمان. والخامس شارل دي فوكو، إضافة إلى عدة اسماء اخرى**[2].

وبلا شك كانت هذه العوامل ذات ارتباط مباشر وغير مباشر في حياته، مضافاً للشخصيات التي كان يستحضرها على الدوام، والتي سينضم إليها-لاحقًا- في تأمله الروحي، فاطمة الزهراء (ر.ض)، وسيبقى طيلة حياته على أتصال روحي بهم[3].

وإضافة للعوامل الروحية الآنفة الذكر، لا يمكن أن ننسى المعترك السياسي والحرب (الحرب العالمية الأولى والثانية)، التي عاصرها ماسينيون كجندي وكرجل سياسة فرنسي، والتي توافقت مع الظهورات المريمية في قرية (فاتيما) أو (سيدة السماء) في البرتغال لعدد من الأطفال الرعاة الصغار، ومن ثم لبعض سكان القرية لثلاث مرات على التوالي عام(١٩١٧م)، وقد دعت(السيدة المقدسة) في هذه

(1) *Bamford: Sacred Hospitality,p.4.*
(2) *Bamford:Sacred Hospitality,p.4.*

(٣) ينظر:موريون، لويس ماسينون ،١٠٧.

الظهورات إلى الرحمة والتسامح، وهو ما شكل تصورا اعتقاديا لدى ماسينيون بإمكانية الالتقاء (المسيحي-الإسلامي) عبر ما كانت ترمز له هذه الظهورات، أي عبر السيدة مريم العذراء، و السيدة فاطمة الزهراء، ولا سيما أن (السيدة المقدسة) في هذه الظهورات وبحسب شهود العيان، قد استطاعت تحريك قرص الشمس، التي كانت تحيط بها صعودا ونزولا لأكثر من مرة، فضلاً عن أن القمر قد سجد عند ركبتيها، وكان يتوج رأسها أثنتا عشرة نجمة[1].

وقد عدّ ماسينيون (الشمس)[2] علامة على هذا التلاقي (المريمي- الفاطمي / المسيحي-الإسلامي) في نهاية المطاف، وأنه إشارة لقوله تعالى: ﴿إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ ۞ وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتْ ۞ وَإِذَا ٱلْجِبَالُ سُيِّرَتْ ۞ وَإِذَا ٱلْعِشَارُ عُطِّلَتْ ۞ وَإِذَا ٱلْوُحُوشُ حُشِرَتْ ۞ وَإِذَا ٱلْبِحَارُ سُجِّرَتْ ۞ وَإِذَا ٱلنُّفُوسُ زُوِّجَتْ ۞ وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ سُئِلَتْ ۞ بِأَىِّ ذَنۢبٍ قُتِلَتْ ۞﴾[3].

وبناءً على ذلك كانت صورة (السيدة المقدسة)، هي الصورة الشكلية النمطية التي لطالما تصورها ماسينيون لتسيدة الزهراء في كتاباته، رابطًا بينها وبين الروايات التي تتحدث عن أنها خلقت قبل آدم وحواء[4]، على رأسها اكليل أو تاج متلألئ يرمز للنبي أو الإمام علي ، وقلادتها أو قرطها أبناءها، وفي روايات سيفها في حزامها كناية عن الإمام علي [5].

وتعود بدايات اهتمامات ماسينيون بالشيعة والسيدة الزهراء إلى عام (١٩٠٨م) بالتحديد، وذلك خلال رحلته إلى العراق، وزيارته لصحراء النجف وكربلاء، تلك الرحلة التي فتحت أمامه آفاق التعرف

---

(١) انظر: موريون، لويس ماسنيون، ٨٤-٨٥.

(٢) وورد هذا الرأي لدى ماسنيون متأثرا من التفاسير المتعددة القائلة بأن الشمس هي عين فاطمة الزهراء. انظر: سلمان الفارسي، الأنوار السماوية، ٢٨.

(٣) سورة التكوير، الآيات ١-٩.

(٤) على سبيل المثال لا الحصر: روي أنه لما خلق الله آدم وحواء نبختا في لجنة وقلادة من أحسن ما يكون هنا كذلك إذ هي بصورة جارية لم ير مثلها لها نور يخطف الأبصار. فقال: يا رب، ما هذه؟ قال: صورة فاطمة سيدة نساء ولدك. قال: ما هذا التاج على رأسها؟ قال: علي بعلها. قال: فما القرطان؟ قال: ولداها الحسن والحسين. انظر: الإربلي، كشف الغمة، ٢ ٨٣-٨٤.

(5) *Angelier: Écrits Memorables ,vole1,p. 255.*

على الفكر الشيعي ، والتعامل مع القدسية الدينية لشخصية الزهراء، وبالأخص عند الفرق المتطرفة والغلاة، كالإسماعيلية، والنصيرية، والدروز، التي انصبت عليها اهتمامات ماسينيون البحثية حول التشيع[1].

من جانب آخر كان ماسينيون وليد عصره وبيئته، التي تهدف إلى التعرف على الواقع الإسلامي للمرأة المسلمة، والقيود التي فرضها الإسلام عليها حسب وجهة النظر الغربية السائدة، حيث كانت مسألة المرأة في الإسلام في طليعة النقاشات السائدة حينئذ في نقاشات الفكر الغربي[2]. ومن نافل القول في هذا المجال، نجد أن ماسينيون يفسر موقف السيدة الزهراء من سلطة الخلافة، والأحاديث المروية عن نزاعها مع المهاجمين لدارها، وتهديدها لهم بنشر شعرها، والدعاء عليهم مالم يتركوا الإمام علي [3]، على أنه يحسن إشارة لظهورها القوي على معطيات التاريخ لزمنها، وأنه مؤشر رمزي للتحرر الروحي للمرأة على السلطة الدنيوية[4].

هذا في الوقت الذي تنضح كتابات ماسينيون، كما غيره من المستشرقين، بفكرة أن الإسلام تقليد كاره للمرأة؟؟ بسبب تعسف القانون التقليدي المتوارث، وسلطة الرجل لا الدين، وبذلك تكون المرأة قاصرة في قانون الإسلام القديم، كما هو الحال بالعبرية، وأن ما ضمنه الإسلام لها هو مساواتها بالرجل في المثول الأخروي أمام الله[5].

بعد أن كانت الدراسات الاستشراقية تركز كتاباتها على القاعدة الهرمية للإسلام ممثلة بالنبي ، والقرآن الكريم، والوحي، ومصادر التشريع والفقه، إلى غيرها من الموضوعات العمومية، كدراسات تقليدية نمطية، أخذت هذه الكتابات مع ماسينيون تنحى منحى آخر، بالانكباب على جوانب أخرى لإبرازها، وعرضها بصورة مغايرة لوجهة النظر الغربية وبشكل أكثر خصوبة، ولا سيما دراساته في حقل

(1) *Lude:Massignon lnterIeur,p.109.*

(2) *Lude: pathways to an inner Islam,p.103.*

(٣) انظر: الطبرسي، الاحتجاج، ١٣ باب شهر آشوب، ١١٨٣.

(4) *Lude: pathways to an inner Islam,p.109.*

(5) *Lude:pathways to an Inner Islam,p.109.*

الشخصيات الإسلامية كالحلاج، والسيدة فاطمة ، وسلمان الفارسي، وما يتعلق بالتصورات المتكونة حولهم في التيارات والفرق الإسلامية المتطرفة[1].

وقد انصب اهتمام ماسينيون على ربط التقاليد الإسلامية بنظيرتها المسيحية، على أنها لا تعدو أن تكون مجرد بلورة لها، أو نوع من أنواع التمسك بالروحانية الأصيلة فيها، وقد أظهر ببراعة فائقة قدرته على الجمع بين اهتماماته المعقدة في الإسلام، وبين إيمانه الكاثوليكي الذي لم يتزعزع، ومن دون أن يبعده تعمقه في الصوفية الإسلامية، وارتباطه الروحي بها عن عقيدته المسيحية، فهو كاثوليكي للغاية، وصوفي للغاية في الوقت نفسه[2].

هذا في الوقت الذي نظر فيه ماسينيون للإسلام على أنه ثورة على الاستبعاد الإلهي لإسماعيل ، مقابل أفضلية اسحاق ، ومن ثم رغبة النسل الإسماعيلي في الظهور إلى حيز الوجود. وهو بذلك ينطلق من الفكرة التوراتية التي تُقدم إسماعيل على أنه منبوذ من الوعد الإلهي في تحقيق الامتياز المسيحي الموعود، الذي أُحتفظ به لإسحاق، وأن العرق العربي أقصي إلى الصحراء كالحمار وحشي »[3]، ومن ثم نال النبوة بعد ذلك بدموع هاجر، وصلاة إبراهيم، ولذا فهو يصف المسلمين بأنهم: شعب المستبعدين »[4].

وهذا ينطبق أيضًا على اهتماماته بشخصية فاطمة الزهراء ؛ إذ لا يعني ذلك إيمانه بهذه الشخصية بقدر ما تمثله من انعكاس لصورة السيدة مريم في المسيحية، أي وجه التقابل والالتقاء (الإسلامي-المسيحي) حسب زعمه. وكذلك الحال بالنسبة للحلاج، فهو لا يعدو سوى كونه تمثلاً للمسيح، ومن الساترين على خطاه في أنبل وجه، أو ما أصطلح ماسينيون على تسميته بـ«المسيح القرآني»، فهو يرى أن الحلاج مات مسيحيًا كاثوليكيًا[5]. وهي عينها رؤيته لسلمان الفارسي—كما سيتبين في الفصل الثالث—،

(1) *Massignon lnterIeur,p.9-10.: Lude*

(2) *Krokus :The theology of Louis Massignon,p.18.*

(3) جاء في التوراة: مادة الوحي لهاجر هاك حامل وستلدين ابنا . وتسمينه إسماعيل لان الرب قد سمع صوت شقائك. ويكون حمارا وحشيا بين الناس يده على الجميع ويد الجميع عليه، وفي وجه جميع اخوته يسكن. سفر التكوين،١٦ :١١-١٢.

(4) *Rocalve:Louis Massignon,p.28.*

(5) *Ziad elmarsafy:Esoteric islam in modern French thout,p.16.*

ولذا عمل جاهدا خلاف لباقي المستشرقين، على اثبات وجوده التاريخي، وادخاله في قائمة المعتنقي المسيحية النسطورية، الذين كان لهم الأثر الواضح في الفكر الإسلامي الناشئ.

وبشكل عام كان ماسينيون مدركا للأبعاد الروحية والدينية لشخصية فاطمة الزهراء [ ]، في الإسلام بشقيه السني والشيعي، على الرغم من التناقضات التي دارت حول الأحداث اللاحقة في حياتها، ومع أن دراسته لها لا تتخذ الطابع الموسوعي الذي تمثل بعمله الأكبر عن الحلاج، واقتصرت على مجموعة من المقالات والبحوث، التي لم تتطرق للمنحى التاريخي في سيرتها بشكل مفصل، واكتفت ببعض النذرات البسيطة، إلا أنها كانت من الأهمية بمكان، إذ ركز اهتمامه فيها على الجانب الروحي لها، انطلاقا من رؤى فرق الغلاة كالنصيرية، والدروز، فكتب عام(١٩٣٨م) (عبادة فاطمة الغنوصية في الإسلام الشيعي)، و (مباهلة المدينة المنورة وقداسة فاطمة)، عام(١٩٤٣م)، و(التجربة الإسلامية في التعاطف نحو العالمية عند فاطمة والحلاج)، عام(١٩٥٥م)، و(فصاحة مريم نظرة إلى خيمة عزاء فاطمة)، عام(١٩٥٦م)، و(مفهوم النذر وإخلاص المسلمين لفاطمة) في نفس العام.

ثالثا- علم الأخرويات النسوي وصورة المرأة المثال في رؤى ماسينيون :

انمازت دراسات ماسينيون عن غيره من المستشرقين في اعتماده على تجربته الشخصية، ومنهج الاستبطان أو(المعرفة الحدسية)، ولا سيما في الموضوعات(الدينية-الروحية) في حياة الشخصيات التي تناولها بالدراسة، إذ كان ينأى بنفسه عن المناهج التقليدية، ويعتمد على الطابع التأملي، أو ما يسمى بـ(الاستبطان أو المنهج الداخلي)[(١)]، الذي يقوم على النظر في البعد(النفسي-الروحي)، ولا شك أنه تأثر بذلك بأفكار عالم الاجتماع يونغ[(٢)]، الذي كان على علاقة متواصلة معه منذ الثلاثينيات وحتى الخمسينيات من القرن العشرين[(١)].

(1) *Ollivry: L place de la subgectivite dans letude la mystique musulmane P.196.*

(٢) عالم اجتماع سويسري ولد عام ١٨٧٥م، في مقاطعة انورغاو سويسرا ونظر عبوسه في مدينة بازل حيث تخرج من الطب وعمل عام ١٩٠٠م، طبيب مساعداً في مستشفى الأمراض العقلية ثم انتقل إلى بازل وترقى إلى رتبة طبيب ونسي الكتب مع شهرة

ونظرة للإقصاء والتهميش الذي لازمه خلال حياته، ومنهجه الدراسي الذي يركز على الأبعاد الروحية، مال ماسينيون إلى الطوائف والأشخاص المهمشين، أو المبعدين في التاريخ، وأخيرا وجد ضالته في(الحلاج)، و(سلمان الفارسي)، وبعض الطوائف الغنوصية المتصوفة، فضلاً عن النساء المتدينات اللاتي علاقهن بعناية(شهيدات الروح)[٢].

ولذلك كانت جل أعماله قد طغى عليها الجانب الذاتي الشخصي؛ فهو يبحث عن تفاصيل من شأنها أن ترضي قلقه النفسي، ونزعته الصوفية الداخلية[٣]، وتتسق مع رؤيته الدينية، وهذا ما نجده واضحا في اهتمامه الملفت بالحلاج، وسعيه الحثيث لإثبات نزعته النصرانية أو تأثره الضمني بالعقيدة النصرانية، وكان غالبا ما يحيط سلوكه وعلاقاته الشخصية بنوع من السرية والتكتم، انطلاقا من فكرة أن التقديسين العُشاق يتبع بعضهم البعض في الخفاء من جيل إلى جيل؛ فحافظ على سرية سلوكه الديني، وكذلك ما يتعلق بأعضاء البدلية(١٩٣٤م)، وعندما رُسم كاهنا عام(١٩٥٠م) في الكنيسة الشرقية، كان حريصاً أن لا يصل الخبر لباريس[٤].

واللافت للنظر هنا، أن ماسينيون وعلى الرغم من اهتماماته في ميدان الدراسات النسوية، كمريم العذراء، وللسيدة فاطمة الزهراء، وجان دارك، وغيرهن، وبحثه في سيرهن التاريخية عن الدعوة المريمية للمرأة، وما يساهمن به من مساعدة الرجال؛ إلا أنه مع ذلك لم ينل اعجاب معظم النساء المنخرطات في القضايا النسوية المعاصرة، وقد نقل عنه في إحدى محاضراته التي ألقاها في الجزائر عام(١٩٥٧م)، أنه قال: غالبا ما تعاملني النسوة بقسوة بسبب افكاري، ذهبت ووعظت بين النسويات. ولم يستقبلوني بشكل جيد، قائلين مع أن لديك طريقة في التعبير عن اعجابك بنا إلا أنك غالبا ما

وسعه في البلدان الأوربية بعد ان انكر منهجا جديدا في علم النفس يدعى الاختبارات التداعي الحر توفي توفي عام ١٩٦١م. انظر: يونغ، علم النفس التحليلي، ١٥-١٩.

(١) انظر: https://www.juanasensio.com

(2) *Lude: Massignon interieur,pp.9-10..*

(٣) انظر: https://www.juanasensio.com

(4) *Ollivry: L place de la subgectivite dans letude la mystique musulmane,pp.202-203.*

تجاهلنا على أية حال[1]. ويبدو أن ذلك متأت من ميوله الشخصية الأولى، ونزعته الصوفية الزهدية اللاحقة.

وعلى أية حال كانت السيدة الزهراء [illegible]، شأنها شأن شخصيات أخرى لامعة في العالم الانثوي من بين اهتمامات ماسينيون البحثية الرئيسة، منطلقًا في دراسته للمرأة من البعد الروحي، وتأملها السري، فمنها الانطلاقة الأولى للحياة، وفيها الغاية لنهايتها، حيث وضعت الجنة تحت اقدامها[2].

وعلى أية حال فإن ماسينيون في هذا المضمار البحثي كان يحمل اعتقادًا مزدوجًا، فمن جهة هو يؤمن بالله، ومن جهة أخرى يعتقد بيسوع الابن ويميل إليه، فكانت مقارناته إسقاطيه بالدرجة الأولى؛ ولذا كان يلح على إظهار عقيدته في الانتصار لمفهوم التضحية، التي تشكل صلب المعتقد المسيحي، وتدور حول (رسولية الألم والرحمة)، وما ينطوي عليه (السر الصوفي) في تاريخ البشرية[3]، المحكومة بقانون لا يمكن اهماله، وهو التقابل أو التداول بين الشخصيات الدينية العالمية كمريم وفاطمة [illegible] على سبيل المثال، وما يماثله ذلك من تواصل مع مبدأ (التضحية والفداء) ممثلاً بيسوع[4]. وبالنتيجة وجد ماسينيون في هذه الدراسات مرآة تعكس تأملاته الروحية، وشغفه نحو الاكتشاف المعرفي، وقد تبلور ذلك بتأكيداته المستمرة على أماكن وأشخاص روحيين أو متصوفة، وتركيزه على الفضاء الديني والاجتماعي للإسلام، بما في ذلك الاهتمام بمقابر المسلمين، وجغرافيا الأراضي المقدسة في الإسلام[5].

وبناءً على ذلك فإن ترويج ماسينيون لما يسمى بـ(علم الأخرويات النسوي)، لا ينخرط في مضمار الظواهر (الاجتماعية – السياسية)، ولا في إبراز دور المرأة بجوار الرجل كنوع من المساواة المدنية الحديثة؛ وإنما تكشف عن جانب أعمق – ولكنه مهمل غالبًا في أنساق الدراسات النسوية – وهو جانب (الشهادة

(1) *Loude :pathway an Inner Islam ,p.110.*

(٢) إشارة للمأثور (الجنة تحت اقدام الأمهات)، انظر: الطبراني، المعجم الكبير، ٢٢ ٣٨٩، السابع، ص ٦، ١١.

(3) *Krokus:The theology of Louis Massignon,p.44.*

(4) *Bromans:Islamochristiana,p.12.*

(5) *Lude: Massignon interieur,pp.16-17.*

الأخروية)، الذي لا ينفصل عن التضحية التي قام بها الرجل (يسوع)، ومن ثم الإحقاق النهائي للعدالة الإلهية، وما تمارسه الشخصيات النسائية كمريم العذراء، وفاطمة الزهراء، من دور في هذا الميدان بحسب عالمه الروحي[1]. وذلك من خلال تأمله في الطبيعة الوظيفية للمرأة، وما يتعلق بدورها في القضايا اللاهوتية، والجمالية، والنفسية المعقدة، التي يصعب فصلها عن روحانيات الدين الإسلامي؛ لارتباطها بما يسمى بـ(علم الباطن)، ومملكة السماء، وبذلك لا مراء في القول بأن عالم ماسينيون الداخلي هو عالم أنثوي[2].

وماسينيون في مساره البحثي هذا ينطلق من تأويلاته الصوفية، والتأكيد على امتيازات السيدة الزهراء الغيبية، بكونها(**حارسة السر المقدس**)، ارتكازاً على ما تشير إليه كلمة(**الروح**) القرآنية من صفة أنثوية، وما تمثله(الشهادة الصامتة)، التي اضطلعت بها كنوع من أنواع الترجمة المختلفة للصفة الذكورية[3]. وهو بذلك يُعمق البحث في ما أصطلح على تسميته بـ(**الإسلام الباطني أو الداخلي**)، محدثاً انعطافاً كبيراً في المسار الغربي لدراسة الفكر الإسلامي ومظاهره الروحية، ولا سيما عبر تلامذته والمتأثرين بأفكاره كهنري كوربان، وتلميذه الأخير كريستيان جامبيت[4].

وقد عدّ ماسينيون الجوهر الأنثوي الأساس الفعلي لتأسيس الإسلام كتجربة روحية، وترتبط الأنثوية هذه بضيعة التقاليد الخارجية(القوانين الاجتماعية) التي تتمتع دائماً بصفة الذكورية، مشيراً إلى أن الحبكة الخفية للتاريخ تكمن في سر امتياز المرأة الداخلي، أما الحراك الخارجي فيمثله الذكور(**سلطة الرجل**)[5].

وعليه فمن خلال التضحية بالنفس، والتفاني الذي تظهره النساء، يكون للمرأة دور مركزي في (خلاص العالم) من التاريخ الوحشي الذي صاغه بعض الرجال، إلى جانب دور النخبة الصالحة

(1) *Loude: pathways to an Inner Islam ,p.10.*

(2) *Loude :Massignon Interievr ,p.65*

(3) *Loude : Massignon InterIever ,p.66.*

(4) *Elmarsafy:Esoteric islam in modern French thout, Pp.3,8.*

(5) *Lude: Massignon interieur,pp.60-62.*

منهم (الصوفيين)، الذين يشكلون الأقطاب الروحية غير المرئية في الصيرورة التهانية للتاريخ، عبر تقديم أنفسهم لله من أجل الفداء أو الخلاص لغيرهم من الضالين[1]. ولكي يعمق ماسينيون نظريته الصوفية، وعلى خلاف كل من سبقه من المستشرقين، الذي عزوها لتأثيرات خارجية دخيلة على الإسلام، ذهب إلى القول بأن التصوف الإسلامي أصيل، وينبت من الجذور القرآنية[2].

وفي دراسته لمدينة القاهرة، حاول جاهدا اظهار اخلاص النساء للموتى، ودورهن في رثائهم في المقابر، وما يقمن به في الضيافة المقدسة[3]، فهن اللاتي يهبن الحياة، وهن اللاتي يدفن النسل، ويأتين للصلاة على الموتى يوم الجمعة، ولذا يصر ماسينيون بقوه على دور المرأة ووجودها وتقواها في البعد الروحي، وما يسهمن به من تشكيل رابطة شبه صوفية بين العالمين الدنيوي والأخروي[4]؛ لما تتمتع به النساء من إمكانية الوصول الحدسي الصوفي لقلب المغزى الروحي بشكل فطري في صميم كيانها، فيكون التاريخ من عمل الرجال وتوجيه مساره الروحي من صنع النساء[5].

ولأنه لا يمكن التخوض في الإسلام الداخلي دون النظر إلى دور النبي في تشكيله المفهوم الروحي للدين، ولتناقضه مع النظرة المسيحية حول التجسد البشري للإله، ولعدم ارتباط الإسلام بشكل جوهري باسم النبي كالمسيحية، لذا بدأ ماسينيون البحث عما أسماه (الإسلام الداخلي في شخص النبي)، مشيرا لعدم اكتمال (نبوة النبي)؛ بسبب رفضه الاتحاد مع الله (أي أثناء حادثة الإسراء والمعراج)؛ ولذا عمد لحل هذه القضية عبر مبدأ (الاستبدال)؛ فعدّ الحلاج وتصوفه سرا للديانة الإسلامية، وأنه استطاع الوصول لمرحلة الاتحاد (الحلول أو التجسد)[6].

(1) *Lude: Massignon interieur,p.75-76.*

(2) *Lude: pathways to an Inner Islam ,p* .34.

(3) *Lude: Louis massignon the Vow and the oath, p.10.*

(4) *Loude : Massignon InterIever, pp. 18-20.*

(5) *Loude : Massignon InterIever ,p. 77.*

(6) *Lude: pathways to an Inner Islam ,pp. 75-76.*

ووفق عالم ماسينيون الداخلي، تعدّ الشهادة أسلوب أساسي للتجربة الصوفية، وتظهر في شكليها الذكري والأنثوي، ويرتبط النوع الأول بالولاء اللفظي الذي يتماشى مع القانون السائد، أما النوع الثاني فيرتبط بشكل أعمق بالضمير البشري، ومفهوم النذر، وهو حقيقة سرية لا يكون فيها إلا الله الشاهد الآخر، وهي الدعوة الصامتة التي تحدد منحنى الحياة(**النذر**)[1]. وهذا لا يعني أن كل العناصر الذكرية خارج هذا الإطار الروحي، بل إن بعضًا منهم شهود معينين، أخذوا على عاتقهم التضحية وإبراز هذا النذر، وبالتالي الموائمة بين المساريين الداخلي والخارجي، مثل الشهادة الصوفية للحلاج(**أنا الحق**)[2]، من خلال دخوله تعالم الحب الإلهي والاستشهاد(**القتل عبر الصلب**)كوسيله لتحقيق هذه الشهادة(**الشهادة الصوفية**)، وهي على النقيض من صمت النبي(شاهد صامت)[3]. وبذلك تكون مقاربة ماسينيون للنبوة المحمدية مرتدة بالأساس لتصوراته الصوفية، والبعد الفلسفي (الاستبطاني)في تفسيره للتاريخ الديني، وعلى وفق ما استقاه من أيدولوجيته العقدية ومنظور التجسد المسيحي[4].

وهنا يأتي دور السيدة الزهراء( ) بحسب رأي ماسينيون، إذ ذهب إلى أن النبي محمد لم يستطع أن يحقق هذا التوازي(**التجسد او الاتحاد مع الله**) في تجربته خلال الإسراء والمعراج، التي كان حدودها قاب قوسين أو أدنى بحسب سورة النجم، وبقي بعيدًا عن المجد الإلهي، وسبب هذا الرفض هو نتيجة مستوحاة من إبليس، الذي ضالما خالط القرآن وفكر النبي كما في الغرانيق، والذي بدوره(أي إبليس)، رفض أن ترتقي العبادة البشرية له بأكثر من مستوى عبادة آدم، الذي أغواه؛ لتبقى البشرية دائمًا خاضعة لهيمنة وساوسه وغواياته[5].

---

(1) *Lude: pathways to an Inner Islam* ,p .*81.*

(٢) يقصد بمصطلح الشهادة الصوفية ما يدعيه المصلوبون من حالة الفناء في الله بدرجة أنهم لا يرون في الوجود غيره، وكأنهم يتحدون مع الشهود، فوجود، حقيقي ذاتي، ووجود غيره عرضي مجازي معرض للفناء والهلاك. ينظر: ابن عربي، فصوص الحكم،٢ ٦٦؛ الآملي، نصر المحيط الأعظم،٣ ٢١٢.

(3) *Lude: pathways to an Inner Islam ,pp .81-82.*

(4) *Lude: pathways to an Inner Islam ,p .82.*

(5) *Rocalve:Louis Massignon, p.49 ; Lude: pathways to an Inner Islam,p.187.*

وبالنتيجة فإن هذا النقص الروحي للنبي – بحسب ماسينيون – هو الذي يحدد محيط الوعي الديني الجماعي والاحساس، الذي يدور علاقته بالناموس (**مصدر الشريعة أو الله**) ، وهو ذاته ما جعله غير مهيأ للاتحاد الإلهي، وبالتالي فإن رسالة النبي لا يمكن أن تتكامل إلا بقبول الإنجيل (**فكرة التجسد والصلب والفداء**)؛ ليستطيع تحقيق الاندماج الذي حققه يسوع[1]؛ **ولذا عمل النبي على تدارك ذلك من خلال ابنته فاطمة الزهراء، التي حلت محل والدها كرهبنة لتطول شهادته غير المكتملة كنبي، وصولا إلى ولدها (المهدي) فقد كرسها بنفسه للضيافة، وتقديم الأضحية (الذبيحة القربانية) في نسلها الذكور، والدفاع عن استمرارية العرق (النسب المقدس). حيث تتوالد الرحمة الروحية**[2]. وهذا ما يفسر معنى (**الإسلام الداخلي**)، والارتباط الوثيق بين الأنوثة والحس الروحي للتاريخ الديني لدى ماسينيون، ولذلك فهو يرى أن كلمة (**الروح**) كما وردت في القرآن هي كلمة أنثوية، وهي تشير للدور المحوري للمرأة[3].

وهو في ذلك يتوافق مع التصور المتعارف عند الصوفية باعتبار المرأة عنصر الحب الإلهي، وأنها تطابق من حيث الجنس كلمتي (النفس) و(الروح) القرآنيتين، ولذا فقد حزن الرسول حزنا شديدا لفقدان زوجته خديجة، وحبه لابنته فاطمة معروف وجلي، هذا فضلاً عن توصيته بالنساء خيرا، وتصريحه بأن الجنة تحت أقدام الأمهات، وأن حب الأم هو حب للخالق[4].

وبذلك شكلت الانتقائية التي مارسها ماسينيون – أو لنقل التأويل ومنهج الاستبطان – وإن تراءت للبعض بشكل (فوضوي عبثي)؛ منحى مخطط دقيق، من شخص آمن الحياة الروحية بكل تفاصيلها، ولا سيما في أطار دراسته الروحية لفاطمة الزهراء [ع]، وتوغله في دراسة المفاهيم المتشكلة حولها، كمحاولة

(1) *Lude: pathways to an Inner Islam,p.82.*

(2) *Y.Moubarac :Opera Minora , vole 3,p.644*

(3) *Lude: pathways to an Inner Islam ,pp. 110-112.*

(٤) ينظر: أ. مارى شمل، الأنوثة في الإسلام، ٤١-٤٥.

لإظهار الصورة المغيبة لطبيعة الترابط بينها وبين المسيحية[1]. عبر ما اشتهرت به من روح العزلة والمعاناة، وممارسة الإيمان الداخلي، والنذر، وهو ما أسماه بـ(**الإسلام السري للمرأة**)[2].

وبالمحصلة النهائية فإن اهتمام ماسينيون بشخصية فاطمة الزهراء (ع) ينبع من ذات التوجه في اهتماماته بالمسيحية، والتصوف، والإرث التاريخي النسوي، وهذا ما يمكن ملاحظته على كتاباته عنها بما طغى عليها من التردد في بعض السياقات، التي تمثل التوجه الروحي للأنثى في الإسلام[3]. وما يراه من أنها تمثل الحكمة الصامتة، والمركز الأنثوي الذي يحكم علاقات:(**الأبوة، الأمومة، الزواج**)[4].

وهو بذلك ينطلق من الرؤية الفلسفة والتصوفية المتشكلة حول فاطمة الزهراء (ع)، وبالأخص التأمل في منزلة(**أم ابيها**) لدى بعض فرق الغلاة المتطرفة، فالإسماعيلية، والنصيرية، والدروز، يبجلون فاطمة كاسم إلهي(**كما هي مريم أم الإله**)، وأنها المرأة المثالية لجانب مريم في الإسلام، فعمل ماسينيون على تصوير هذه الفكرة بناءً على معياره الديني في دور مريم العذراء، فهي – بالنسبة إليه – رهينة بشرية لعذوبة الوصول الإلهي، بينما وصف مريم بأنها المضيف البشري للتجسد[5]. وهو بذلك يقارب ما تعارفت عليه بعض تيارات الفكر الصوفي، التي ترى أن تلقب الذكوري لفاطمة هو أسم من أسماء الله(**فاطر**)[6]. ولا سيما مع رغبته في إظهار التأثيرات النسطورية المسيحية في الإسلام، من خلال بعض الأساطير الدينية في

(1) *Rocalve:Louis Massignon,p.145.*

(2) *Lude: pathways to an Inner Islam ,p.104.*

(3) *Loude:Massignon Interievr,p.68*

(4) *Lude: pathways to an Inner Islam,p .106.*

(5) *Lude: pathways to an Inner Islam ,p.108.*

(٦) ينظر: آنا ماري شمل، الأنوثة في الإسلام،٥٨-٦٦. وورد أن السيدة فاطمة الزهراء (ع) اشتق اسمها من اسم الجلالة (فاطر) .ينظر: القاضي المغربي: شرح الأخبار٣ ٦-٧الكوفي:تفسير،٥٦-٥٧. ولقد استفاضت الباحثة انتصار العواد في تخريج وتبيان الأحاديث المتعلقة بهذه الموضوعه .ينظر: السيدة فاطمة الزهراء،٢٤٥-٢٣٣.

المتخيل الديني لفرق الغلاة والصوفية، وخصوصا في إيضاح مشاركة فاطمة الزهراء لمريم أم المسيح بجميع امتيازاتها، والتي عدّها القرآن النموذج المثالي للمرأة[1].

(1) *Loude : pathways to an Inner Islam,p.108.*

المبحث الثاني

المنحى الشخصي لحياة السيدة الزهراء (عليها السلام)

في دراسات لويس ماسينيون

في الوقت الذي بدت فيه المرأة مهينة لفترة طويلة، وعدت مصدرا للعلامة الأغراء وزوال النعمة في قصة الخليقة الأولى، وفي ذات السياق التاريخي ضعيفة ومفتقرة للقوة، وتشكل عبئا على الرجل؛ فقد ظهر عدد من النسوة اللاتي عرفن بالإخلاص والنبل، وحفظن الذكر في الكتاب المقدس، كمريم العذراء أم يسوع، والمرأة الأكثر حجابا في الإسلام، وهي فاطمة ابنة النبي محمد(١).

ينطلق ماسينيون في دراسته لسيرة السيدة الزهراء (ع) من هذا التصور الكلي ذي الدلالة العميقة، إلا أنه لم يخض غمار السرد التاريخي لسيرتها المعطرة، بل تعداها للتركيز على جوانب من قداستها، ومكانتها الجوهرية في الإسلام، وإصلاح ما أفسده سلفه الفرنسي لامنس في طروحاته التاريخية عنها، وقد أشار لذلك بعبارات قليلة ولكنها نسفت الهيكلية التاريخية التي تبناها لامنس، ونقلها بدوره لمخيلة الغربية عنها، وللوقوف مفصلاً على الرؤية التي قدمها ماسينيون، يمكن أن نتابعها على وفق النقاط التالية:

أولًا- الإطار النظري لطروحات ماسينيون حول السيدة الزهراء (ع):

تشكلت الرؤية الغربية الاستشراقية الحديثة حول السيدة الزهراء (ع) من خلال ما قدمه المستشرق الفرنسي اليسوعي هنري لامنس، ولا سيما في كتابه(*Fatima et less Filles de Mahomet*= فاطمة وبنات النبي محمد) الذي أصدره في روما عام(١٩١٢م)، وهي الرؤية التي عارضها ماسينيون جملة وتفصيلا؛ إذ أشار إلى أنه على الرغم من كونه مضطر إلى الاعتماد على هذا الكتاب؛ لأنه الكتاب الغربي الوحيد حول سيرة السيدة الزهراء (ع) في ذلك الوقت، إلا أنه سيستخدمه بحذر فاحص وريبة كبيرة، سواء مما قدمه لامنس، أو من المتن التاريخي الإسلامي، الذي لا يخلو هو الآخر -بحسب ماسينيون- من الاختراع والإسناد الباطل والتزييف والأكاذيب؛ كونه كتب بعد ثلاثة قرون من الاضطهاد الشرعي(**السلطوي**) للعلويين (٢).

(1) *Angelier :Écrits Memorables ,vole1,p.257.*

(2) *Angelier:Écrits Memorables,vole1,pp.257-258.*

وهو ابتداءً قد قرر هذه النتيجة بحق كتاباته، فقال: إن المستشرق الفرنسي اليسوعي الأب هنري لامنس(مداح الامويين) قد تحامل كثيرا على الصورة التاريخية لفاطمة. فأظهرها على أنها شخصية حزن وبكاء، تعاني من عدم التقبل، والمرض، وفقر الدم. وأن علاقتها مع زوجها علي كانت سيئة للغاية، وبذلك فقد انساق أمام تفضيله للأمويين؛ فردد الزيف التاريخي الذي صنعوه؛ بسبب العداء بينهم وبين العلويين، وفي حقيقة الأمر إن الواقع مخالف لذلك تماما؛ فقد ظلت فاطمة الزوجة الوحيدة لعلي طيلة حياتها، مثلما كانت أمها خديجة الزوجة الوحيدة لأبيها محمد. بالرغم مما اشتهر به ذلك العصر من تعدد الأزواج. وهذا إن دل على شيء فإنه يدل على مدى الانسجام والألفة المتبادلة والحب بينهما. لقد كانت حياتها خاصة واستثنائية [1].

وأضاف في هذا الصدد قائلاً: على الرغم من الصورة التاريخية الباهتة التي قدمها لامنس عن فاطمة، وهي صورة قوامها السخرية والازدراء. إلا أننا ومن جانب آخر كمغربيين حتى ذلك الوقت لا نمتلك سوى القليل من المعرفة عن الحياة القصيرة لفاطمة. لا سيما وأن التقاليد الإسلامية(المدونات)لا تتحدث عن مجرى حياتها بشكل مفصل وواضح [2].

وأشار أيضا إلى أن لامنس هذا المسيحي المتدين، الذي عاش لفترة طويلة في سوريا. بحماقته الوحشية يوبخ امرأة مثل فاطمة لتواضعها الجسدي. ويرفض كل حياة داخلية لهذا المدعاء الأبدي. وهذا يشيء بأنه فقد هذا الحب الإلهي الذي وجد فيه المسلمون الأوائل، ما يجعلهم مميزين في ظل الحرمان والفقر والمرض(الكائنات المضطهدة). كامتحان إلهي (زيارة إلهية). وأنهم بسبب ذلك سيكونون شفعاء للآخرين، وقد كان النبي محمد بدون أمل شخصي، وبدون ذرية ينعت بالأبتر. وحكم عليه بزواج عقيم. وحرم من ولده الصغير إبراهيم؛ فالتفت إلى ابنته فاطمة الوحيدة المثمرة. وزوجها علي ربيبه، فكان أولادها الذين ولدوا منها، والأجيال

(1) *Angelier :Écrits Memorables ,vole1,pp.258,243.*

(2) *Y.Moubarac:Opera Minora , vole1,p.515.*

القادمة التي لا تعد ولا تحصى بمثابة أولاده. مما سوف يكسبه اخلاصه لتحقيق دعوة وبشارة النبي إبراهيم[1].

ولابد من الإشارة هنا إلى أن الرؤية التي أرساها لامنس حيال السيدة الزهراء في كتابه سالف الذكر، قد وجدت صداها وتغلغلت إلى مجمل العقلية الاستشراقية الأوربية قديماً وحديثاً، وعليه فليس من الغريب أن نرى رجع كلماته في كتابات مواطنه المستشرق(*Emil Dermenghem*- إيميل درمنغم١٨٩٢-١٩٧١م)[2]، إذ قال: (كان للنبي ابنة أخرى غير متزوجة وكانت في العشرين من عمرها وكان اسمها فاطمة، وقد توفيت ابنته رقية منذ زمن قليل وكانت رقية متزوجة بعثمان، وكانت فاطمة نحيفة طويلة القامة مع شحوب (وقد توفيت فتاة كبقية أولاد محمد) وكانت فاطمة العابسة دون رقية جمالاً ودون زينب ذكاء)[3].

وقال في موضع آخر: (وقد نهكت أمور المنزل فاطمة البكاءة، فلما توالت حسراتها بسبب متاعبها المنزلية وأسقامها وحشنت كفاها بسبب الطحن والعجن، فسألت أباها أن يعطيها أمة لتعاونها، فأشار عليها بأن تتلو عند منامها دعاء خاصاً)[4].

وقال بخصوص زواجها من الإمام علي[5]: (ولم تدر فاطمة حينما أخبرها أبوها من وراء ستر أن علي بن أبي طالب ذكر اسمها، وكان في العادة أن البنت إذا ما وافقت على الزواج سكتت وإلا حركت الستر، فلما أُخبرت فاطمة بذلك صمتت، فكان فقيراً زوجها ذلك عن حياء، أو حيرة ما دامت قد قالت

---

(1) *Angelier: Écrits Memorables,vole1,p. 273.*

(٢) مستشرق فرنسي، عمل مديراً لمكتبة الجزائر. من أهم مؤلفاته: كتاب(حياة محمد ١٩٢٩م)، واقتصص القبائل ١٩٤٥م) و(أزواج النصوص العربية ١٩٥٠م) و(تكريم أولياء الإسلام في المغرب ١٩٥٤م) و(محمد والسنة الإسلامية ١٩٥٥م). يحيى مراد: معجم، ٣٣٠-٣٣١.

(٣) درمنغم: حياة محمد، ١٦٥- ١٦٦.

(٤) درمنغم: حياة محمد، ١٦٦.

لأبيها ذات يوم إن ،وكانت فاطمة تعد علياً دميماً محدوداً مع عظيم شجاعته ،وما كان علي أكثر رغبة فيها من رغبتها فيه»[1].

على الرغم مما أبداه من نقد له في بعض المواضع، وعلى الرغم من رفضه لمنهجيته الشكية المفرطة، التي امتهزأ بها، فقال:" عند هذا العالم البسوعي، الذي أفرط في النقد، فوجه آخرون مثله إلى النصرانية، أن الحديث إذا وافق القرآن كان منقولاً عن القرآن. فلا أدري كيف يمكن تأليف التاريخ، إذا اقتضى تطابق الدليلين تهادمهما بحكم الضرورة بدلاً من أن يؤيد أحدهما الآخر! نعم، قد يكون الحديث موضوعاً لتفسير آية من القرآن أو لجعلها ممولة على معنى معين أو لتأكيد ظاهر حكمها، ولكن هناك أحاديث صحيحة على ما يحتمل. فليس على المؤرخ، الذي لا يفكر في قواعد النقد، إلا أن يركن إليها"[2].

وبطبيعة الحال وعلى الرغم من تمثلات الإسلام الأصيل في قناعات ماسينيون، وتبلوره عبر الإسلام السني(**الأرثودوكسي**)كما يسميه، إلا أن نهجه التصويري قاده للتقرب شيئاً فشيئاً من الموضوعات الشيعية وبالأخص فاطمة الزهراء ، من خلال سعيه الحثيث إلى التعميق الروحي للمعطيات الدينية التي لم يجدها في الجانب السني؛ لما وجده ماسينيون في موضوعاته عن هذا المذهب من روحانية تتناسب مع شغفه الديني والروحي[3].

وبالنتيجة كانت متبنيات ماسينيون الدينية، وتكوينه المعرفي ومزاجه الشخصي، قد جعلته يتخذ منهجاً معاكساً لمنهج لامنس، فقال: إن منهج لامنس بمثل سلاح ذو حدين، وإن رفض لامنس لبعض المسلمات الإسلامية، ومنها نبوة محمد، والقرآن الكريم، وعدّها نوع من التحايل النفسي أو الاجتماعي؛ سيجعل المسلمين بالمقابل يرون يسوع على أنه اسطورة. وتصبح صورة الكتبة

(١) دومنغم، حياة محمد،١٦٦– ١٦٧.

(٢)دومنغم، حياة محمد،١١– ١٢.

(3) *Rocalve:Louis Massignon,pp.72-73.*

مشوهه أمامهم. فمن الواجب على المرء أن يعامل الآخرين وتقاليدهم بذات الطريقة التي يحب أن يُعامل بها نفسه وتقاليده [1].

ومن طروحات ماسينيون الطريفة والاستثنائية، في هذا المجال؛ أنه عمل على توحيد أو تقريب الإطارين (السني – الشيعي) عن طريق تأمل معاناة كل من الحلاج، وفاطمة [2]. فكلاهما يصلي من أجل المظلومين والشفاعة لهم عند الله، وهو ما يرضي نزعته (البدلية) [2]، التي سنأتي على الحديث عنها بشكل مفصل في الفصل الثالث.

ولقد كتب ماسينيون عن هذه المقاربة في إحدى رسائله للمستشرق هنري كوربان، فقال: **إنني أعوذ عليك، وقبل كل شيء، للدفاع عن الصداقة المقدسة التي ألهمني الله بها من أجل الحلاج وفاطمة، ومن خلالها لسلمان ومحمد** [3].

وبالتالي فعلى خلاف كتابات لامنس المسيئة والمتطرفة، فإن ماسينيون عدّ الزهراء "بمنزلة القديسة التي تشابه أو على شاكلة مريم العذراء لدى بعض المسيحيين. ويبيّن قربها من النبي والامتيازات التي حظيت بها من أبيها، بل ذهب إلى أنها كانت تمثل بدايات الإسلام الكوني الأولى [4].

وقال في موضع آخر: **(إن الأصول الشيعية** [5] **تصور فاطمة وقد تشعث شعرها، وتوجهت بولديها الأخير نحو الشمس، ولدها محسن الذي قُتل ولم يؤخذ بثأره، وهذا علامة صبها اللعنة.**

---

(1) *Krokus:The theology of Louis Massignon,p20.*

(2) *Rocalve:Louis Massignon,pp.73-75.*

(3) *Rocalve: Louis Massignon,pp72-73.*

(4) *Encyclopedia of lslam:all,841.*

(٥) في حقيقة الحال هو يعتمد على رواية مفردة ذكرها الخصيبي (ت٣٣٤هـ) ومفادها: أن السيدة خديجة بنت خويلد تأتي يوم القيامة تحمل المحسن (محسن) ومعها فاطمة بنت أسد وجمعة بنت أبي طالب، وأسماء بنت عميس، وهن حاسرات ونادبهن على خدودهن، ويوجههن مسرة، والملائكة تسترهن بأجنحتها، وأمه فاطمة تصيح، وتقول: (هذا يومكم الذي كنتم به=

وفاطمة عند غلاة الشيعة هي(حمرة المغرب)... ولما كانت فاطمة تعد تجسيدًا ثانيًا لروح مريم؛ فإنّ ابتهال فاطمة يناظر انتصار المرأة التي تمثل كتيبة الشهداء الذين غضبوا لإمهال العدالة الإلهية في رؤيا يوحنا)[1]

ورؤيا يوحنا تتحدث عن مشاهداته في يوم القيامة ويضمنها مشاهدته لعيسى المسيح بهيئته الملكوتية، وأنه آت في الغمام، وستراه كل عين حتى الذين طعنوه، وستنتحب عليه جميع قبائل الأرض، وأنه أوصى يوحنا بعدة وصايا للكنائس المسيحية السبعة حينها، وتنتقل الرؤيا في إصحاحها (الثاني عشر)إلى حديث يوحنا عن ظهور آية عظيمة في السماء، وهي ظهور امرأة ملتحفة بالشمس والقمر تحت قدميها، وعلى رأسها أكليل من أثني عشر كوكبًا، وهي حامل تصرخ من آلم المخاض، وأن هناك تنينًا كبير أشقر له سبعة رؤوس وعشرة قرون وعلى رؤوسه سبعة تيجان ، واقف أمام المرأة العظيمة ينتظر أن تضع وليدها ليبتلعه، فولدت المرأة ولدًا ذكرًا، وهو الذي سيرعى جميع الأمم بعصا من حديد، وقد خُطف ولدها إلى حظرة الله في عرشه أي خُلص من شر التنين، أما المرأة فهربت إلى البرية حيث أعد الله لها مكانًا لتقتات هناك ألف ومائتي وستين يومًا، أما التنين فمضى يحارب نسل هذه المرأة العظيمة ممن يحفظون وصايا الله وعندهم شهادة يسوع[2].

وتنتقل الرؤيا في الإصحاح (التاسع عشر) إلى رؤية يوحنا لانفتاح السماء، وخروج فرس أبيض يمتطيه فارس يدعى الأمين الصادق بالعدل يقضي ويحارب، عيناه كلهب النار، وعلى رأسه أكاليل

=توعدون) وجبرائيل يصيح ويقول:(مظلوم يا نصير). فأخذ النبي الحسن على يده ورفعه إلى السماء وهو يقول: إلهي صبرًا في الدنيا الحسنا). انظر: الهداية الكبرى،٤١٧.

(١) انظر: ماسينون، الإسلام الكامل في الإسلام وأحداث السورة الخمس، كتاب الإسلام الكامل لعبد الرحمن بدوي، ١٣٠.

(٢) انظر: الكتاب المقدس، طبعة دار المشرق الثالثة، ٨٠٠-٨١٧.

كثيرة، ويلبس رداءً مخضباً بالدم، وأسمه كلمة الله، وتتبعه على خيل بيض جيوش السماء، ترتدي كتاناً ناعماً ابيضاً خالصاً[1].

كما وتحدث ماسينيون عن بعض الآراء الفلسفية والتأويلية التي تشير إلى العلاقة التماثلية الرابطة بين مريم العذراء وفاطمة الزهراء (عليها السلام)[2]. وأشار إلى أنها كانت **أحد الرهائن الذين قدمهم دليلاً على إخلاصه المطلق وإيمانه برسالته النبوية** في حادثة(المباهلة)[3]

ونقل عنه المستشرق الفرنسي المعاصر(*Yanne Richard* =يان ريشارد)في السياق ذاته، أنه قال: **فاطمة هي الشخصية الرئيسة في النواة المؤسسة للأسرة المقدسة التي تتألف من خمسة أشخاص هم: فاطمة، ومحمد أبوها، وعلي زوجها، وأبناها الحسن والحسين، أي الأسرة المقدسة للإسلام، الذين جمعهم النبي يوم مباهلته لمسيحيي نجران، وكان ذلك تأكيداً على الدين الإسلامي كديانة تكونت تجاه أو مقابل الديانة الإبراهيمية** [4].

وكان ماسينيون قد فتح بذلك وجهة أخرى في تناول سيرة السيدة الزهراء (عليها السلام)، من منظور تقاربها مع الصورة المريمية؛ **فنجد هنري كوربان المستشرق الفرنسي وتلميذ ماسينيون، يوازي حضور**

---

(١)ينظر: الكتاب المقدس،٨٢٨، ويبدو أن هذه الرؤى تتماثل بشكل كبير مع رمزياتها المتعلقة بالسيدة الزهراء (عليها السلام) المرأة العظيمة، وذريتها الأنبياء عشر المعصومين، وآخرهم قائمهم، وأنها طالما حوربت في ذريتها من قبل بني أمية والسلطات الحاكمة الظالمة الشر الأشقر، وأنها عانت آلام المخاض و لولادة يوم هجوم القوم على دارها، وأن حفيدها المهدي المنتظر (عج) هو من سيتولى خلاص العالم من شر هذا الشر والعدو الذي خالفا نبوءة الأنبياء (عليهم السلام)، وقد ورد في الروايات أن الزهراء (عليها السلام) تنشر يوم القيامة قميص ولدها الإمام الحسين (عليه السلام)، وهو ملطخ بالدم وتطالب بثأره. ينظر: المفيد، الأمالي،١٣٠. وورد أن بعض صحابة الإمام(عج) سيرون في السحاب. ينظر: القندوزي، كمال الدين وتمام النعمة،٦٧٢؛ الطبري، دلائل الإمامة،٤٥٤- ٤٥٥. وورد أن الإمام(عج) يأتي في ٤٠٠٠ رجل تشبههم بفتى وزبانيهم سود، وهم مقدمة جيشه. ينظر: دوبابل طاووس، الملاحم والفتن،١١٩.

(٢) الإنسان الكامل في الإسلام وأعيانه المنورة، ١٣٧، ١٣٨(الهامش).

(٣) ينظر: بدوي، شخصيات قلقة،٤٤- ٤٥ وكان أفرد حادثة المباهلة ببحث خاص نشره في مجلة عام ١٩٤٤م، أشار فيه لما يتعلق بالنظرة المقدسة لسيدة فاطمة. بدوي: شخصيات قلقة، ١٥٩- ١٨٢.

(٤) الإسلام الشيعي،٤٧- ٤٨.

السيدة فاطمة الزهراء مع حضور مريم العذراء؛ ويرى بذلك أن فاطمة تؤدي الدور الأساسي للتماثل في الفكر الشيعي. وهي تشير بصفتها الذكورية(فاطر)إلى الهداية[1].

وكذلك الحال في رؤية تلميذه الآخر، وحافظ تراثه(يواكيم مبارك)؛ إذ قال: ترتبط عبادة مريم في الإسلام بعبادة فاطمة بنت محمد. والتي يبجلها المسلمون كتبجيلهم لمريم العذراء. والتي ستظهر في آخر الزمان.وتطأ قدمها المسجد الأموي في دمشق. في مكان غير بوحنا المعمدان[2].

وكان الباحث الأمريكي المعاصر(*Ruth Rowe* -روث روي)هو الآخر ممن تأثر بدراسات ماسينيون حول السيدة الزهراء ، وأوجه الشبه بينها وبين مريم العذراء ، وذلك في رسالته التي قدمها لكلية الدراسات العليا- قسم دراسات الشرق الأوسط في جامعة(*Arizona*= أريزونا الأمريكية عام ٢٠١٨م)، تحت عنوان:(*Lady of the Woman of the Worlds exploring Shi'I piety and identity through a consideration of Fatima AL- Zahra'*)-سيدة نساء العالمين: استكشاف تقوى الشيعة وهويتهم من خلال دراسة فاطمة)، وكان مما في هذه الدراسة: (أرى أن فاطمة هي بالنسبة للمسلمين بمثابة حامل للقدسية الإلهية على الأرض: ولذا ضمنت لها هذه المكانة دور القديسة الإسلامية. التي تُوصل قدسية الرب إلى أولئك الذين ينقصهم القرب العائلي من الرسول. أو القرب الروحي للرب) [3].

وأضاف روي: أن هذا الموقع لفاطمة في قلب الرسول يعني القرب العائلي بالدم. والقرب القائم على التعظيم؛ مما شرف وكرم شخصيتها. وذلك في انعكاس حديث البخاري الذي يقول

(١) ينظر: هنري كوربان، الأمام الثاني عشر،٢٦٣(المترجم)

(2) *Y.Moubarac :Islam et le dialogue islamo chretien, p.62.*
(3) *Lady of the Woman of the Worlds, p.10.*

فيه محمد: إن كل من يغضب فاطمة يغضبني[1]. إن هذا القرب الروحي الفعلي من النبي محمد أقدس شخص في الإسلام أسهم في ظهور فاطمة كشخصية دينية محورية [2].

وأشار لآراء عدد من الباحثين بهذا الخصوص، فقال: لاحظت(*Margaret Smith* - مارجريت سمث) في كتابها حول المرأة الصوفية المشهورة رابعة العدوية، بأنه قبل أن تبرز الصوفية كطريقة في الممارسة الإسلامية كانت نساء مثل فاطمة وأمنة أم الرسول تصنفان كقديستين. وترى الباحثة المهتمة بالدراسات الإسلامية(*Joan Wallach Scott*- جوان ولاش سكوت) أن فاطمة كشخصية تاريخية نسوية لم يتم نسيانها أبدًا. بل يتم اعادة تخيلها مرات لا تحصى في ذاكرة النساء والرجال على حد سواء، وأن الباحثة(*Barbara Stowasser*= باربارا ستواسر) تفسر الصفة القدسية التي تُقدم بها فاطمة كواحدة من أفضل نساء العالم في الجنة كمريم العذراء وآسيا زوجة فرعون: بأنها محاولة لتوحيد هؤلاء النساء المقدسات بالأنوثة المثالية النقية الخاصة بالأم العذراء [3].

ثانيًا – ولادتها– التاريخ والبعد الماوراني للحادثة:

أشار ماسينيون في أكثر من موضع إلى الظروف الإعجازية التي رافقت ليلة حمل السيدة خديجة بفاطمة الزهراء [1]، وامتيازات تلك الليلة المباركة. وهو في تناوله هذا ينزع إلى الابتعاد عن النسق التاريخي السردي، ليخوض في البعد الفلسفي وما وراء النص، بما يحمله من حيثيات رمزية تعمق فهمه التأويلي للأحداث، وترضي رغبته في منح النص حيويته الكاملة، فقال في هذا الصدد: في مسجد العقبة، في

(١) أورد ذلك النبي (ص): فاطمة بضعة مني فمن أغضبها أغضبني. صحيح البخاري، ٤، ٢١٠، ٢١٩.

(2) *Lady of the Woman of the Worlds, p.41.*

(3) *Lady of the Woman of the Worlds, pp.10 – 38.*

القدس بالذات، وجد محمد في المنام(القدس السماوية). التي ستكون القبلة الأولى للإسلام. وفي محراب زكريا بالذات حظي محمد بشارة فاطمة[1].

وفي الواقع إن هذا الإغراق في الاتكاء على(منهج الاستبطان)، والتأمل الحدسي، يتجاوز حدود التاريخ والنصّ في آن واحد، ويهدر السياق ودلالته لحساب التأويل؛ فليس ثمة ما يشير –في قصتي الإسراء والمعراج– إلى وجود(قدس) سماوية؟ فضلا عن تحديد المكان الذي تناول فيه النبي (ص) فاكهة الجنة؟! ثم إن محاولة ماسينيون الربط –قسريا– بين حادثة(المعراج) وتلقي الرسالة المحمدية، على نحو ما تشي به آيات سورة النجم، قال تعالى:﴿ وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ۞ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ۞ وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۞ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ۞ عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ ۞ ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَىٰ ۞ وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَىٰ ۞ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ۞ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ۞ فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ ۞ مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَىٰ ۞ أَفَتُمَارُونَهُ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ ۞ وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ۞ عِندَ سِدْرَةِ الْمُنتَهَىٰ ۞ عِندَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَىٰ ۞ إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ ۞ مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ۞ لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَىٰ ۞﴾ [2]. أو على نحو ما جاء في الآية:﴿ سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا ۚ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ۞﴾ [3]. وادعاء أن ذلك حدث في حالة من حالات المنام، ليس فقط يتجاوز التحقيب التاريخي للدعوة الإسلامية ومبدئها، وإنما يقوم بمصادرة على المطلوب، فمن المعلوم أن حادثتا الإسراء والمعراج، وإن اختلف في حدوثهما في اليقظة أو المنام، وهل وقعتا بنفس الوقت أم منفردتين، أو في عدد مرات حدوثهما لمرة واحدة أو لمرتين أو لثلاث مرات، فإن المتفق عليه أنهما وقعتا بعد مبعثه بالنبوة، بخمسة عشر شهرا، أو في السنة العاشرة للبعثة، أو قبل الهجرة إلى المدينة بثمانية عشر شهرا، أو في السنة الثانية عشرة للبعثة

(1) *Y.Moubarac:Opera Minora, vole1 , p.569-570.*

(٢) ١–١٨.

(٣) سورة الإسراء: آية ١.

الشريفة[1]. وكيفما كان فإن حدوث (الإسراء والمعراج) كان بعد النبوة لا قبلها، ولكن ماسينيون يغض الطرف عن هذه المصادرة التاريخية؛ لترجيح رؤيته التأويلية البعيدة عن الواقع.

وذكر ماسينيون في موضع آخر أثناء حديثه عن المباهلة: **بأن فاطمة ولدت من فاكهة الجنة (تفاحة)على وجه التحديد، أحضرها جبرائيل لمحمد قبل دخوله على خديجة** [2].

وهو هنا يحاول إعطاء المورث الإسلامي حول ولادة السيدة الزهراء (ع) بعد حادثة الإسراء والمعراج[3]، وتناول النبي لفاكهة الجنة(**التفاح**) أو(**الرطب**)[4] المستوحاة من الروايات الإسلامية وأبعادها التفسيرية الصوفية، أو معانيها المضمرة حسب منهجه التأويلي- الاستبطاني والتقابلي؛ إذ يرى أن هذه(**التفاحة**) قد أحضرت من (**القدس السماوية**)، وأن تناولها محاكاة لسمة من سمات الفلكلور المريمي القديمة[5].

وتظهر لايغال ماسينيون في تضمين البعد الاستبطاني للمنحى التاريخي في دراساته، فإنه قابل بين الولادة على أثر حادثة الإسراء والمعراج؛ وبين ما كانت تتناوله مريم العذراء (ع) في مسكنها المقدس، فقال: **إن القدس هي قبلة قلب محمد النبي والهدف البعيد لرغباته، وموضع نزول الرحمة الإلهية قبل التضحية بالنفس في عرفات. وهي المكان الذي نال فيه محمد في المنام شريعة الإسلام. وولادة فاطمة على أثر التفاحة التي حصل عليها من جبرائيل تقابل المعجزات التي حدثت لمريم،**

---

(١) يُنظر: ابن هشام: السيرة النبوية،٢/٢٦٨- ٢٧٦؛ ابن الجوزي: المنتظم،٣/٢٥- ٢٦؛ ابن كثير: البداية والنهاية،٣/١٣٥- ١٤٤؛ المقريزي: إمتاع الأسماع،١/٤٧- ٤٨.

(2) *Y.Moubarac:Opera Minora , vole1 , p. 578.*

(٣) اتكأ ماسينيون على الروايات الناقلة بولادة السيدة فاطمة الزهراء (ع) بعد حادثة الإسراء والمعراج. وقد خلط بين الحادثتين، حيث النبي (ص) ومعراجه بكل واحد منهما منفصلة عن الأخرى. للمزيد عن الحادثتين انظر: المواد: السيدة فاطمة الزهراء،٧٨-٨٠.

(٤) الصدوق: الأمالي،٤٤٦؛ علل الشرائع،١/١٨٣-١٨٤؛ عيون أخبار الرضا،١/١٠٧؛الطبرسي: دلائل الإمامة،١٤٦؛ الطبرسي: الاحتجاج،٢/١٩١.

(5) *Y.Moubarac:Opera Minora , vole 1 , p.581.*

وتلقيها ثمار من الجنة أثناء صومها[١]، ونذر أمها العاقر(حنة) بإنجابها[٢]، وعقم زكريا[٣]، مع ما كان يُنعت به محمد بالأبتر. والولادة المبهونة للمسيح بدون أب[٤].

وأشار في موضع آخر: أن القدس المقدسة التي سرى إليها محمد ليرتفع إلى عرش الله في عملية إسراء صوفية، لا يمكن لأي مسلم أن يتخلى عن هذه المدينة. فهي قبلة الإسلام الأولى. والهدف الأول في قلب محمد. وستصبح القبلة في الأزمنة الأخيرة، وتحل محل مكة. وهنا تكمن في الواقع نقطة الهدف والدليل على مشيئة الله[٥].

وحقيقة الحال إذا كان المشهور التاريخي –المؤدلج– بموضع القبلة الأولى نحو(بيت المقدس)، فإن ثمة بحوث ودراسات حصيفة جادة قد خرجت على هذا المشهور، وخالفت مألوف الوعي حول مسألة (القبلة الأولى)، و(القدس التوراتية)، بأدلة آثارية وحفريات ميدانية، ونصوص قديمة دامغة، وأدلة راجحة. فذهب(كمال الصليبي)، و(فاضل الربيعي)ومجموعة من الباحثين، في بحوثهم ودراساتهم القائمة على المكتشفات الآثارية، والنصوص القديمة بلغاتها المختلفة، ونصوص التوراة العبرية الأولى، ذهبوا إلى إعادة موضعة الجغرافيا المقدسة في التوراة، فتبنوا فكرة أن القدس المعروفة اليوم في فلسطين ليست هي القدس التوراتية، وأن الأخيرة تقع في اليمن، وهي لا تزال تحتفظ باسمها التوراتي حتى اليوم، وكذلك الحال للعديد من الأماكن المقدسة المذكورة في التوراة التي تتطابق في تسمياتها وتاريخها، بحسب

---

(١) قال تعالى: ﴿كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقا قال يا مريم أنى لك هذا قالت هو من عند الله﴾. سورة آل عمران الآية ٣٧.

(٢) قال تعالى: ﴿إذ قالت امرأت عمران رب إني نذرت لك ما في بطني محررا فتقبل مني إنك أنت السميع العليم﴾. سورة آل عمران الآية ٣٥.

(٣) قال تعالى: ﴿قال رب أنى يكون لي غلام وقد بلغني الكبر وامرأتي عاقر قال كذلك الله يفعل ما يشاء﴾. سورة آل عمران الآية ٤٠.

(4) *Y.Moubarac:Opera Minora,vole1 , p.593* .

(٥) انظر: عبود، لويس ماسينيون، ١٢٤-١٢٥.

المكتشفات واللقى والنصوص المسندية والآشورية والعبرية وغيرها- مع جغرافيا اليمن لا جغرافيا بلاد الشام وفلسطين »[1].

ثالثًا- لقب أم أبيها والأبعاد الرمزية:

تطرق ماسينيون إلى أن السيدة الزهراء (ع) عُرفت باسمين، اسم علم، ولقب أو كنية، وأن اسمها فاطمة يعني الجمل الصغير المفطوم المناسب تقديمه بين الضحايا. وكنية (أم أبيها)، وهو لفظ غير متعارف لدى العرب حينها، وهو يشير لمركزيتها في نفس الرسول (ص) وحياته[2]، وقد أخطأ المستشرقون كثيرًا في فهمه[3].

وهنا لابد من الإشارة لخلط ماسينيون بين أسم فاطمة، المتأت من الجذر اللغوي (ف ط م)، يقال: **فطم فطمت الصبي أمه تفطمه أي تفطمه عن الرضاع. والغلام فطيم مفطوم. والجارية فطيمة مفطومة**[4]. وبين ما ذهب إليه من تعلق المعنى بالضحايا من الجمال الصغار، فالأخير مرتبط بلفظ (اللطيم)، وهو **الصغير من الإبل، الذي ينفصل عند طلوع سهيل. ويستخدم للتضحية** [5]؛ **واللطيم الفصيل من الإبل الذي ينطم عن أمه**[6].

ويبدو أن هذه الصفة للطيم هي ما أدت بماسينيون للاشتباه بين المعنيين، أو ما تعكز عليه ليصل للمعنى الذي يريده، ويتناسب مع طروحاته حول التضحية والنذر، وكون السيدة الزهراء (ع) رهينة للميثاق

---

(١) انظر العسيلي: النواة جاءت من جزيرة العرب. الصفحات جمعها الربعي: القدس ليست أور لشلم، الصفحات جمعها.

(2) *Loude : pathways to an Inner Islam ,p,108.*

(3) *Y.Moubarac :Opera Minora , vole 1 , p.578.*

(٤) الفراهيدي: كتاب العين، ٧، ٢٤٢.

(٥) ابن منظور: لسان العرب، ١٢، ٥٤٣.

(٦) الجوهري: الصحاح، ٥، ٢٠٣١.

النبوي، بحسب فكرته الأساس التي عليها مدار بحثه حول شخصيتها وسيرتها التاريخية، وبالنتيجة فإنه يمارس شيئًا من التلاعب بالمعنى ليخدم طروحاته البحثية.

وعلى أية حال فقد أرجع ماسينيون هذه المكانة للسيدة الزهراء (ع) بصورة ضمنية إلى وصية السيدة خديجة للنبي قبل وفاتها[1]، إذ طلبت منه الدعاء لفاطمة لتحل محل والدتها؛ فأجابها الرسول إلى كبير منزلة فاطمة في الجنة وعظمتها[2].

وأشار ماسينيون إلى أن هذه الكنية تشير للمبدأ الفريد من نوعه لدوام العرق، إذ اختيرت فاطمة لتحمل انعكاس أحكام الله؛ فهي القطب في العلاقات الأبوية الخمسة، بمعنى أنها الرابط في العلاقة بين أصحاب الكساء الخمسة (أهل البيت)[3].

ويلخص هذه الرؤية أنه: **يرى أن مفهوم الأمة ومرادفاتها التي ركز عليها الإسلام في ضم المؤمنين، يشبه اشتقاقاتها من (الأم)، وبالتالي فهي تشير إلى دور المرأة في المنزل، وحماية الرجل لها في مواجهة العشيرة المعادية، إذ تتوافق الخصائص الروحية للأمة في اشراك وحماية غير العرب في الإسلام، تمامًا مع الوظيفة التي أدتها فاطمة (ع) تجاه أهل بيتها، والموالي من غير العرب**[4].

وأشار ماسينيون إلى أن فاطمة الزهراء (ع) بعد وفاة أمها خديجة، وبأثر التربية التي نالتها على يد أحكم حريم رسول الله آنذاك (أم سلمة)، قد أُعدت لتكون المضيفة، أو خيمة الضيافة لأبيها منذ فترات

(١) ورد في بعض المصادر المتأخرة أنها قالت: يا رسول الله أوصيك بهذه وأشارت إلى فاطمة، فإنها غربة من بعدي، فلا يزفها أحد من بنات قريش ولا يطعن خدها، ولا يصحن في وجهها، ولا يرنها مكروه. الحائري: شجرة طوبى،٢ ص٢٣؛ عبد اللطيف العبادي، فاطمة والمفضلات من السنة،٨٧؛ السلاوي الأنوار الساطعة من الغرر، القاهرة،٢٧٧. وسنأتي على هذه المرويات لاحقًا. وردت في المصادر المتأخرة جدًا، ولم نجد لها ذكرًا في المصادر الأولية الجامعة بين هاتين المدرستين فلماذا تتوقع السيدة خديجة هذا الأمر من بناتها قريش؟ وخاصة أنها لم تجد معها ذلك في حياة السيدة الزهراء.

(2) *Y.Moubarac: Opera Minora , vole 1 , p.578.*
(3) *Angelier: Écrits Memorables,vole1,p.239.*
(4) *Loude : pathways to an Inner Islam ,p.108.*

المرافقة، فهي التي تستقبل رجالات والدها المقربين من الموالي (غير العرب)، والصحابة الذين دخلوا الإسلام، وعلى رأسهم سلمان الفارسي. فضلًا عن ذلك **فقد شكلت فاطمة الأمل لأبيها الذي لم يرزق بذرية ذكور، ولا سيما مع التعيير المتكرر الذي كان يوجهه له كفار قريش بكونه أبتر. وما اضطر إليه من إلغاء تبنيه لـزيد بن حارثة، وحرمانه من ابنه إبراهيم الصغير. فتظر إلى أخيه وابـن عمـه الأول(علي) وزوجه ابنته فاطمة لتكون الشجرة المثمرة في دار محمد .ولتصـبح هـي أم أولاده، وربة البيت، وسيدة الخمسة(أصحاب الكساء)، وسيدة أهل البيت** [1].

وبتناء، لابد من أن نعيد هنا أن ماسينيون لا يعير التحقيب التاريخي أي أهمية في استنباط رؤاه ووجهات نظره، وإلا فالسيدة الزهراء (ع) كانت قد تجاوزت مرحلة الرعاية والتربية، وأصبحت زوجة وصاحبة بيت عندما تزوج أبيها رسول الله بأم سلمة هند بنت أميـة بن المغيرة المخزومية بعد معركة أحد، فأم سلمة كانت متزوجة من ابن عمها أبو سلمة عبد الله بن عبد الأسد المخزومي، وكانت وزوجها من السابقين للإسلام. وهاجرا إلى الحبشة، ثم رجعا بعد تمزيق الصحيفة، وأرادت الهجرة إلى المدينة مع زوجها فمنعها أهلها، وفرقوا بينهما، ووقف بنو عبد الأسد مع أخيهم أبي سلمة؛ فمنعوه وأجبروا أصهارهم المخزوميين على إعطاء سلمة لأبيه فهاجر به إلى المدينة، وبقيت أم سلمة تعاني مرارة فراق زوجها وولدها، حتى أنها كانت تخرج كل يوم إلى الأبطح [2] تبكي وتنتظر أن يأتيها زوجها حتى المساء! وبقيت على تلك الحال لما يقرب من سنة كاملة! حتى مر بها رجل من بني عمومتها فجاء لأهلها ولأمهم على التفريق بين تلك الزوجة المسكينة وولدها وزوجها، فأذنوا لها فلحقت بزوجها [3]، وبعد سنتين فقدته على أثر جرح كان أصيب به في أحد [4]، فلم يبق لهذه المسنة المؤمنة المهاجرة وأطفالها معين أو مواسي في

(١) *Y.Moubarac:Opera Minora , vole 1 , p.601 .*

(٢) مسـ واسع فه دفاق الحصى. الجوهري: الصحاح، ١ ٣٥٦.

(٣) ابن الأثير: أسد الغابة، ٥ ٥٨٨؛ تم نظر: ابن هشام: السيرة النبوية، ٢ ٣٢٢؛ الذهبي: تاريخ الإسلام، ١ ٣١٢؛ ابن كثير: البداية والنهاية، ٣ ٢٠٨.

(٤) ابن سعد: الطبقات، ١٠ ٨٥-٨٦؛ الطبري: تاريخ، ٢ ٤١٤؛ ابن عبد البر: الاستيعاب، ٤ ١٩٨٢.

دار الهجرة غير رسول الله، ولذلك نجدها تقول حينما يخطبها: أنا امرأة قد دخلت في السن وأنا ذات عيال[1]، وفي لفظ:"ما مثلي تُنكح فلا ولد في. وأنا غيور ذات عيال"[2].

أما ما يتعلق بمسألة الأبوة ودعوى الأمنية العقيمة، فحقيقة الحال كانت هذه الموضوعة وما زالت من أبرز المواضيع التي شرق بها المستشرقون وغربوا، وحاولوا أن يربطوا بينها وبين تعدد الزواج، والشهوانية المدعاة للنبي، وقد ذهب ماسينيون إلى أن: النبي كان يبحث عن البقاء والاستمرارية من خلال رجاء تحقيق هذه الأمنية. وبالنتيجة كانت فاطمة هي حاملة نسله. والتعويض الطبيعي لإشباع عاطفة الابوة المفقودة لديه. ورجاءه الأخروي في اكمال الدين الإسلامي. وعليه فهي تمثل بديلا عن أمها خديجة. وهي ربة البيت والملجأ. و التي ستبعث يوم القيامة بين الأنبياء والمذنبين(الأئمة): لأنها نقطة التقائهم في النسب [3].

وماسينيون يريد في نقاشاته تلك الإشارة إلى قدرة المرأة على العودة إلى نموذجها الأصلي قبل خلق حواء، بما أشارت إليه قصة الخلق الكتابية، واعتماد المرأة في وجودها على الرجل (خلق حواء من ضلع آدم)، عادا فاطمة استثناء أنثويا مقدسا[4].

وبذلك فإن ماسينيون يفسر امتيازات النبي لفاطمة خلال حياتها، ومنها أن النبي حرم جميع الرجال المؤمنين من الصلاة في المقابر [5] وأستثنى من ذلك أبنته، وسمح لها بالصلاة على قبر حمزة[6]،

---

(١) ابن سعد: الطبقات،١٠ ٨٨– ٩١؛أحمد بن حنبل، مسند ٤ ٧٨؛ابن كثير:السيرة النبوية ٣ ٧٧٥؛البداية والنهاية ٤ ١٠٤.

(٢) عبد الرزاق الصنعاني: المصنف،٦ ٢٣٥؛ابن سعد:الطبقات،١٠ ٨٨– ٩١؛البلاذري،ص ٣٩٣؛البيهقي:السنن الكبرى،٧ ٣٠١.

(3) *Borrmans : Islamochristiana,p.9.*

(4) *Lude:Massignon interiver,p.81.*

(٥)إشارة إلى قول النبي (صلى الله عليه وآله): نهيتكم عن ثلاث كنت آمركم بهن، نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها فإن زيارتها تذكرة.انظر:الصنعاني: المصنف،٣ ٥٧٩؛ابن أبي شيبة:المصنف،٣ ٣٢٣؛الطوسي:المبسوط،٨ ٦٠.

(٦) روي أنها كانت تأتي قبور الشهداء في كل غداة سبت، فتأتي قبر حمزة فترحمه عنده وتستغفر له. للمزيد: من لا يحضره الفقيه،١ ١٨٠؛ الطوسي: تهذيب الاحكام،١ ٤٦٥.

ومشاركة والدها العزاء و الحداد عند مقتله، ومقتل جعفر الطيار[1]، لتهيئتها للعزاء والحداد على والدها، وبذلك عدت أول المناديات المصاحبات البواكي[2].

ويرى ماسينيون أن حداد فاطمة(أم أبيها) بعد وفاة أبيها، واستياءها كطريقة للتعبير عن ارتباطها بالنبي، ربما يواسيه أمل أن يكون لها(ابن) يولد من جديد، فيكون(محمد الجديد)، أو (المهدي) كونها أم لمحمد النبي[3].

وثمة ملحظ آخر يناقشه ماسينيون أثناء طرحه لقضية تعدد الزوجات للنبي ، وما تسرده الروايات الإسلامية السائدة من أن(عائشة)هي الزوجة المفضلة للنبي، فهو يرى أن في ذلك تناقض واضح، ففاطمة (أم ابيها) وضعت نفسها في ذات المجموعة الأنثوية كانعكاس لوالدتها(خديجة)، وبالتالي فهي من تمثل التوجه الروحي للأنوثة في الإسلام[4].

وعلى أية حال فإن ماسينيون يبحث عن الانجاء الخفي للإسلام عبر مفهوم الزواج الأحادي، الذي – حسب ما يتبنى ماسينيون – يخالف الأنانية الذكورية، ويعارض مبدأ تعدد الزوجات الإسلامي، مع الحساسية الروحية للمسيحية في هذه المسألة، وعليه فهو يعيد انتاج صورة المرأة في الإسلام، بعد أن شوهها المستشرقون، مشيرا إلى أن أهميتها الروحية لا يمكن فهمها بمعنى ما، إلا من خلال تبني وجهة نظر داخلية، هي أقرب إلى الاحساس المسيحي الحقيقي، الذي يقلب المنطق الجسدي للنظام الاجتماعي لهذا العالم[5].

---

(١) روي أنها وصفية بنت عبد المطلب بكتا مع النبي لمقتل حمزة، فبشرهما النبي بأن جبرائيل أخبره، أن حمزة مكتوب في أهل السماوات السبع أسد الله وأسد رسوله. انظر: الواقدي:المغازي،١ ٢٩٠. وكذلك الحال عند مقتل جعفر بن أبي طالب، اذ دخلت فاطمة بنت أسد وهي تبكي وتقول . واعماه . فقال رسول الله على مثل جعفر فلتبك البواكي. انظر: البلاذري: أنساب الاشراف، ٢ ٤٣٠؛ ابن عبد البر، الاستيعاب،١ ٢٤٣.

(2) *Y.Moubarac*: *Opera Minora , vole 1 ,pp.587,602.*
(3) *Loude : pathways to an Inner Islam , p.107.*
(4) *Lude:Massignon interiver ,p. 68*
(5) *Lude: Massignon Interievr,p.71.*

وفي هذا المعترك التأويلي يحاول ماسينيون الربط بين تقديس (النصيريين) للسيدة فاطمة الزهراء (عليها السلام) كعنصر لدوام العرق (النسل)، وبين قيمتها في الفلسفة الصوفية لهذه الطائفة عبر تسميتها الذكورية (فاطر)[1] كمؤشر على المكانة الروحية السامية لفاطمة، المرأة الأولى في المذهب الشيعي، ومن ثم في التمثل الإلهي لدى بعض قطاعات الطوائف المهمشة من الغلاة في الإسلام الشيعي[2]. وهذا الأمر – بحسب ماسينيون – ينطوي على الاستيعاب الصوفي الداخلي، ويحدد بدوره التناقض بين (**التقليد الذكوري**) أو سلطة الرجل، وبين الطبيعة الروحية الداخلية (**الأنثوية**) للإسلام، بما يعيد ترتيب العلاقات بين الجنسين في الإسلام[3].

وبما أننا استوعبنا – تقريبا – تفسيرات ماسينيون التأويلية – الصوفية لكنية (أم أبيها)، فمن المناسب أن نشير إلى البعد التاريخي لهذه الكنية، أو لنقل تفسيرها ومعناها التاريخي المباشر بما هو تفاعل مع التاريخ وانغماس فيه، فنقول إن هذا اللقب جاء لأحد أدوار صعبة إلى جانب والدها منذ طفولتها، فكانت أمة معطاء، شامخة، صقلتها السنون، وجبرتها الخطوب، في وقوفها إلى جانبه ومساندته أمام قريش وجبروتها، منذ البدايات الأولى للتصادم بين قريش والنبي، كانت الزهراء (عليها السلام) حاضرة تلتقف بيديها الصغيرتين ما يلقى على ظهر أبيها وهو ساجد يصلي من فضلات جزور ذبحه أحد صواغيت مكة لأحد احجارها، في الوقت الذي أحجمت عن ذلك أكتف الرجال من الصحابة الأوائل كعبد الله بن مسعود[4].

وقد علق ابن حجر على هذا الموقف أن عبدالله بن مسعود لم يكن له عشيرة تحميه. وكان خائفا من قريش. وأن موقف فاطمة يشير إلى قوة نفسها من صغرها؛ لشرفها في قومها ونفسها[5].

---

(1) *Lude: Massignon Interievr,pp.80-81.*

(2) *Loude : pathways to an Inner Islam*, pp.108.

(3) *Lude:Massignon intervr,pp.72-73.*

(٤) انظر: احمد بن حنبل، مسند، ١ ٣٩٣؛ البخاري: صحيح، ١ ٦٦؛ مسلم: صحيح، ٥ ١٧٩-١٨٠؛ ابن خزيمة: صحيح، ١ ٣٨٤؛ ابن حبان: صحيح، ١٥ ٣٠؛ الذهبي: تاريخ الإسلام، ١ ٢١٦-٢١٧؛ البلاذري: انساب، ١ ١٢٥.

(٥) انظر: فتح الباري: ١ ١٢٥.

ومرة أخرى يعترض أحد كفار قريش طريق النبي، فينثر التراب على رأسه الشريف، فيدخل الرسول ليجد ابنته تطيب نفسه، وتغسل عنه التراب وتبكي، فيقول لها: **لا تبكي يا بنية فإن الله مانع أبـاك، مـا نالت مني قريش شيئا أكرهه حتى مات أبو طالـب**[1]. وكانت في المدينة جنبا إلى جنب معه في ساحات الوغى، تمسح الدماء عن وجهه الشريف، وتهون عليه به من ألمه، وتضمد جراحاته[2]. وكان لها دور بارز في اقتياد النساء، وحملهن على مساندة الرجال في تضميد الجرحى، ونقل المياه والطعام إليهم في ساحة المعركة[3].

رابعًا – دورها في تطور الإسلام الداخلي:

تبنى ماسينيون من خلال دراسته لحياة السيدة الزهراء ' فكرة أنها رهينة بشرية، لعدم إمكانية الوصول الإلهي، فعلى العكس من مريم التي تمكنت من ذلك وكونت المضيف البشري الخارق للاهوت، تظل فاطمة في بحث عن الله، فهي رهينة له من حيث الوجود (**أسيرة الشـريعة / القـانون**) دون أن تكون قادرة على جعل الإسلام شريكًا في النعمة الجوهرية تحبها لوالدها[4].

بعبارة أخرى إن وظيفة فاطمة ' عميقة بين الأنوثة والحس الروحي للتاريخ، ومعنى الإسلام الداخلي حسب ماسينيون تصور المرأة على أنها الكمال من خلال النعمة لتقريب الشريعة عبر ترويج الجنس النهائي الأنثوي أو ما يسمى (علم الأخرويات النسوي)، الذي لم يشر إليه ماسينيون صراحة كي لا يُساء فهمه من الناحيتين السياسية و الاجتماعية في تأكيده لدور المرأة على الرجل، ولا حتى دعوات الأم

---

(١) ابن هشام: السيرة النبوية، ١ ٤١٦.

(٢) انظر: الواقدي: المغازي، ١ ٢٤٩–٢٥٠؛ البخاري: الصحيح، ٥ ٣٨؛ البلاذري: أنساب الأشراف، ٢ ٣٢٤؛ النسائي: السنن الكبرى، ٥ ٣٩١؛ الطبراني: المعجم الكبير، ٦ ٢٥٣؛ ابن حجر: فتح الباري، ٧ ١٨٦؛ للمزيد انظر: كرم، صورة صاحب الكساء، المولد: السيدة فاطمة الزهراء، ٨٩.

(٣) انظر: البخاري: المغازي، ١ ٢٤٩؛ المقريزي: امتاع الأسماع، ١ ١٥٣.

(4) *Loude : pathways to an Inner Islam ,pp.108-109.*

للعلاقات الاجتماعية، بل إنها نوع من الشهادة النبوية[1]، لا ينفصل عن التضحيات والعذابات عبر فاطمة[2].

وذكر ماسينيون في هذا المعنى أن فاطمة الزهراء تمثل دورا محوريا في الإسلام الداخلي؛ كونها بديلا مخلصا للنبي، الذي هيأها بدوره لذلك مسبقا، وأوحى إليها قبل موته بأنها سليلة ولده (المهدي)، الذي لطالما خص هذا النسل بالتبركات والتكريم؛ بفضل دعائه و إخلاصه لإبراهيم، عبر الدعاء(اللهم صل وبارك على محمد وآل محمد كما باركت على إبراهيم وآل إبراهيم)، وتخصيصه بيت فاطمة في المدينة بهذا الدعاء[3].

لذا فإن الزهراء (ع) لا تصلي من أجل نفسها فقط بل لخلاص الآخرين، كونها بديلا لأمها خديجة وآمنة أم الرسول (ص)، حتى ماتت في حدادها الأبوي، محتفظة بوعد والدها لها باللحاق به بعد وفاته[4]؛ فهي رهينة الميادلة لوالدها والتزامها الحداد ضيلة حياتها القصيرة بعده[5]، وبعد موت فاطمة يأتي عني ليأخذ دورها البدلي في تأمله الحدادي على بنت النبي الوحيدة، وليقرأ على قبرها آيات القرآن[6].

ويرى ماسينيون إن فاطمة في دورة النبي محمد (ص) السابقة تشبه مريم في دورة المسيح، فهي تمثل صورة المرأة الكاملة والأنثى الخالدة، الموجودة في اللاوعي الجماعي، والتي أدركت كلمة الله في سر قلبها، وأمانيها الصادقة، وأدت دورها في الإسلام بشكل خفي كما هو وجهها المحجب[7].

---

(١) شكلت فكرة الشهادة والشفاعة والحلول الاصلاحي دافع روحة لدى ماسينون منذ عام ١٩٠٨م ، وأصبح يرى أن حياته مرتبطة بشهادة أناس غير مرئيين أمثال: أحمد ويسمين، وفوكو، والحلاج، والسيدة فاطمة الزهراء، وسلمان پاك، وغيرهم . انظر: موربون، لويس ماسينون،١٠٧.

(2) *Loude : pathways to an Inner Islam ,p.110.*

(3) *Y.Moubarac :Opera Minora, vole1 , p. 587 ; Angelier : Écrits Memorables,p. 274.*

(٤) روي أن النبي بشرها أنها أول أهل بيته لحوقا به. انظر: أحمد بن حنبل، مسند،٦ ،٢٨٢؛ البخاري: صحيح،٤ ،١٨٣؛ مسلم: صحيح،٧ ،١٤٣؛ ابن ماجه، سنن،١ ،٥١٨؛ النسائي، سنن،٤ ،٢٥٢؛ ٥ ،١٤٧؛ الطبراني: المعجم الكبير ،٢٢.

(5) *Borrmans: Islamochristiana,pp.9-10.*

(6) *Y.Moubarac: Opera Minora , vole 1 , p.588.*

(٧) انظر: موربون،لويس ماسينون،٨٢-٨٣.

ومن الواضح أن إصرار ماسينيون على استخدام مصطلحات تتعلق بعبادة فاطمة الخفية، والدعاء والعبادة السرية، ورمزية الحجاب، وما إلى ذلك من المفردات، ينطوي خلفها إسقاطهُ لرؤيته الذاتية الصوفية على سيرة السيدة الزهراء (ع) وعباداتها، ويبدو أن ذلك لا يبتعد عن تأثره الديني الأول والأهم في حياته، وهو رؤيته لوالدته (ماري هوفن)، بما وصفه بنفسه لأحد أصدقائه بممارستها السرية لعقيدتها الكاثوليكية، وصلاتها العميقة للسيدة العذراء، التي كان والده رافضاً لها؛ لأنه عصماني النزعة، وإن كانت له اعتقادات فطرية بظهور العذراء؛ فكانت والدته تخشى من أن يستهزأ بها أو ينالها سخطه فيمنعها عن عباداتها وصلواتها تلك [1].

مضافاً لذلك الدلالة الرمزية لمصطلح الحجاب لدى الفرق الغنوصية وعلى وجه الخصوص التقارب بينها وبين المفاهيم المسيحية من منطلق التثليث التصيري (المعنى-الاسم-الباب) المقابل للثالوث المسيحي (الأب-الابن-روح القدس)، والتي تطلق على الظهور البشري للذات الإلهية، فيكون لفظ الحجاب فيها هو الوسيلة التي أراد الله بها تنفيذ أحكامه، ولكونه أزلي قديم احتاج إلى اسم وصفة ليظهر فيها لخلقه، فاتخذ لنفسه حجاباً من نور، وظهر بواسطة هياكل بشرية، وبذلك تعدوا فاطمة بحسب هذه الرؤية التمثل الإلهي في الأرض [2].

ويبدو أن هذه الدلالات جعلت ماسينيون يفرق في الاعتقاد بين وجهين للإيمان، وجه داخلي أنتوي (شهادة خفية)، ووجه خارجي حر ومباح (العبادة الذكورية)، وهي ذات الصورة للممارسات التعبدية في بيئة الجزيرة العربية ذات الطبيعية الرجولية، ولذا فإن رسالة التي لم تكتمل لعدم امكانه ادراكها في كل من (آمنة أمه) التي لم تكن مؤمنة بحسب السرديات التاريخية الإسلامية، وخديجة التي مثلت الوجه الأنثوي للإسلام، لكنهُ تعارض مع تعدد الزوجات للنبي، والذي أنتبه اليه متأخراً بعد أن جعل ابنته فاطمة رهينه لتحقيق اكتمالهُ، وقد أستمرت هذه القيود بعد وفاة النبي، وتولي أبي بكر السلطة من بعده، فاستمرت فاطمة حتى نهاية حياتها في ممارستها لعقيدتها السرية، على أمل أن يتم تحررها والكشف عنها على يد

(1) *Herbert masaon:Memoir of afriend,pp.27-28.*

(٢) انظر الحسيني: الرسالة الرسالية، ص٩٩، ٣٧٢؛ الجبوري: رسالة التوحيد، ص١٨.

ولد من نسلها بحمل روحية والدها وهو(محمد المهدي). فالجانب المشترك في الديانات السماوية الثلاث(اليهودية، والمسيحية، والإسلام) هو(الأنثى) عبر(حنة اليهودية أم مريم)، و(مريم العذراء أم المسيح)، و(فاطمة أم أبيها)؛ فالمرأة هي الوسيلة للوصول إلى الله من خلال صلاتها[1]، التي تعدّ سلاح المرأة في مفهوم القداس القديم[2].

وتعرض ماسينيون أثناء هذا الطرح إلى تبيان حقيقة العلاقة بين السيدة فاطمة (عليها السلام) وعائشة خلال حياة النبي (صلى الله عليه وآله)، فبينا طرحها(لامنس) بصفة التشنيع، ودعوى غيرة فاطمة من عائشة على أبيها ومكانتها منه؛ نجد ماسينيون يخالف هذه الرؤية، فيقول: **أنها فرضيات صاغتها المخيلة الروائية. وتناقلتها أفواه الدراما المبكرة، التي شارك بها حتى أصحاب الرسول بعد خلاف السقيفة. وأخذ أبي بكر فدك من فاطمة، فإذا كانت عائشة هي ابنة أبي بكر الرجل ذا الحكم السديد. والصديق المخلص للنبي. والوحيد الذي فهمه جيدا. وأنها هي المرأة الوحيدة التي تزوجها الرسول بكرا، فهي مع ذلك مجرد زوجة في صراع غيور دائم من أجل السلطة والسياسة، ولديها حلفائها التكتيكيون أمثال حفصة الحكيمة والمتشددة، أما فاطمة فهي المرأة الأكثر حبا من غيرها للنبي، وغيرتها بحسب تكريم الأبناء والغيرة غير المبالية**[3].

وبذلك بدا ماسينيون مخالفاً للرؤية التي طرحات سلفه لامنس، الذي عمد إلى التقاط الأخبار والأحاديث المروية والموضوعة على لسان السيدة عائشة أو لحسابها؛ لإبراز هامشية الدور والمكانة التي تحتلها السيدة الزهراء(عليها السلام) لإزاحة صورتها كمرأة مثال تزاحم مكانة مريم العذراء(عليها السلام) عبر سلخ القيمة المعروفة عن السيدة الزهراء(عليها السلام) وإظهارها بمظهر الغيرة من زوجة أبيها، وتجريدها من أدنى الشرعية وأثر وحضور رسالي على امتداد حياتها القصيرة[4].

---

(1) *Nasr: Traditional islam,p.49.*

(2) *Y.Moubarac: Opera Minora, vole 1 , p.573.*

(3) *Angelier : Écrits Memorables ,vole1,p.258.*

(٤) انظر: كريم، صورة أصحاب الكساء، ٤٦٣-٤٧٣.

خامسًا – قضية فدك ورمزية الزهد في حياتها:

ركز ماسينيون في كتاباته عن السيدة الزهراء [1] على حياة الزهد التي عاشتها، مشيرًا إلى أنها كانت رافضة لها في البداية، ولكنها فرضت عليها من أبيها النبي؛ لتهيئتها لتكون بديلة عنه في إكمال رسالة الإسلام. وهو في طرحه هذا يهدف لتناغم مع فكرته الأساس حول مبدأ(**البديلية**)[1]، من دون أن ينسى التعكز على بعض الروايات وتأويلها، فقال: إنّ النبي بينما كان جالسًا ومتكئًا على أربع وسائد وهو يستقبل النساء من المهاجرين والأنصار، طلبن منه أن يخبر ابنته فاطمة بالحضور لحفل أنس في منزلهن، فاعترضت فاطمة على الذهاب بقولها لأبيها إنها لا تملك ثياب، فأحد ثيابها تمزق بسيقان النخل ، والآخر مرهون لدى شمعون اليهودي، فأصر النبي على ذهابها، وعادت إلى المنزل حزينة، فقال لها أبوها: فداك أبوك ما كنت يتيمة الأم في هذا العيد، فهبط جبرائيل ليزينها بثياب جميلة من الجنة. وذكر أنّ اليهود في إحدى محافل الزفاف لديهم أصروا على النبي بحق الجوار بينهم على قدوم فاطمة للحفل، وغرضهم من ذلك إذلالها؛ لأنها لا تملك الثياب الجميلة ومظاهر الترف كسائر نسائهم، لكن جبرائيل زين فاطمة حينها بثياب مطرزة بالذهب والفضة[2].

وحقيقة الحال إنّ ماسينيون هنا مارس عملية إهدار السياق لصالح الخطاب التأويلي، أو لنقل شيئًا من الاحتيال المقصود، فخلط بين روايتين منفصلتين، ليجعلهما متوافقتين مع ما ذهب إليه! فالإشارة الأولى تتعلق برواية مفادها أنّ السيدة الزهراء (ع) أو الإمام علي (ع) – حسب اختلاف الروايات – وبسبب ضائقة مادية مرت بهما، رهنا شيئًا من الثياب(ملاءة أو مدرعة تلبس فوق الثياب)عند شمعون اليهودي، مقابل صاع من التمر، وصاع من الشعير [3].

(1) *Y.Moubarac: Opera Minora:p.1 /579.*

(2) *Y.Moubarac: Opera Minor, vole1 ,p.579.*

(٣) ينظر:ابن حمزة: الثاقب في المناقب،٣٠٦-٣٠٧؛الفتال النيسابوري، الروضة الواعظين،٢ ٣٧٥-٣٧٦؛الخزرجي: مقتل الحسين ١٠ ١١٧-١١٨؛ المحسني بحر الأنوار،٤٣ ٧٢.

أما الإشارة الثانية فتتعلق برواية مفادها، أن بعض نساء اليهود طلبن من النبي (ص) أن تحضر ابنته فاطمة[٠] في أحد أعراسهم، وقالوا: لنا حق الجوار فسألك أن تبعث فاطمة بنتك إلى دارنا، حتى يزدان عرسنا بها، وألحوا عليه، وقد جمعوا الحلي والحلل، وظنوا أن فاطمة تدخل عليهم في ثياب بسيطة متواضعة، وأرادوا الاستهانة بها، فجاء جبرئيل بثياب من الجنة وحلي وحلل لم يرى مثلها، فلبستها فاطمة وتحلت بها، فتعجب الناس من زينتها وألوانها وطيبها، فلما دخلت دار اليهود سجد لها نساؤهم، يقبلن الأرض بين يديها، وأسلم بسبب ما رأوا خلق كثير من اليهود [١].

وغني عن البيان أن الروايتين يختلفان عما أراد ماسينيون الإيحاء به، فضلاً عن أنهما إنّما ظهرتا في المصادر المتأخرة، التي يدور الشك حول العديد مما جاء فيها، وفوق هذا وذاك، وعلى فرض صحة وقوعهما، فهما يرتبطان بأحداث تاريخية محددة لها ظروفها الخاصة البعيدة كل البعد عما أراده ماسينيون منهما.

وذهب ماسينيون إلى أن أن زواجها من ابن عمها علي كان بأمر النبي، الذي عهد بها إلى ابن عمه وأخيه كما عهدت مريم إلى زكريا بلا أمل، وأنها لم تحصل على مهر مادي، بل كان مهرها ماء الكوثر، ماء من آجار صحراء إسماعيل، ونهر الفرات الذي فطم منه الحسين في كربلاء، مياه من فلك التي أخذها أبو بكر عبثاً، الماء الذي يرمز للتطهير مع اشتراطه على أن تبقى زوجته الوحيدة طيلة حياتها كما كانت خديجة للنبي[٢]. ويبدو أنه هنا قد تناغم- وإن بشكل مختلف- مع ما طرحه سلفه(الامنس) عن زواج السيدة الزهراء (ع) ومهرها[٣].

---

(١) انظر: القطب الراوندي، الخرائج والجرائح، ج٢، ٥٣٧-٥٣٨.

(2) *Y.Moubarac: Opera Minor, vole1 ,p.607. ; Angelier:Écrits Memorables,p. 273.*

(٣) للتفاصيل أوفى عن الروايات المتقولة في مهر السيدة الزهراء (ع) وما يتعلق بالموروث المحالف حول موقفها من الزواج بالإمام علي انظر: كريم، صورة أصحاب الكساء، ٤٠٣- ٤٣٣؛ العوادي، السيدة فاطمة الزهراء، ١٠٥-١١٨.

وإلى جانب ذلك أشار ماسينيون لنفاد صبر النساء عموما للعدالة، كما هي حال فاطمة عند وفاة والدها ، وعدم قدرتها على تقبل أن يخطفه أي رجل آخر، فهي تغلق شعرها بغضب، وتخرج من منزلها لمواجهة سقيفة عمر وأبي بكر[1].

أما ما يتعلق بموقفها من سلب أرض فدك، فأشار ماسينيون إلى أنها حاولت بعد وفاة والدها الابتعاد عن مسرح الأحداث السياسية، وعن كل ما يخص السقيفة، وانتخاب أبي بكر الذي أخذ منها فدك، إذ رفضت مبايعته لأنها لم يكن بإمكانها التظاهر ضده[2].

وذكر أنها طلبت من والدها خلال حياته بستان نخيل على طريق فدك، ومات النبي دون وصية، فرفض أبو بكر بكل صرامة إعطاءها فدكا، وبقيت فاطمة في حزن وبكاء، متمسكة بالأمل الذي عهد به والدها إليها، إذ اقسم لها بيمين الولاء أنها ستلحق به بعد وفاته[3].

وقال في موضع آخر: لم يؤكد النبي لفاطمة إرثها لفدك التي ينص الشيعة أنه ورثها أهل بيت علي خلال مراسيم غدير خم[4]، وبعد أن أصبحت رهينة والدها في المباهلة. تخلت فاطمة عن كل شيء، ولو كان النبي أوصى لعلي لتجنبت فاطمة كل هذا الإنكار[5].وهذا يظهر جليا في عدم اعتراض علي على ما آلت إليه أمور الخلافة، فهو لم يخطط بأي حال للانقسام، وبمجرد موت فاطمة لم يكن مضطرا لإنكار انتخاب الخليفة، مما يدل بالمناسبة على أن النبي لم يعين علي بأي حال من الأحوال خليفة له[6].

ومن ثم عاد ماسينيون لمناقضة نفسه في هذه القضية، فقال: اعترضت فاطمة على أخذ فدك منها في خطبتها، وخرجت مؤازرة لسيد الوحي علي، لكنه هدأها بعد أن أصابها (ألم الروح)وقال لها

(1) *Loude : pathways to an Inner Islam ,p.109.*
(2) *Y .Moubarac : Opera Minora, vole1 ,p.589.*
(3) *. Y.Moubarac:Opera Minora, vole1 ,p.571.*
(٤) والسؤال الذي يطرح نفسه هنا هل فتحت فدك لهم في حادثة الغدير أيضا يبدو أن ماسينيون خلط في أحداثه.
(5) *Y.Moubarac: Opera Minora, vole1 ,p.597.*
(6) *Y.Moubarac: Opera Minora, , vole1 ,p.597 .*

عليًا: اهدئي مصيرهم قريب مثل الغد من اليوم. سيدعوهم القاضي أمامه. وعادت إلى بيتها مبتسمة وتبعها الحسنان بعد أن اطمأنت أن أعدائها سيحرقون في نار جهنم جميعًا[١].

وقد سؤل ماسينيون في موضع آخر عما إذا كانت فاطمة قد تعرضت للضرب ؟، وهل قطعت قلادتها ومات جنينها؟، وأجاب بأن قال: أن فاطمة ماتت بعد خمسة وسبعين يومًا من موت أبيها المحسن(صاحب السر الصافي حسب تسمية النصيرية)[٢]، وقد أنبي، معاملتها كمتمردة. وأخرجوها من المسجد. ففكت شعرها. وهي لفتة نبيلة دلالة لتضايق المرأة الحرة التي ستجدد في القيامة سخطها. وكان عمر رجل الدولة النبيل قاسيًا في معاملته لها. ولو أنها ضُربت لكان علي بالتأكيد لن يبقى صامتًا، ولابد أن يتدخل إذا أحد ضرب زوجته[٣].

وكحل لهذا التناقض، وجريًا على طريقته التوفيقية، أشار ماسينيون إلى أن علي على الرغم من شجاعته بلا منازع، طالته كتابات المؤرخين بالجبن؛ لكونه كان بالقرب من فاطمة ولم يحمها من الضرر؛ وذلك لأنه كان يعرف أن لعمر بن الخطاب الحق في التفتيش، بل وحتى ضرب امرأة تتحداه بغير حق مدني[٤]. ونص على أن ضرب عمر لفاطمة؛ كان لعدم انصياعها لأوامره بتولا، إلى أبي بكر، وهو ما أثار غضب السلطة الرسمية(الدولة العام)[٥].

ومع أن عمر قد وقع في خطأ كبير لدخوله بمبارزة مع امرأة ضعيفة محجبة مهانة اجتماعيًا، فإن فاطمة كانت قادرة على اللجوء إلى الله والصلاة والنذور السرية لتتخطى القانون المدني(سلطة الخلافة)،

(1) *Y.Moubarac: Opera Minora, vole1 ,p.591.*

(٢) تعتبر الفرقة النصيرية-العلوية على وجه التحديد-المحسن هو الاسم المخفي لله الذي يدعى به بالقرب. اللهم إني سألك باسمك المخفي. الذي لم يظهر ملك إلا لك لأنه لم ترد عون اجتهاد من المظهر الخصي. الرسالة الرسباشية.٢٠٧.

(3) *Borrmans: Islamochristiana,pp.9 -10.*

(4) *Y.Moubarac : Opera Minora , vole1 ,p.597.*

(5) *Loude : pathways to an Inner Islam ,p.107.*

فضربت على عقبتها، ومزق قرطاها اللذان يمثلان رمز الموت العنيف لاثنين من أبنائها، وأجهضت ابنا ميتا هو المحسن (١).

وفضلاً عن التناقض الكبير في كلام ماسينيون حول هذه المسألة، فهو قد اسقط شعوره الشخصي والصوفي على التاريخ، إذ عُرف عنه احترامه المبالغ به للقانون، على الرغم من عدم قناعته بكثير من أوامره، فهو يرى طاعة القانون واجبة وإن كان جائرا في القبض عليه، وإذا ما قُتل تحت ظالته فهو يأمل أن يكون مثل الحلاج (٢).

وفضلاً عن وقوعه في أسار الرواية التاريخية السائدة(**رواية السلطة**)، التي سطحت لحد بعيد مسألة اختيار الخليفة الأول، وقضية فدك، ومنعة السيدة الزهراء (ع) حولها، وما جرى من الأحداث في بيتها، فإنه من جانب آخر وقع في تناقض مرير لم يستطع حله على الرغم من حنكته الاستعراضية وأسلوبه الفلسفي في تأويل أحداث التاريخ وتفسيرها. فإذا كان النبي (ص) لم يعط ابنته فاطمة (ع) أرض فدك، فلماذا حرجت تطالب بها من الأساس؟!. ولماذا تُعرض نفسها لهذه الإهانات والقسوة والعنف المجاني، لدرجة أنها تُهاجم في دارها وتُضرب ويُسقط جنينها؟!. وهل تستحق قطعة أرض صغيرة، أن تتحمل من أجلها سيدة مقدسة زاهدة كل هذا العناء؟!. ومن ثمّ ما الذي ستخسره السلطة لو أنها أعطت هذه الأرض الصغيرة لفاطمة فأسكتتها بسلام؟!.

تغاضى ماسينيون عن قراءة الحادثة عبر هذه الأسئلة الجوهرية؛ لأن قراءة من هذا النوع من شأنها أن تُسقط رؤيته التوفيقية للأحداث وتفسيره الصوفي لها، وإلا فالسيدة الزهراء (ع) في خطبتها (**الفدكية**)، لم تعترض على سلبها لقطعة الأرض، بقدر اعتراضها على مخالفة سلطة الخلافة لصريح القرآن، ومعارضة أحكامه الصريحة والواضحة، ولذا قالت: **حتى إذا اختار الله لنبيه دار أنبيائه ظهرت حُلَلُ النِّفاق... تزعمون أن لا إرث لنا!. أفحكم الجاهلية تبغون..؟!. ويها معشر المهاجرين أأبتز إرث أبي؟!. أفي الكتاب أن ترث أباك ولا أرث أبي؟!. لقد جئت شيئا فريا ... زعمتم أن لا حق ولا إرث لي من**

(1) *Y.Moubarac: Opera Minora, vole1 ,p.598.*
(2) *Mason: Memoir of afriend,p.41.*

أبي ولا رحم!. أفخصكم الله بآية أخرج نبيه منها؟!. أم تقولون أهل ملتين لا يتوارثون!. أولست أنا وأبي من أهل ملة واحدة؟!.أم لعلكم أعلم بخصوص القرآن وعمومه من النبي!.... أأغلب على إرثي جورا وظلما![1].

على أن المعارضة للسلطة لم تقتصر على السيدة الزهراء ، فقد غدت دارها مركزاً لاجتماع بني هاشم وأنصارهم في معارضة سلطة السقيفة[2].

وورد: أن عليا والزبير كانا يدخلان على فاطمة، فيشاورانها ويرتجعان في أمرهم، فلما بلغ ذلك عمر بن الخطاب، خرج حتى دخل على فاطمة، فقال: والله ما من أحد أحب إلينا من أبيك. وما من أحد أحب إلينا بعد أبيك منك. وأيم الله ما ذاك بمانعي إن اجتمع هؤلاء النفر عندك. إن أمرتهم أن يحرق عليهم البيت[3].

ونتيجة لتلك الممانعة من بني هاشم أصدر أبو بكر أوامره لعمر بن الخطاب بأن يخرجهم من البيت بالقوة، ويقاتلهم إن هم رفضوا البيعة، وإن اضطرته الأمور أن يحرق الدار عليهم، فروي: أن أبا بكر بعث إليهم عمر بن الخطاب ليخرجوا من بيت فاطمة. وقال له: إن أبوا فقاتلهم. فأقبل بقبس من نار على أن يضرم عليهم الدار، فلقيته فاطمة فقالت: يا بن الخطاب، أجئت تحرق دارنا؟. قال: نعم، أو تدخلوا فيما دخلت فيه الأمة[4]. وفي نص آخر: أن عمر بن الخطاب دعا بالحطب،

(١) ينظر نص الخطبة عند: ابن ميثم: بلاغات النساء،١٢-١٧؛ابن الأثير: مثال الكاتب،٥٠١-٥٠٦؛ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة،١٦ ٢١١-٢١٧.

(٢) ينظر: عبد الرزاق الصنعاني :المصنف،٥ ٤٤٢؛ابن هشام: السيرة النبوية،٢ ٦٥٦،٦٥٨؛احمد بن حنبل: مسند،١/ ٥٥؛ الطبري : تاريخ ، ٣ ٢٠٢؛ ابن الاثير : الكامل ، ٢ ٣٢٧؛ الذهبي : تاريخ الإسلام،٣ ٦٣؛ابن كثير: البداية والنهاية،٥ ٢٢٦؛السيرة النبوية،٤ ٤٨٨.

(٣) ابن أبي شيبة: المصنف، ٨ ٥٧٢؛المتقي الهندي: كنز العمال، ٥ ٦٥١.

(٤)ابن عبد ربه الأندلسي: العقد الفريد، ٥ ١٣.

وقال: والذي نفس عمر بيده لتخرجن أو لأحرقنها على من فيها. فقيل له: يا أبا حفص، إن فيها فاطمة. فقال: وإن[1].

وندا قال من قال بمبايعة الإمام علي (ع) لأبي بكر أنه لم يبايع حتى توفيت فاطمة. فقد روي: أنه كان لعلي وجه من الناس في حياتها. فلما توفيت انصرفت وجوه الناس عنه. وقد مكثت فاطمة ستة أشهر بعد رسول الله ثم توفيت، ولم يبايع علي خلالها. ولا أحد من بني هاشم حتى بايع علي، فلما رأى علي انصراف وجوه الناس عنه ضرع إلى مصالحة أبي بكر[2].وروي أنهم أخرجوا عليا. فمضوا به إلى أبي بكر. فقالوا له: بايع. فقال: وإن لم أفعل؟. قالوا: إذن تضرب عنقك. فقال: أتقتلون عبد الله، وأخا رسوله. قال عمر: أما عبد الله فنعم. وأما أخو رسوله فلا. وأبو بكر ساكت لا يتكلم. فقال له عمر: ألا تأمر فيه بأمرك؟. فقال: لا أكرهه على شيء ما كانت فاطمة إلى جنبه[3].

والحقيقة أن الإمام (ع) لم يبايع لا لأبي بكر ولا لعمر، وإنما ترك الأمور تسري على ما جرت عليه؛ لأنه لم يجد أنصارا يعينونه على مقاومة الحزب القرشي، فأذعن للمسالمة لا للمبايعة كما أوضح ذلك في خطبه[4]، وبدليل ما روي عن عمر بن الخطاب أيام خلافته من أنه جرى بينه وبين عبد الله بن عباس حوار مطول، قال فيه عمر لابن عباس، أن علي بن أبي طالب وبني هاشم كانوا يرون أبا بكر كان كاذبا آثما غادرا خائنا. فلما توفي أبو بكر، وأنا ولي رسول الله وولي أبي بكر، رأيتموني كاذبا آثما غادرا خائنا[5].

---

(١) ابن قتيبة: الإمامة والسياسة، ١ ٣٠.

(٢)انظر: عبد الرزاق الصنعاني، المصنف،٥ ٤٧٢-٤٧٣؛البخاري، صحيح،٥ ٨٣؛مسلم،صحيح،٥ ١٥٤؛الطبري: تاريخ ٣٠٨٣؛ابن حبان: صحيح،١١ ١٤٠؛١٥٣ ٤٧٣؛ البيهقي، السنن الكبرى،٦ ٣٠٠.

(٣) الإمامة والسياسة،١ ٣٠-٣١.

(٤)انظر: شرح نهج البلاغة، ١ ١٥١- ١٥٢؛ ١٦ ١٦٦- ١٦٧.

(٥)انظر: مسلم، صحيح،٥ ١٥٢؛البيهقي،السنن الكبرى،٦ ٢٩٨؛ابن حجر، فتح الباري،٦ ١٤٤

وبالعودة لموضوعة فدك ومن وجهة نظر الأحكام السلطانية، فأنها تعدّ منحًا خاصًا للرسول الأب من الأراضي التي فتحت صلحًا، فأصبح نصفها خالصًا له[1]، وعندما نزلت آية «فآت ذا القربى حقه»[2] دعا فاطمة (عليها السلام) فأعطاها فدكًا[3]. وقد شهد لها بذلك زوجها الإمام علي (عليه السلام)، وأم أيمن مربية النبي (صلى الله عليه وآله) وحاضنته[4]، التي ورد أنها قالت لأبي بكر: **ألست تشهد بأني من أهل الجنة. قال: بلى، قالت فإني أشهد أن النبي أعطاها فدكًا**[5].

وعليه فالتنقيب في النصوص التاريخية يُثبت خلاف ما ذهب إليه ماسينيون، وبلا شك أن هذه النصوص ليست خفية على مطلع مثله، ولكنه جارى الرواية السائدة؛ لأنها تتلاءم مع ما طرحه حول ما أسماه بالمعارضة الصامتة للسيدة الزهراء (عليها السلام).

(١)للمزيد ينظر: سعاد مجسر: الموارد الاقتصادية، ٧٢٥-٧٣٢.

(٢) سورة الروم/٣٨.

(٣)ينظر: الحاكم الحسكاني، شواهد التنزيل، ١ ٤٣٩-٤٤٣، ٥٧٠وقد ذكر أكثر العديد من الروايات في هذا الصدد؛ السيوطي، الدر المنثور، ٤ ١٧٤؛ الباب المقول، ١٧٣؛ الشوكاني: فتح القدير، ٣ ٢٧٤.

(٤)ينظر: الجوهري، السقيفة وفدك، ١١٠.

(٥)ينظر: أبي شبة: تاريخ المدينة، ١ ١٩٩؛ ابن ابي الحديد، شرح نهج البلاغة، ١٦ ٢٢٠؛ المحب الطبري: الرياض النضرة، ١ ٦٨؛ الأميني: الغدير، ٣ ٦٠٨؛ السمهودي، وفاء الوفا، ٣ ٩٥٩.

الفصل الثالث

ماسينيون والمقاربات الروحية بين مريم وفاطمة(ع) وسلمان والحلاج

المبحث الاول

مريم وفاطمة(ع) مقاربات للحياة الروحية بين المسيحية والإسلام

امتازت دراسة ماسينيون لشخصية فاطمة الزهراء (ع) عن غيرها من الدراسات الاستشراقية التي عنت بسيرتها؛ كونه أراد من خلالها تقديم صورة شمولية للجانب الروحاني للمرأة في الإسلام[1]، ولا سيما أنه اعتمد المنهج المقارن وأوغل كثيرا فيه، واتكأ بشكل كبير على التأويل، والرمزية، واستنزف لحد بعيد النصوص المتعلقة بفرق الغلاة، ولا سيما الإسماعيلية، والنصيرية، والدروز.

وهنا لابد من الإشارة لمفارقة غاية في الأهمية، وهي أن ماسينيون الذي ادعى نقد آراء سلفه لامنس وطروحاته، بدعوى أنها متطرفة، ومتحاملة، ومتعصبة، ولم تختر من الواقع الرواتي التاريخي إلا صوره الأشد عتمة وسلبية، مع مزيد من التصرف والتحريف فيها؛ فإنه هو الآخر بدوره لم يفعل سوى أن أدار زاوية النظر لشخصية السيدة الزهراء (ع) من أقصى اليسار إلى أقصى اليمين، وغادر عن عمد الواقعية التاريخية والموضوعية، التي يفترض أن يلتزم معها المنطقة الوسط، فبدلا من ان يبحث عن سيرة الزهراء (ع) وصورتها في كتب ومصادر الغلاة الأشد تطرفا وبعدا عن التشيع، كان الأحرى به –إن كان يبحث عن الموضوعية والحقيقة– أن يبحث عن سيرتها وصورتها في كتب ومصادر التشيع المعتدلة، والمتفق عليها، والقريبة لعصر الشخصيات التي يدرسها، أو التي تتصل أخبارها بأناس عاصروا زمن الأحداث، أو نقلوا عمن عاصرها، ممن لا يتهمون بالمغالاة، ولا بالتطرف والعداء لأهل البيت (ع)، أو على أقل تقدير، أن يستند على المصادر التي اعتمدها لامنس من قبله، ويبحث فيها عما يعاكس الصورة التي أنتجها الأخير، ففيها كثير من الأخبار التي تمكنه من تقديم صورة تاريخية واقعية وموضوعية، وهو بهذا الحال لم يختلف كثيرا عن سلفه، الذي استقى صورة الزهراء (ع) وسيرتها من المصادر الرسمية التي تحمل الغث والسمين، بينما استقاها هو ممن غالا فيها، وانتزع صورها من سياقاتها الطبيعية والبشرية، فشوهها كما فعل السابق.

وحقيقة الحال، كانت دراسته لشخصية الزهراء (ع) في غاية الحساسية؛ لأنه لم يكتب خلال تناول حياة النبي (ص) وسيرة أهل بيته (ع) في الغرب مثل ما كتبه ماسينيون في دراسة الجانب الروحاني للمرأة في

(1) *Nasr: Traditional islam ,p.262.*

الإسلام[1]. أني أن هذا الميدان ظل شاغرا حتى عصره إلا من كتابات لامنس وكتاباته فيما بعد، وهما صورتان مع ما يبدو عليهما من التناقض، إلا أنهما يتوازيان على نحو آخر للقارئ المدقق، والمتتبع البصير.

وهو وإن كان يدعي في مقارباته تلك، وصل الخيوط بينها وبين الصورة المسيحية لمريم العذراء ؛ فذلك في الحقيقة مصادرة على المطلوب. فالإسلام والقرآن يشجبان وبشدة الصورة المشوهة، التي قدمها النصارى عن مريم العذراء، والسيد المسيح ، وبالتالي فالقداسة المشوهة لصورة السيدة الزهراء في كتابات الإسماعيلية، والنصيرية، والدروز ، وغيرهم من الطوائف المنحرفة، لا يمكن أن تتخذ معيارا لمحاولة تمثل لصورة القداسة المريمية المشوهة في الأصل عند النصرانية.

وهنا يجدر الالتفات إلى أن ماسينيون إنما ذهب لذلك؛ لأنه سلك مسلك الصوفية، وتشبع بفكرها الغنوصي [2]، الذي يعتمد التأملات الباطنية، والإلهام والحدس، والمعرفة الداخلية والاستبطان، وهي آليات استخدمها ماسينيون في مقارباته المتعلقة بالتصوف والعرفان الإسلامي، وطبقها بشكل جلي في دراساته عن السيدة الزهراء ؛ وبالنتيجة فهو كسلفه لامنس من حيث التشويه المتعمد، ولكن بالاتجاه المعاكس.

وعلى هذا الأساس فإن ماسينيون تبنى في مقارباته للعلاقة بين السيدة فاطمة والسيدة مريم العذراء ؛ مفهوم التماثل في نموذج الأصل الواحد الذي حكم هاتين الشخصيتين في واقعهما الروحي والديني، وخاصة من خلال بعض الفرق المتطرفة، التي تصلي إلى الله من خلال فاطمة ومريم العذراء لقضاء حوائجهم[3]، مركزا على جانب المعاناة الروحية، والألم في الحياة البشرية، ليقارب بينها وبين فكرة التضحية والفداء المسيحي[4]. وهي الفكرة التي عارضها القرآن الكريم. فالمخلوق يبقى على مسافة من خالقه حتى بعد الفناء الدنيوي، وأمام هذه الحقيقة القرآنية الصادمة، ذهب ماسينون إلى إن رفض القرآن لهذا الاتحاد، كان حفاظاً منه على امتيازه الإلهي للمسيح[5].

---

(1) *Nasr: Traditional islam ,p262.*

(2) سنبين ذلك في المبحث الثاني.

(3) *Nasr: Traditional islam,p262.*

(4) *Nasr: Traditional islam ,p269.*

(5) *Loude: pathways to an Inner Islam,p.65.*

وغني عن البيان أن هذا الزعم في الحقيقة يغالط فكرة القرآن الكريم عن قصة السيد المسيح، فهو يرفض فكرة حلول الناسوت في عيسى أو (فكرة الألوهية)، بل وحتى فكرة صلبة وقيامته في المعتقد المسيحي. قال تعالى: ﴿ وقولهم إنا قتلنا المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم وإن الذين اختلفوا فيه لفي شك منه ما لهم به من علم إلا اتباع الظن ۚ وما قتلوه يقينا ﴾[1]، وقال تعالى: ﴿ لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح ابن مريم وقال المسيح يا بني إسرائيل اعبدوا الله ربي وربكم إنه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار وما للظالمين من أنصار ﴿ لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة وما من إله إلا إله واحد وإن لم ينتهوا عما يقولون ليمسن الذين كفروا منهم عذاب أليم ﴾[2]، وقال تعالى: ﴿ قالوا اتخذ الرحمن ولدا ﴿ لقد جئتم شيئا إدا ﴿ تكاد السموت يتفطرن منه وتنشق الأرض وتخر الجبال هدا ﴾[3].

وبالنظر للمنحى التاريخي (الزماني) يعود ماسينيون في المقارنة بين مريم وفاطمة إلى جذورها الأولى عبر النبي محمد ومريم، فهو يرى: أن كلاهما تلقى الكلمة من الله، محمد في المبعث، ومريم حين كلمها الوحي، مشيراً إلى دور كل من آمنة بنت وهب، وأم مريم في تحقيق الاندماج مع الإله[4]. ففي الوقت الذي وقف عدم إيمان آمنة (أم النبي) عائقاً أمام اندماجها مع الإله، فإن أم مريم المؤمنة التي وهبتها لله. ووهبت هي نفسها لكلمة الله، فحلت فيها روحه، وولدت السيد المسيح. وأمام هذا الواقع حاول النبي تلافي هذا العائق عن طريق ابنته فاطمة، التي لقبت بـ(أم أبيها)، لتحل محل أمه (آمنة)، وتكمل رسالته الناقصة، عبر معاناتها. ومجيء المخلص (المهدي) في آخر المطاف من نسلها[5].

---

(١) سورة النساء، الآية ١٥٧.

(٢) سورة المائدة، الآية ٧٢- ٧٣.

(٣) سورة مريم، الآية ٨٨- ٩٠.

(4) *Loude :pathways to an Inner Islam,p.79.*

(5) *Y.Moubarac: Opera Minora,vole3,p.645.*

وعليه فلأن الله لم يسمح لمحمد أن يشفع للخلاص، جعل من ابنته رهينة في المباهلة؛ كونها مجلة. فهي وليدة المعبد النذري(المسجد الأقصى)، الذي أنجب مريم. فكرسها النبي دون رغبة منها؛ لتكون مسؤولة عن إنجاب النسل الإبراهيمي. شأنها شأن مريم بالاتجاه المعاكس. ولتشعر بألم الدموع(عزاء الروح)، الذي مكن مريم (المؤمنة)أو(الموهوبة للرب) من تصور كلمة لله في عزلة حدادها. وتحقيق ذلك الاندماج عبر تضحيتها بيسوع[1].

ويعني ماسينيون بعبارة(أن الله لم يسمح لمحمد أن يشفع للخلاص)، أي الخلاص الأخروي أو الشفاعة التي قدمها يسوع للآثمين في نهاية دورة حياته من خلال عملية الصلب والفداء في المعتقد المسيحي، إذ يرى أن هذا الدور لم يظهر في النهاية الاعتيادية لحياة النبي محمد ﷺ ولذا يصفه بـ(النبي السلبي)، وهذا لا يعني أنه مدع للنبوة، بل لأنه لم يحقق الخلاص في حياته، وإنما غدا فقط شاهداً، ومبشراً ومنذراً بيوم الحساب[2].

وهذه المسألة في الواقع تتمحور حول فكرة أساسية، تكمل مبدأ البدلية، وتمنحها مبرراتها، كان قد تبناها ماسينيون، ونظم طروحاته حيال النبوة المحمدية على أساسها، وهي أن النبي لم ينتهز فرصة المعراج للاتحاد بالله والاندماج في ذاته، كما لم يستطع الصوفيون من بعده تحقيق هذا الاتحاد، إلا الحلاج الذي دفع حياته ثمناً لهذا الاندماج[3].

وبالعودة لرأي ماسينيون السالف حول السيدة الزهراء ﷺ واتخاذها رهينة من قبل أبيها على الرغم من معارضتها، فيبدو أنه قد تأثر بشكل أو بآخر – وإن حاول إخفاء ذلك – بآراء سلفه لامنس التي انتقدها ابتداءً، إذ ادعى لامنس وبالاستناد على بعض مرويات السيرة الموضوعة والمحرفة، أن النبي ﷺ أجبر الزهراء على الزواج من الإمام علي، وهو ما كان سبباً في حزنها وبكائها المستمر والدائم، متجاوزاً الأحداث المأساوية التي وقعت لها بعد النبي؛ ليجعل من أبيها وزوجها تسبب في حزنها الطويل، ولأنها لم تكن

(1) *Y.Moubarac Opera Minora ,vole1,pp.589,596.*

(٢) ينظر: ماسي، نقد الحطاب، ١ ٢١٣.

(3) *Louis Massignon, Les trois prieres d'abraham, pp,16- 17.*

مرغوبة للزواج كنساء عصرها، ولم يرغب أحد من المسلمين الزواج منها، حتى تزوجت من علي الذي كان على شاكلتها، ومعاملة الأخير المتسمة بالقسوة لها، وما كان يعانيانه من الوضع المعيشي الصعب، وحالة الفقر المدقع التي كانا يعيشانها[1]. وفي الواقع إن قول ماسينيون السابق: (**فكرسها النبي دون رغبة منها... لتكون مسؤولة عن إنجاب النسل الإبراهيمي**) ما هو إلا اعتراف ضمني بقدسية هذا الارتباط، والمهمة التي تنتظره، وبالتالي فهو لم يأت اعتباطًا، أو من دون استعداد ومقومات قبلية، وبالنتيجة فهو يناقض الطرح المغلوط في وصف العلاقة بين الأمام علي وفاطمة " بأنها كانت سلبية، فهي علاقة سادها الوئام والمحبة طيلة حياة فاطمة، مع التزام علي بطلب النبي بعدم الجمع بينها وبين امرأة أخرى خلال حياتها[2].

ومع أن ماسينيون لا ينفي ما تعرضت له السيدة الزهراء " وسلب حقوقها بعد وفاة النبي "، و يرى أن حزنها وبكاءها مقدس ويوازي، أو عنى شاكلة حزن السيدة مريم " وبكائها، إلا إن مما يعاب عليه أنه تماشى مع طرح سلفه لامنس في تعميم هذا المشهد من الحزن والبكاء على حياتها بالكامل، والواقع أن ذلك استمر لمدة(٦- ٨)اشهر فقط، على أثر وفاة أبيها، وتعرضها لما حدث لها بعد وفاته، حتى شهادتها، على اختلاف الروايات في المدة التي قضتها بعده[3].

---

(١) استقاص الباحث كرسه في بيان طروحات لامنس المتعلقة بالسيدة الزهراء " وللرد عليها للمزيد ينظر كتابه صورة اصحاب الكساء،٤٠٣-٤٣٠.

(٢) *Angelier :Écrits Memorables,PP.243,273,258.* على أن عدم زواج الإمام علي " على الزهراء في حياتها، هو في الحقيقة من حبه وتقديره لها، واكتفاءه بها عن كل النساء، وطبيعة تعامله معها، وما كان يشعر به، ومقدار حزنه عليها حين وفاتها، ينظر: شهد كريم، صورة أصحاب الكساء، ٣٨٦- ٣٩٦.

(٣) قد توفيت بعدة ب٣٠ليلة، ينظر: العقوبي، تاريخ٢ ١١٥؛ وقيل بعد ٤٠ ليلة، ينظر: البلاذري، انساب الأشراف،٢ ٣٠؛ وقيل بعد اشهر، ينظر: ابن كثير، البداية والنهاية،٥ ٣٣٠؛ وقيل بعد ٧٠ يوم، و ٧٥ليلة، ينظر: ابن شبة، تاريخ المدينة،١ ١٠٨؛ خليفة بن خياط: تاريخ،٥٩-٦٠؛ابن قتيبة، الامامة والسياسة،١ ٣١؛البلاذري، أنساب الأشراف،٢ ٣٠؛ وقيل بعد٣اشهر، ينظر: ابن سعد، الطبقات،١٠ ٢٩؛ خليفة بن خياط: تاريخ،٦٠؛ البلاذري، أنساب الأشراف،٢ ٣٠؛ الطبري، تاريخ،٣ ٢٤٠؛ الحاكم النيسابوري، المستدرك،٣ ١٦٢؛وقيل بعد٩٥ليلة، ينظر: الدولابي، الذرية الطاهرة،١٥٢؛ وقيل بعد٦اشهر، ينظر: عبدالرزاق الصنعاني، المصنف،٥ ٤٧٧؛ابن سعد: الطبقات،١٠ ٢٨؛ الطبري، تاريخ،٣ ٢٠٨؛ البيهقي،السنن الكبرى،٦ ٣٠٠؛ وقيل بعد٨ اشهر، ينظر: خليفة بن خياط: تاريخ،٥٩-٦٠؛ ابن عبد البر: الاستيعاب،٤ ١٨٩٤. للمزيد من التفاصيل ينظر:العوده، السيدة فاطمة الزهراء،٨٦٧-٨٦٩.

وأشار ماسينيون إلى أن فاطمة الزهراء "ومن خلال هذه المعاناة والحزن أصبحت أورانتس[1] الإسلام، كما كانت مريم أورانتس إسرائيل و شفيعتهم، من خلال صلاتها ودعاءها في المسجد الأقصى، ذلك المكان الذي كرم فيه المصلى المريمي لزكريا، والذي عده ماسينيون قمة الأماكن المقدسة على خلاف استصغار المدينة المنورة لفاطمة[2]. أي عدم مراعاة حقها بعد وفاة أبيها، وغصب سلطة الخلافة، وعدم وقوف المهاجرين والأنصار إلى جانب آل البيت" -بشكل واضح وصريح.

ومن المسائل المهمة التي تبناها ماسينيون فيما يتعلق بشخصية السيدة الزهراء "ما افترضه بأنها كانت قد أدركت محوريتها في حادثة المباهلة، لتصبح المثال النسوي في الإسلام المقابل لمريم في المسيحية، إذ اصبحت فاطمة بموجب المباهلة رهينة إلهية، كما مريم والدة الإله- حسب المعتقد المسيحي- فهما سيدتا الأحزان، ورهينتان مقدستان، كما أن فاطمة طبقت على نفسها الآيات القرآنية المتعلقة بمريم؛ لتحقيق هذه المكانة الإلهية[3].

وأشار ماسينيون إلى مسألة غاية في الأهمية، هي: أن هذا الاتفاق مع أهل نجران كان الوحيد الذي لم يكن من شأن موت محمد أن يبطله؛ وهذا لأنه شارك فيه ضامنون عاشوا بعده وحافظوا عليه، ولم يكونوا مجرد شهود على صحة توقيعه مادياً، إبان حياته، بل كانوا أيضاً أبدالاً حقيقيين. هم (آل محمد) صاروا أبدالاً عنه بنطق سابق لصيغة شعائرية[4]، أي صيغة المباهلة: أنفسنا النبي والإمام علي /أنفسكم، نساءنا – فاطمة / نسائكم، أبناءنا – الإمامين الحسن والحسين / أبناءكم. وعاد لحادثة (المباهلة) في بحث آخر فقال: لهذه المحاكمة، التي فيها إظهاره الوحيد لإخلاصه المطلق، جمع النبي(أهله / الخمسة) الذين دثرهم بدثاره، وهم (عداه) حفيداه وابنته وزوجها

---

(١) الكلمة مأخوذة من الأصل اللاتيني: Orontes؛ الذي يعني: المدعو أو العلاق، أي الشخص الذي يصلي ويدعو لشفع للآخرين المذنبين.

(2) *Y.Moubarac: Opera Minora,vole1,p.559.*

(3) *Y.Moubarac:Opera Minora,vole1,pp.66,590.*

(٤)انظر: بدوي، شخصيات قلقة،١٦٢.

رهائن على إيمانه برسالته النبوية. ومنذ ذلك الحين استحال عند بعض صحابة النبي ما كانوا يحملون من مودة نحو الخمسة إلى حب عبادة. فقد قدسوا آل علي لأن قرابتهم الدموية المتفاوتة في قربها من النبي قد تحولت بنوع من الشعيرة العلنية (المباهلة) نقلت كل أملهم في العدل بعد موت النبي؛ وفريق آخر أبغضهم ناقلين إلى آل علي تأثرهم بموتاهم الكفار الذين قتلوا في بدر بأمر من الرسول يد علي. (١)

وأقل ما يقال عن هذا الافتراض الذي يذهب إليه ماسينيون أنه يقلب النص لصالح الفكرة، فهو يصح على تصور النصارى في وفد نجران لأهل البيت عموما، لا على المسلمين أنفسهم، بدليل أن الوفد النجراني عندما رأوا النبي مصطحبا أهل بيته للمباهلة، تراجعوا عن المضي بها؛ لأنه إن لم يكن صادقا لما خاطر بأهل بيته في هذا الموقف، هذا فضلا عما رأوه باديا على وجوههم من العظمة الإلهية، فقال كبيرهم: **يا معشر النصارى، إنّي لأرى وجوهًا لو سألوا الله أن يزيل جبلًا لأزاله، فلا تباهلوا فتهلكوا**(٢).

ثم إن الحدث لا يخص الزهراء لوحدها بل كل أهل البيت، وهذا المفهوم(أهل البيت)، ومحوريته في تاريخ الرسالة والإسلام، تأسس بناء على نصوص قرآنية وحديثية متقدمة جدا على زمن حادثة المباهلة عام(١٠هـ)وكما يبدوا ان ماسينيون خلط بين حادثة الكساء وبين المباهلة في هذا الطرح.

وأن تركيز ماسينيون على محورية الإسلام عبر الخمسة في المباهلة لا يخرج عن الإطار العام لنظرية لامنس التي تركزت في الذوات المقدسة الخمس؛ كونها تمثل(**العائلة المقدسة**) قبالة المسيحية المثالية

(١) سلمان والواكر، الروحة للإسلام، ضمن كتاب شخصيات قلقة في الإسلام، بدوي،٤٤-٤٥.

(٢) ينظر: اليعقوبي، تاريخ، ٨٢/٢- ٨٣؛ ابن مردويه، مناقب علي بن أبي طالب، ٢٢٧- ٢٢٨؛ الحلبي، نكت، والعيون،٨٥/٣؛ ينظر، معالم التنزيل،٣١٠/١؛البغوي، معالم التنزيل،١٥٨/١؛ الرازي، تفسير الرازي، ٨٥/٨؛ ابن الصباغ، فصول المهمة، ٥٠؛ ابن صباغ المالكي، ١٨٩- ١٩٠؛البيضاوي، تفسير البيضاوي،٤٧/٢؛ الزيلعي، تخريج الأحاديث والآثار،١٦٨/١؛ الطبري، ذخائر العقبى، ٩٥/٢؛ الحلبي، السيرة الحلبية،٣٣٦/٣.

المستندة على (الأب، الأبن، الأم، روح القدس) فإن كلاً منها يعطي مثالاً قائماً بنفسه وبحد ذاته، قادرة على أزاحة ما يقابله في المثالية المسيحية (البنوة، البنوة، البتولية)[1].

وبالعودة للزهراء (عليها السلام) فإن مكانتها وتركيزها في قصة الإسلام، كانت قد تبدت منذ لحظة ميلادها، وما خاطب به الله تعالى نبيه حينما كان مشركو قريش يعيرونه بالأبتر؛ لأنه لم يعقب ولداً ذكراً، فأنزل الله سورة الكوثر مواساة له، ولبيان عظم بنته[2]، ومن ثم في حادثة الكساء عام (٥هـ) عندما أخذ النبي بيدي الحسن والحسين واجلس علي وفاطمة بين يدية والحسنان على فخذيه، ولف عليهما ثوبه وتلى عليهم قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾[3].

وقال: **اللهم هؤلاء أهل بيتي وأهل بيتي أحق**[4]. ولتأكيد هذه المكانة في نفوس المسلمين ولتبيان خصوصيتها بأهل هذا البيت كان النبي (صلى الله عليه وآله) بعد نزولها يمر ببيت فاطمة **ستة أشهر اذا خرج لصلاة الفجر، فيقول: الصلاة يا أهل البيت، إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا**)[5].

---

(١) ينظر: كريم، سورة اصحاب الكهف، ٢٢.

(٢) والعرب هنا أن المفسرين رغم تصريحهم بسبب النزول، وأنه مرتبط بتعيير النبي (صلى الله عليه وآله) فإنهم تعاملوا مع التصريح بمقصود الآية الحقيقي، وارتباطه ببنته فاطمة الزهراء (عليها السلام). ينظر: الطباطبائي، الميزان، ٢٠/٣٧٠- ٣٧١. ، فأولوا لفظة الكوثر بتأويلات عدة! ينظر: الطبري، جامع البيان، ٣٠ ٤٢٧- ٤٢٨؛ الواحدي النيسابوري: أسباب النزول، ٣٠٦- ٣٠٧؛ البغوي: زاد المسير، ٣١٨؛ الفخر الرازي: تفسير الرازي، ٣٢ ١٧٤؛ السيوطي: الدر المنثور، ٦ ٤٠٤؛ الشوكاني: فتح القدير، ٥ ٤٠٤؛ الآلوسي: تفسير الآلوسي، ٣٠ ٢٤٥، ٢٤٧- ٢٤٨.

(٣) سورة الاحزاب، ٣٣.

(٤) ينظر: احمد بن حنبل، مسند، ١٠٧٤. وروى ذلك عن أم سلمة وأنه حدث في داره، ٦ ٢٩٢، ٣٠٤. وينظر: ابن ابي شيبة، المصنف، ٧ ٥١٢؛ مسلم، صحيح، ٧ ١٣٠؛ الترمذي، س، ٥ ٣٠-٣١؛ الطبري، جامع البيان، ٢٢ ٩؛ الحاكم النيسابوري: المستدرك، ٢ ٤١٦، ٣؛ ١٣٣؛ البيهقي: السنن الكبرى، ٢ ١٤٩-١٥٢؛ الخوارزمي: المناقب.

(٥) ينظر: احمد بن حنبل، مسند، ٣ ٢٥٩، ٢٨٥؛ فضائل أهل البيت: باب: فضائل فاطمة بنت رسول الله، ٤٨٥-٤٨٦.

هذا فضلًا عن أن أقواله في حق السيدة الزهراء (عليها السلام) خلال حياته الشريفة تنص وتؤكد على تلك المكانة والمنزلة، ومنها قوله: (فاطمة سيدة نساء الجنة)[1]، و(أنها فاطمة بضعة مني يؤذيني ما آذاها وينصبني ما أنصبها)[2]، و(فاطمة مضغة مني يقبضني ما قبضها ويبسطني ما بسطها وان الأنساب يوم القيامة تنقطع غير نسبي وسببي وصهري)[3]. وأنه سئل:(من أحب إليك؟. قال: فاطمة)[4]. وأنه كان(إذا سافر آخر عهده بإنسان من أهله فاطمة وأول من يدخل عليه إذا قدم فاطمة)[5]. وأنه قال:(حسبك من نساء العالمين مريم ابنة عمران، وخديجة بنت خويلد، وفاطمة بنت محمد، وآسية امرأة فرعون)[6]، وروي عن السيدة عائشة أنها قالت: (قال رسول الله سيدات نساء أهل الجنة اربع: مريم بنت عمران وفاطمة بنت رسول الله وخديجة بنت خويلد و آسية امرأة فرعون)[7].

وأنه قال لحذيفة بن اليمان وقد سمعه يناجي : إن هذا ملك من الملائكة لم يهبط الأرض قبل الليلة ، يبشرني أن الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة، وأن فاطمة سيدة نساء أهل الجنة[8].

ومن ثم اكد القرآن الكريم سريان حقيقة هذا التماهي واستمراره؛ فصدح في السنة العاشرة بأن الامام علي – نفس رسول الله و والحسنين –ابناء رسول الله، وان فاطمة هي ذلك الرباط الوثيق والنواة التي امتزجت وتكونت من خلالها هذه الأسرة العظيمة(أهل بيت النبوة)، قال تعالى: ﴿ فمنْ حآجّك فيه من بعْد ما جآءك من الْعلْم فقُلْ تعالوْا ندْع ابْنآءنا وابْنآءكُمْ و نسآءنا ونسآءكُمْ وأنفُسنا وأنفُسكُمْ ثُم نبْتهلْ فنجْعل

(1) ينظر: ابن أبي شيبة، المصنف،٧٧ ٥٢٧؛احمد بن حنبل،مسند،٣ ٨٠؛البخاري،صحيح،٣ ١٨٣؛ الترمذي: سنن،٥ ٣٧٦؛ النسائي: سنن،٤ ٢٥٧.

(2) ينظر:احمد بن حنبل،مسند، ٤ ٥؛ فضائل أهل البيت، ٤٧٥-٤٧٧؛الترمذي: سنن، ٥ ٣٦٠؛الحاكم النيسابوري:المستدرك،٣ ١٥٩.

(3)ينظر: أحمد بن حنبل ،مسند، ٤ ٣٢٣؛ فضائل أهل البيت،٤٨٠.

(4)ينظر: أحمد بن حنبل ،مسند، ٥ ٢٠٤؛فضائل أهل البيت،٤٨٠؛ البيهقي، السنن الكبرى،١ ٢٦.

(5)ينظر: أحمد بن حنبل ،مسند،٥ ٢٧٥؛أبو داوود: سنن، ٢ ٢٦١؛البيهقي: السنن الكبرى، ١ ٢٦.

(6) ينظر: أحمد بن حنبل، فضائل أهل البيت؛باب: فضائل فاطمة بنت رسول الله،٤٧٨-٤٧٩، ٤٨٢-٤٨٣.

(7)ينظر: أحمد بن حنبل، فضائل أهل البيت،٤٨١، ٤٨٤؛الحاكم النيسابوري: المستدرك،٣ ١٥٨؛الإربلي، كشف الغمة،٢ ٧٧.

(8) ينظر: أحمد بن حنبل، مسند،٥ ٣٩١؛الحاكم النيسابوري: المستدرك،٣ ١٥٩؛المفيد، الأمالي،٢٣.

لَعْنَتَ اللهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾[1] وهذه النصوص التأسيسة إنما ترغب في تأكيد خصوصية السيدة الزهراء ولفت النظر لسمو وعلو مكانتها وفضلها؛ كتواجد لامتزاج النبوة بالإمامة وبالتالي محوراً للمنظومة الدينية الإسلامية التي تدور حول مرتكزي (النبوة-الإمامة)، هذا فضلاً عن تواجدها بكافة مفاصل تاريخ الدعوة والرسالة الإسلامية ومحطاتها المفصلية والمصيرية المهمة كحادثة المباهلة مع نصارى نجران، وحادثة الكساء، وحادثة الهجوم على الدار وغيرها... مما يبين مفهوم التداوب والدور الذي يحمله التواجد النسوي الممثل بالسيدة الزهراء في الرسالة الخاتمة. على أن هذا الأمر لا يخضع فقط لرغبة النبي ولا لتعلقه الأبوي العاطفي بها؛ إنما هي حتمية مقرورة سلفاً وفق المنظور الإلهي لتكامل الادوار في اداء وظيفة النبوة على عكس ما أراد ماسينيون اظهاره بان النبي "كرس السيدة الزهراء" كرهينه لعجزه عن إتمام رسالته.

ومن الجدير بالذكر أنه على الرغم من السعي الحثيث لمحو تلك الفضائل المرتبطة بأهل البيت" - وتكذيبها ومعارضتها من قبل السلطة السائدة المخالفة لهم-كما نص على ذلك المدائني.ت ٢٢٥هـ) [2]، فإن تلك الفضائل ظلت محفورة في ذاكرة المسلمين حتى غدت موضوعاً ولوناً من ألوان التأليف التاريخي والروائي [3].

---

(١) سورة آل عمران: الآية ٦١.

(٢) قال: كتب معاوية لما برئت الذمة ممن روى شيئا من فضل أبي تراب وأهل بيته فقامت الخطباء في كل كورة وعلى كل منبر بالمدينة فيلعنون عليا، ويبرؤون منه، ويقعون فيه وفي أهل بيته وكتب إلى عماله: ألا يجيزوا لأحد من شيعة عثمان ومحبيه وأهل ولايته والذين يروون فضائله ومناقبه شهادة، وأدنوا مجالسهم وقربوهم، وأكرموهم، واكتبوا لي بكل ما يروى كل رجل منهم، حتى أكثروا في فضائل عثمان ومناقبه، لما كتب أن الحديث في عثمان قد كثر وفشا في كل مصر، فادعوا الناس إلى الرواية في فضائل الصحابة والخلفاء الأولين، ولا تتركوا خبرا يرويه أحد من المسلمين في أبي تراب إلا وتأتوني بمناقض له في الصحابة، فروت أخبار كثيرة في مناقب الصحابة مفتعلة لا حقيقة لها، حتى أشاد بذكر ذلك على المنابر، وألقي إلى معلمي الكتاب فعلموا صبيانهم وغلمانهم، وحتى رووه وتعلموه كما تعلمون القرآن و علموه بناتهم ونساءهم وخدمهم وحشمهم. ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة، ١١: ٤٤-٤٦. وللاستزادة ينظر: السيد الله هاة كتابة التاريخ(مجلة رسالة الزافدين، العدد ٨٨، ٢٠٠٨، ٨٩-١١٧.

(٣) على سبيل المثال: كتاب المعيار والموازنة في فضائل أمير المؤمنين لأبي جعفر الإسكافي ت ٢٤٠هـ وكتاب فضائل أهل البيت لأحمد بن حنبل ت ٢٤١هـ وكتاب فضائل أمير المؤمنين لابن عقدة ت ٣٣٢هـ وكتاب خصائص أمير المؤمنين للنسائي=

وكان ماسينيون قد تبنى الرأي المتقدم ليدعم فكرته في (**مبدأ البدلية**)، فأكد على أن عجز النبي عن الاتحاد مع الله، وكون فاطمة رهينة المباهلة، وكونها بمثابة والدة والدها رمزياً، في عملية تحقيق استبدال أقدم عوضاً عن أمه امنة، فإنها أصبحت بموجب ذلك كله المضيفة الوحيدة في الإسلام، وعليها أن تقدم أولادها أضاحي كمريم في مساء الصلب، إلا أن التقليد الإسلامي لا يؤمن بعودة النبي محمد كالمسيح، بل يمنح اسم النبي لآخر نسله(محمد المهدي) من ابنته فاطمة، وهي فكرة ورثتها فاطمة من مريم، وأنها مسؤولة عن ولادة(شبه مسيح) مع يسوع في آخر الزمان؛ لتواسي فيه الأمل المسيحاني لتحقيق العمل النهائي [1].

وماسينيون هنا يمزج بين مناهج عدة في تقرير نتائجه، فمن جانب هو يسرف في الاتكاء على المعرفة الحدسية والاستبطان، ويغالي في التأويل، ويخلطه بالفلسفة وآراء الغلاة، ومن دون أن يغادر منهج الأثر والتأثير، فهو في خضم تأويلاته تلك لا ينسى الإشارة إلى أن فكرة المهدي الإسلامي من نسل فاطمة، ما هي إلا تقليد حرفي لفكرة مسيحية سابقة.

وحقيقة الحال إن هذا تمنطق في ربط الأفكار، وتحليل الأحداث، يتجاوز عتبة التاريخ، ويهدر السياق النصي لحساب الفكرة، وإلا ففكرة ظهور(**مخلص، منقذ، فادي، منتظر**) لم تقتصر على ديانة دون أخرى، بل لم تقتصر على الديانات السماوية، إذ شهدت ظهورها حتى في الديانات الوضعية، وهي في اليهودية أسبق منها في المسيحية، وفي حضارة وادي الرافدين والحضارة المصرية، أسبق منها في اليهودية، وهكذا دواليك نعيش هذه الفكرة أينما وجد الإنسان، وعليه يمكن القول أن المسيحية اقتبستها عن اليهودية، والأخيرة اقتبستها بصورها عما سبقها، وهكذا إلى آخر المطاف، فهي عقيدة ممتدة على طول المسار الديني للإنسان.

=ت٣٠٣هـ، وكتاب مناقب أمير المؤمنين: لابن المغازلي ت ٤٨٣هـ وكتاب المناقب للخوارزمي ت ٥٦٨هـ وكتاب الروضة في فضائل أمير المؤمنين: لابن شاذان بن جبرئيل ت ٦٦٠هـ .

(1) *Y.Moubarac: Opera Minora,vole1,p.600.*

على أن ظهورها في المعتقد الإسلامي، وإن كان أشد وضوحاً وتأكيداً من غيره في الديانات التوحيدية -بعده خاتم الرسالات والديانات السماوية-، ولأن فضاءه التاريخي لم يستطع تحقيق كافة وعوده وفلسفته، فإن تحقق ذلك، وصيرورة الإسلام ديناً عالمياً وحياً لكافة الجغرافية السكانية على الأرض غدت مؤجلة ومرتبطة بعقيدة الانتظار؛ مما جعله يطور هذه العقيدة ويجليها بشكل واسع، ويواصل الإلحاح على وقوعها.

وهذا لا يعني البتة، أن تبني الإسلام لهذه الفكرة هو مجرد تواصل مع تشكيلاتها في الديانات السابقة، إنما هي في الإسلام على نحو مغاير تماماً عما سبقه، وقد تضافرت النصوص القرآنية والحديثية على ترسيخها كقضية أساس لتحقق الدعوة العالمية، فهي بذلك أصل كما معتقد الحساب والعقاب والثواب، بل إن حتى الأخير في وقوعه متوقف عليها، ولذا نجد النص القرآني يؤكد على حتميتها بأكثر من نص قرآني، منها قوله تعالى: ﴿يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون﴾ [1]،وقوله تعالى: ﴿ونريد أن نمن على الذين استضعفوا في الأرض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين﴾ [2]،وقوله تعالى: ﴿وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا يعبدونني لا يشركون بي شيئا ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون﴾ [3]، وقوله تعالى: ﴿هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون﴾ [4].

وكان الحديث النبوي هو الآخر قد أكد هذه الحقيقة، فكان النبي مراراً وتكراراً ما ينفك ينص على انه:(لو لم يبق من الدنيا إلا يوم لبعث الله عز وجل رجلاً منا يملأها عدلاً كما ملئت

(١) سورة التوبة: الآية ٣٢.

(٢) سورة القصص: الآية ٥-٦.

(٣) سورة النور: الآية ٥٥.

(٤)سورة التوبة: الآية ٣٣.

جوراً»[1]. وبين في موضع آخر انتساب المصلح المنتظر إلى بيت النبوة بقوله ﷺ: «أبشركم بالمهدي يبعث في أمتي على اختلاف من الناس وزلازل، فيملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً»[2]. وبين في مواضع أخرى إن اسم هذا المنتظر يتطابق مع اسمه فقال: «لو لم يبق من الدنيا إلا يوم واحد لطول الله ذلك اليوم حتى يبعث الله رجلاً مني يواطئ اسمه اسمي، يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلما وجوراً»[3]. وقال في لفظ آخر: «لولم يبق من الدهر إلا يوم، ليبعث رجلاً من أهل بيتي يملأها عدلاً كما ملئت جوراً»[4]. وشدد في مواضع أخرى حدد إنه من ذرية فاطمة الزهراء، فقال ﷺ: «المهدي من ولد فاطمة»[5].

وعلى الرغم من إن بعثة النبي ﷺ كانت تمثل صورة إنقاذية لمحيط الجزيرة العربية بمؤدى قوله تعالى: «هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ»[6]. إلا إن سمته الانقاذية لا تبتعد عن تشكلاتها المتشابهة في بعثة الانبياء السابقين، فهو منقذ يغذه نبي ورسول، وصاحب رسالة ودين جديد، وإن كانت بشارات الأنبياء تلح على انتظاره وترقب وقته، إلا أنه أحال الخلاص إلى المهدي المنتظر من نسله عبر ابنته فاطمة الزهراء، في آخر الزمان[7].

وفي هذا اللحاظ يشير ماسينيون إلى أنه ربما تكون فاطمة قد حملت في المباهلة رجاءً يفوق مرارة هذا الأب، فلابد أن هذه العربية اعتقدت أن حبها الأبوي يمكن أن يولد لتكتمل رسالة والدها

---

(١) أحمد بن حنبل: مسند، ٩؛ أبو داود: سنن، ٢، ٣٠٩-٣١٠؛ الحاكم النيسابوري: المستدرك، ٤، ٤٦٥.

(٢) أحمد بن حنبل: مسند، ٣، ٣٧؛ الهيثمي: مجمع الزوائد، ٧، ٣١٣.

(٣) أحمد بن حنبل: مسند، ١، ٣٧٦-٣٧٧؛ الطبراني: المعجم الكبير، ١٩، ٣٢-٣٣.

(٤) ابن أبي شيبة: المصنف، ٨، ٦٧٩؛ أبو داود: سنن، ٢، ٣١٠؛ الترمذي: الجامع الصحيح، ٢، ٤٠٢.

(٥) البخاري: التاريخ الكبير، ٨، ٤٠٦؛ الذهبي: تاريخ الإسلام، ١٧، ١٩٣.

(٦) سورة الجمعة: ٢.

(٧) انظر: شهد كريم و آيات عزيز: لفظة وعقدة الانتظار في الفكر الديني وروى المستشرقين دراسة مقارنة، بحث منشور في مجلة أبحاث ميسان، المجلد ١٦، العدد ٣٢ لعام ١٤٤٢هـ ٢٠٢٠م.

وتنجب المهدي، كما حلمن الكثير من اليهوديات أن يعطين محبتهن لداوود[1]. لأن الملك سيكون للابن الذي سيتفوق عليه[2].

ومما يؤخذ على ماسينيون في هذا السياق أنه على شجبه للطبقية، ودعوته لوحدة النوع الإنساني، وتغنيه بروحية الفداء والتضحية والتسامح المسيحي، فإنه يستخدم عبارات وأفكار تشير إلى تقسيمات البشر العنصرية، إذ يقول: على ما يبدوا إن فاطمة التي منحت نفسها لإحفاد اسماعيل العرب ،أدركت دعوتها المريمية في سورة مريم. فثارت في المباهلة في مواجهة أي استبعاد للمرأة العربية. على غرارة الاستبعاد الذكوري العربي(لإسماعيل بن إبراهيم. ومحمد). ليس فقط لكونها قادرة على انجاب المسيح مثل اليهودية مريم . ولكن حتى في الأمل على أن امرأة عربية واحدة على الأقل ستلد الأبن الإلهي. فكانت ثورتها لنفاذ صبر النساء من أجل تحقيق العدالة التي تنشدها السامية. وعليه فبسبب الرفض لفكرة الاستبعاد الأولى. أخذوا الشيعة على عاتقهم حمل روحية الاستبدال؛ لدمل جراحاتهم[3].

وقال في موضع آخر: إن دموع فاطمة الحزينة قد استبدلت دموع العرق العربي. ودموع هاجر على استبعاد اسماعيل. وهي ذاتها دموع فاطمة التي حرمت من فدكها. وبكائها على الحسين. الذي استبدل بدوره اسماعيل الذبيح. وبالنتيجة تحل فاطمة محل مريم والدة يسوع. إلا أن بكاء فاطمة يحمل السخط والانتقام من هذا الاستبعاد. على عكس مريم التي لم تبك ابنا ميتا. فيسوع لم يمت. وإنما بكت خشية أن يُشك في عفتها وطهارتها. ولذلك فإن دموع رحمه فاطمة في الإسلام توصف بأنها (رحمة مؤلمة)[4].

(١) يزعم اليهود بأن الله سبحانه لهم ملكا من نسل داوود يحفظون معه الوعد الإلهي باتخاذ بعض قواعد لمكنهم للسيطرة على أرض الميعاد. انظر: جريسة الزبيل. أساليب الغزو الفكري. ١٥١.

(2) *Y.Moubarac: Opera Minora,vole1,p.613.*

(3)*Y.Moubarac : Opera Minora, ,vole1,p.585.*

(4) *Y.Moubarac: Opera Minora,vole1,p.613.*

وحقيقة الحال إن فكرة الاستبعاد التي يلح عليها مناصرون، سواء بالنسبة لإسماعيل ‘‘ أو النبي محمد ‘‘(ومن حلفهما للعنصر العربي)، فأنها تستعيد- وإن من وراء حجاب- تصنيف القوميات البشرية على وفق الرؤية اللاهوتية اليهودية، وما تتباه من أنهم شعب الله المختار، وإلا فالنص القرآني يبدد هذه الفكرة بعديد من الآيات، ومنها قوله تعالى:« واذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ ۚ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا »[1].وقوله تعالى:« أَمْ كُنتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِن بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَٰهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ »[2]. وقوله تعالى:« قُلْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَالنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ »[3].

مما يشي، إلى أن العقل الغربي لا يزال ينطلق في طروحاته من تصنيفات اللاهوتي (*Augustin*= أوغسطين الكبير ٣٥٤-٤٣٠م)في تقسيم القارات الثلاث وشعوبها من منطلق أبناء نوح ‘‘، كما ورد في سفر التكوين في الحديث عن الطوفان الكبير: (*Gapheth*-يافث) الذي نُسبت اليه الشعوب الأوربية، و(*Shem*-سام) وإليه تُنسب الشعوب السامية القاطنة في آسيا، و(*Ham*-حام) وذريته في أفريقيا [4]، فعلى الرغم من أن أرض سام والشعوب السامية هي التي أنجبت الأنبياء، والشعب المختار، والمسيح نفسه! ألا أنهم حكموا عليها بالدونية!؟ كما عدوها أراضي المختونين الموالين للقوانين القديمة من منطلق ما ورد في الكتاب المقدس: (**ملعون كنعان- أين حام، أو هو حام نفسه- عبداً يكون لعبيد أخوته. مبارك الرب إله سام، وليكن كنعان عبداً له. ليوسع الله ليافث وليسكن في خيام سام. وليكن**

(١) سورة مريم الآية ٥٤.

(٢) سورة البقرة الآية ١٣٣.

(٣) سورة آل عمران الآية ٨٤.

(٤) تنظر قصة الطوفان وتفرق أبناء نوح ‘‘ في سفر التكوين، الكتاب المقدس، ٧٩-٨٦.

كنعان عبداً له»[1]؛ فقد أتخذ المستشرقون ومنهم ماسينيون على الرغم مما عُرف عنهُ من تحرره من هذه الطريقة الهرمية في تصنيف أجناس العالم وأعراقهم معياراً ومتبنى للنظرة الأوربيين للشعوب الأخرى[2].

أما القول بأن رحمة فاطمة مؤلمة وغايتها الانتقام والتشفي بالثأر، وأن سخطها كان ضد من سلبها حقها، ولذلك تقوم في يوم القيامة بحمل جثة ابنها المحسن الدامية، وتطالب بثأر الحسن المسموم والحسين المذبوح، وبهذه الصورة فهي تمثل رمز الانتقام الإلهي ونهاية الزمان، تماماً كرمز الانتخاب في بدايته[3]. وأن الشفاعة الأنثوية في الإسلام عبر فاطمة تختلف عن التجسيد في اليهودية، والمسيحية، فتظهر فيها الروح الأسطورية واضحة تماماً، تحمل فاطمة السيف في يدها، ودورها في نهاية الزمان من خلال الانتقام العنيد بواسطة (المهدي)[4].

فكل هذه المسائل ومثيلاتها إنما استقاها ماسينيون من نصوص لفرق الغلاة، فقد درس ماسينيون العادات المريمية القديمة التي لا تزال بين الفتيات الشيعيات النصيريات في سورية، هذه المنطقة التي كانت متأثرة بالمسيحية سابقاً، وطريقة صيامهن الخاص في أيام رجب كي يقتدوا بصمت مريم في محراب زكريا بحسب رؤيتهن لها، مثلما فعلت فاطمة التي نالت عبرها كلمة الله، وهؤلاء الفتيات يتمنون انتخابهن لأنجاب (المهدي)، وكذلك الشيعة الاثني عشرية الذين يعتقدون بولادته منذ الف عام ويعيش مختبئاً، فهم في الحالتين يصومون حتى يتصورون الامل المريمي بيسوع[5]. وأشار ايضاً إلى طقوس الولادة في مناطق أخرى بأن تجتمع النساء إلى وليمة ضيافة وتمارس طقوس معينة، وفي جميع هذه البلدان يحل اسم فاطمة محل اسم مريم[6].

---

(١) سفر التكوين: ٩: ١٨-٢٧.

(٢) انظر: توكمان، الاستشراق وساسته، ٥٩-٦٠.

(3) *Y.Moubarac: Opera Minora,vole1,p.522*

(4) *Y.Moubarac: Opera Minora,vole1,p.522.*

(5) *Y.Moubarac : Opera Minora, ,vole1,p.603.*

(6)*Y.Moubarac : Opera Minora,vole1,p.604.*

وعرج ما سينيون على التأويل الباطني لمكانة الزهراء عند فرق الغلاة، ولا سيما في سورة مريم وسورة فاطر [1]،

وما قيل من أن مهرها نهر من مياه الجنة، وأن ذلك يشير إلى الماء السماوي الذي حظيت به مريم أثناء ولادة المسيح[2]، وما تمارسه النساء النصيريات في بعض طقوسهن [3]. فضلاً عن تفسيرهم أو تأويلهم لفكرة الحبل بلا دنس من (كن فاطمة .فيكون محمد)[4]. وبالنتيجة فإن ماسينيون يمارس منهجية الأسقاط في تعميم هذه الصورة التي أخذها من الفرق المتطرفة والغلاة كالنصيريةوالدروز على مجمل الساحة الشيعية.

وهو في هذه السردية لمقاربات التأويل الباطني، فرق الغلاة ومقولات الغنوصية، يعرج على ما يستخدمونه من القيم الرمزية للأسماء والحروف والأعداد، فيشير إلى أنه تم اختيار اسم فاطر على أنه (سر فاطمة)[5] لأن القيمة العددية للأحرف المكونة للاسم تساوي مجموعة القيم العددية المكونة لأسم مريم، وفي هذه التدوّر الغنوصية عبر نوع من (التكرار)،تناسخ الأنواع الثابتة من قرن إلى آخر في

(١) يظهر الخالق بأسمه الفاطر الذي الفرق الغوصة أحيانا بصورة أنثوية فاطمة،اس ضمن تجلياته في عدة اشكال ذكرنا حتى بيع في هيولة للارض:١١٩الف روحا .ماسنيون هانري: الغوصة في الإسلام،٢١٢-٢١٣.

(٢) إشارة لقولة تعالى = فكلي واشربي وقري عينا فإما ترين من البشر أحدا فقولي إني نذرت للرحمن صوما فلن أكلم اليوم إنسيا .سورة مريم،الآية ٢٦.

(٣) تمارس نساء هذه الفرقة غسل الظهارة وبالأخص من الحابة بالاغتسال في الماء الجارية حيث تقول فهد مدت يدي إلى هذه الماء الجارية الهادئة المهدئة التي هداها ربها من درة إلى درة إلى فاطمة الزهراء، خافت شلقة على جبيي اليمنى توكلت على امر المؤمنين، خافت شلقة على جبيي اليسار توكلت على الجزر الجبار، شلفت شلقة على رأسي ناربي رب الناس ترفع عني النجاسة...سمعان الفندي الباكورة السليمانية،٣٣.

(4) *Y.Moubarac: Opera Minora , ,vole1,p.585.*

(٥) بحسب هؤلاء الغلاة ان فاصة كتابها محمد وزوجها علي وأولادها صور متعددة لظهور ت الاسم الله. لذا فإن تأنث اسم فاطمة هو الا اختيار لتلبس الأمر على من لا يدركون من بعض باطن الأمور لا ظاهرها، وأن اسمها الإلهي عندهم(فاطر) ورموزه الحرف(فا، ط، ر) .نظر: الخصيبي: عقد الرسالة الرسالة،٢٤٧.

التاريخ. وبالتالي فإن فاطمة ليست سوى تكرار لمريم[1]، عبر القيمة العددية(٢٩٠)، وأن اسم فاطمة بصفته الإلهية يمثل المراحل الخمسة لنشأة الكون[2].

والغريب في طروحات ماسينيون أنه يُحمل السيدة الزهراء ' صورتها المنطبعة في ممارسات الفرق المنحرفة التي وجدت بعدها بقرون، وفكرها واعتقادها!!، فيسقط تصوراتهم عليها!، وكأنها هي من كانت تعتقد بذلك، وهي من أسست له. وهي نظرة نابعة من تصورات المسيحيين المتوهمة والخاطئة عن تصور السيد المسيح لنفسه، فهم يعتقدون أن السيد المسيح كان يحمل عن نفسه، نفس التصورات التي يحملونها عنه هم في الوقت الحاضر!.

وفي هذا الصدد يقول ماسينيون: رأت فاطمة– مثل المسيحيين– في مريم بحسب القرآن الاتحاد الصوفي بالأمر(كن فيكن) مما جعل مريم ذات الأحزان(سيدة الآلام)مثل فاطمة، رهائن مقدسة، فكانت فاطمة– أم الأئمة الشرعيين– بقدر ما. ومن جهة أخرى، أم المستبدلين، بطريقة صوفية لاستعادة العدالة الاجتماعية[3].

وأضاف: أن فاطمة التي بثت كمريم عذراء بالكامل[4]، وتلقب مثلها سيدة الأحزان في كتب الشيعة، ومن ضمن زياراتهم توسل نصير الدين الطوسي التي دمجت تدريجيا مع الادعية

(١) مريم بحسب هذه الفرق وعلى وجه الخصوص النصيرية منها ليست إلا آمنة بنت وهب أم الرسول ' ، وليعلم بذكر أنها فاطمة ' لأن التي كناها أم أبيها، وبالتالي، فآمنة بنت وهب تساوي مريم، ومريم تساوي فاطمة. انظر: سلمان الحلبي: حائفة النصيرية،ص٢٤٣.

(2) *Y.Moubarac: Opera Minora,vole1,p.521.*

(3) *Angelier :Écrits Memorables , vole1,p.262.*

(٤) ورد أن السيدة الزهراء ' لاتحيض وترجع بكرا كل ليلة. انظر المجلسي: العلل ١ ٢٣٩؛ الاربلي: كشف الغمة٢ ٩٢؛ المجلسي بحار الانوار٤٣ ١٩.

والزيارات الشيعية الإثنا عشرية[١]، توازي الأناشيد الدينية الكاثوليكية. والإيمان بأورانس الرحيمة، وتواضع المرأة، وشفاعتها. لذا فإن فاطمة لها امتيازات مريم ذاتها[٢].

وكان ماسينيون قد تبنى نسبة التوسل أو الدعاء المعروف بالفارسية باسم(دُوازده خواجه نصير طوسي)، الذي يقول:(فاطمة البتول، ذات الأحزان الكثيرة، المجهولة قدرًا، والمخفية قبرًا، الأم العذراء للأئمة الأشراف، ملكة النساء)[٣]، تبنى نسبته للخواجة نصير الدين الطوسي، وقال: إنني أميل نسبة هذه التقليدي للطوسي. هذا الفيلسوف العظيم ،الذي عرف كيف يدمج الهيلينية والصوفية في تركيب عقائدي إسلامي، لأنه كان مدركًا لميول الشيعة، وكانت زياراته لقبورهم جعلته يشاركهم إخلاصهم لفاطمة[٤].

وهنا لابد من الإشارة إلى إن ماسينيون إنما دافع عن نسبة هذا الدعاء أو التوسل للطوسي، لأنه يتماشى مع الطرح الإسماعيلي المغالي عنها، ولأنه يتبنى فرضية المستشرق إيفانوف في نسبة الخواجة نصير الدين الطوسي للإسماعيلية، ومن ثم لينسب الغلو في شخصية الزهراء لعموم فرق الشيعة، وكان المستشرق الروسي و المختص في الدراسات التنزارية الاسماعيلة الحديثة (*Vladimir Ivanov* =فلاديمير إيفانوف) أول من ذهب إلى نسبة الطوسي للإسماعيلية، وقد ناقش (عبد الرحمن بدوي) هذه الجزئية، وفندها بالأدلة المنطقية والحجج النقلية، ونفى إسماعيلية الطوسي، وقال بالنص إن هذا الدعاء منحول إلى الطوسي[٥]. ولعل مما يؤكد ما ذهبنا إليه هو إن ماسينيون قرر النتيجة الإجمالية التالية، فقال: إن الطقوس الممارسة لفاطمة بين الشيعة بشكل خاص تنتشر في جميع أنحاء العالم تقريبا. وبالأخص في النواحي الاجتماعية، وهي تعود لطقوس وثنية سابقة أيضًا، كما الحال في طقوس

(١) انظر: ابن طاووس ، فتح الاعمال ، ٣ ١٦٥-١٦٦ ؛ الكفعمي المصباح ، ٧١٨ ؛ المجلسي : بحار الانوار ، ٩٧ ، ٢٠٠ .

(2) *Y.Moubarac :Opera Minora,vole1,p.606.*

(٣)انظر: بدوي، مذاهب الإسلاميين، ١١٦٦.

(4) *Y.Moubarac : Opera Minora, vole1,p.574.*

(٥) انظر: مذاهب الإسلاميين، ١١٥٤- ١١٦٦.

آلام الولادة وتسهيلها. كما حفظ الله مريم منها. ودفعت الفكر الإسلامي إلى تصور فاطمة تدريجيا بامتيازات مريم؛ لأن الموروث الشيعي يرى فاطمة عذراء كمريم. واستثنت هي الأخرى من الحيض. والدم عند الولادة والنفاس [1].

وذهب ماسينيون إلى أن الهدف من هذا التوسل؛ هو أن تكون فاطمة جامعة للديانات الثلاث، ومن المرجح أن ناصر الدين الطوسي كتبها أثناء نهب بغداد من قبل هولاكو ٦٥٦هجري ،إذ فوضه الأخير أمر المجتمعات الإبراهيمية الثلاث [2]. وهذا التوسل بطبيعة الحال مرتبط بالدور الشفاعي الاخروي لفاطمة الزهراء ، فهي –بحسب ماسينيون– ؛ تفك شعرها في مشهد القيامة، وترفع جثة المحسن المولود ميتا، ومحاطة بمريم، وآسيا التي ضحت من أجل موسى. وحواء التي تطالب بالانتقام من قتلة أبنائها وذراريها، فتطلق صرخة العدالة للبدوية العربية، بعد أن قدمت أولادها كنماذج أولية لكل أبرياء الإسلام المقدسين، والذين وئدوا ميتين في بطون أمهاتهم في عمليات الإبادات الجماعية، والذين وئدوا في الجاهلية. وأشار إلى أن شفاعتها تتمظهر كنوع من الشفاعة الانتقامية المؤلمة(**المطالبة بالثأر**)، مقارنة بالشفاعة المريمية الرؤوفة، ومؤكدا على أن هذا التوسل الشيعي يجب أن ينضم يوما ما إلى التأمل المسيحي في دموع وشكاوي الظهورات المريمية الأخيرة، التي تزامنت مع الحرب العالمية الأولى؛ لأن فاطمة ستقوم أمام الله في صورة مريم، ونطالب بأبرياء بيت لحم، ومحسن الذي قتل مكان يسوع، وسخطها على الحروب الشاملة [3]. وهكذا نرى ماسينيون يتجاوز عتبة التحقيب التاريخي بإسقاط الماضي على الحاضر والمستقبل، فيقدم التاريخ بعده فلسفي صوفي مفعم بالذاتية والتأمل والاستبطان .

(1)*Y.Moubarac: Opera Minora, vole1,p.580.*

(2)*Y.Moubarac: Opera Minora ,vole1,p.574.*

(3)*Y.Moubarac: Opera Minora,vole1,pp.608-609,572.*

المبحث الثاني

سلمان وفاطمة(ﷺ) التحول من

التاريخ إلى الفلسفة الغنوصية

تتحدر كلمة(*Gnosticism*- الغنوصية)من أصل يوناني بمعنى(المعرفة)،ومن ثم تطورت إلى تيار ديني- فلسفي، ابتدأ مسيحيا وازدهر في القرنين الثاني والثالث الميلاديين، وهو يقوم على خليط من المعتقدات اليهودية والمسيحية، وبعض المذاهب والأفكار الدينية والفلسفية الشرقية، كالثنوية والأفلاطونية، وقد عُد كأحد تيارات الهرطقة أو الزندقة المسيحية المناهضة للإيمان الخالص. وقد ربط المسيحيون الأوائل بين الغنوصية وبين يهودي اسمه(سيمون الساحر) أوسيمون ماغوس ، الذي أظهر التنصر ولكنه نشر مبادئ الغنوصية. وقد أثر هذا المركب اللاهوتي الهجين على التيارات الإسلامية التي ظهرت فيما بعد، ولا سيما التصوف، والعرفان[1]. وظهر تأثيرها جليا في البنية الاعتقادية للحركات المتطرفة، ومذاهب الغلاة، كالإسماعيلية، والنصيرية، وغيرهم، فقد كانت الغنوصية ضمن تيارات المعرفة الشرقية التي انفتح عليها المسلمون[2].

ومع أن الغنوصية مرت بتغيرات كبيرة منذ بداياتها، إلا أن الاعتقاد الذي لم يتغير فيها، وبقي سمة ملازمة لجوهرها، هو القناعة الأساسية بأن المعرفة هي أقدس ما يملكه الإنسان، وأنها توجد على نحو فردي وإلهامي، وأن بإمكان الفرد الوصول إلى معرفة أسرار الكون من دون الحاجة إلى عون خارجي من نبي أو كتاب منزل. وهو اعتقاد متشكل على مجموعة من الأساطير المتعلقة بأصل الخليقة، ومنها فكرة أن شرراً من الوجود المقدس المتعالي سقط على الكون المادي المعيب بالشرور، ولم يجد ملاذاً من ذلك الشرور إلا في الجسد الإنساني، وحين تأتي المعرفة يتمكن ذلك العنصر المقدس في الإنسان من العودة إلى مكانه الطبيعي في المملكة الروحانية المتعالية. ومع أن هذه الأساطير قد اختفت في العصر الحديث، إلا أن الغنوصية ظلت تحتفظ بفكرة قدسية الإنسان أو ألوهيته الضمنية، متمثلة بقدرته الذاتية على استبطان المعرفة(المعرفة المُلْهمة)، أي الوصول إلى المعرفة عن طريق الحدس الشخصي والتأمل، وهو اعتقاد ظل تأثيره مستمرا في الثقافة الغربية الحديثة، ولا سيما في الحركات والمدارس النفسية والأدبية، كالرومانطيقية في نهاية القرن الثامن عشر والنصف الأول من القرن التاسع عشر، والوجودية في النصف

(١) انظر: مجدي الرومي وسعد البازعي، دليل الناقد الأدبي، ١٩٦- ١٩٧؛ هاشم هالم، الغنوصية في الإسلام، ٥-٢٠.

(٢) عن أثر الغنوصية في الإسلام انظر كتاب هاشم هالم المعنون(الغنوصية في الإسلام).

الأول من القرن العشرين، وما بعد الحداثة في النصف الثاني منه. وقد مثل هذا التيار نُقاد، وأدباء، وفلاسفة أوربيون كُثر [1].

وكان ماسينيون من بين المفكرين واللاهوتيين الأوربيين الذين انغمسوا في التصوف ومبادئه الغنوصية، فدرس التصوف الإسلامي وشخصياته من هذه الزاوية، وأسقط خبرته وتجاربه وانفعالاته النفسية في هذا الحقل على التاريخ إجمالاً، من دون أن يحاول الفصل بين ما يتصوره أو يعتقده الغنوصيون عن الشخصيات التي درسها، وبين حقيقتهم التاريخية في تصور واعتقاد الآخرين، أو ما يتصورونه هم عن أنفسهم.

وابتداءً، ناقشت العديد من الموضوعات الروحية واللاهوتية داخل الفكر الإسلامي، ولا سيما في إطار التصوف وأبعاده الفلسفية اهتمامات ماسينيون؛ لما تحمله الموضوعات المتشابهة من فكرة المعاناة التعويضية والابدال [2].

ومن الأبحاث المهمة التي قدمها ماسينيون في هذا السياق بحثه عن سلمان الفارسي، تحت عنوان: *Salman Pak et les Premices spirituelles de lIslam Publication de la Societe des Etudes Iraniennes. Paris 1934* - سلمان پاك والبدايات الروحية للإسلام الإيراني. باريس ١٩٣٤. وهو مترجم ضمن كتاب شخصيات قلقة في الإسلام لعبد الرحمن بدوي). وقد كتب هذا البحث بعد أن زار قبر سلمان بالقرب من طيسفون (المدائن سلمان پاك)، فأبرز أهمية سلمان في أسلمة بلاد فارس، وثقافتها بطريقة لا متيل لها، وكشف في بحثه هذا عن الرمزية التاريخية لهذه الشخصية، وما مثلته من بداية لارتباط العالم الإيراني الفارسي بالظهور الجديد لنبي الاسلام، ولا سيما بعد أن عد الرسول سلمان كأحد أفراد أسرته، وبحسب ماسينيون فإن هذا التبني يتعدى الشخص (سلمان) إلى تبني آخر وأوسع في الإسلام، وهو التبني للشعب الإيراني (الفرس) ليصبح فيما بعد عنصراً أساسيًا في الدين الإسلامي [3].

(١) انظر: مجدي الرومي وسعد البازعي، دليل الناقد الأدبي، ١٩٧-٢٠٠.

(2) *Krokus: The Theology of Louis Massignon.p.108.*

(3) *Nasr :Traditional Islam,P.262 .*

وبطبيعة الحال أتاحت شخصية سلمان الفارسي التاريخية مجالاً رحباً لعمل الرؤية الاستشراقية؛ لما تنطوي عليه من خصوصية في مسارها الديني والاعتقادي؛ لذا استهوفت هذه الشخصية بالدراسة من قبل عدد من المستشرقين ومع ذلك يبقى التقويم الروحي الدقيق لهذه الشخصية مفتوحاً أمام الباحثين؛ فهو شخصية لاتزال سيرتها الشخصية تعوزها الوثائق الكافية في تحديد مداها وتأثيرها وحضورها في الوسط الروحي والتاريخي الإسلامي[1].

وقد ركز ماسينيون في دراسته لهذه الشخصية على الأدبيات الدينية التي حملتها تجاهه الفرق والتيارات الغنوصية، كالإسماعيلية، والدروز، والنصيرية، ولاسيما في موضوع صلته بالنبي وآل بيته، ودوره في مرحلة الإسلام المبكر.

وابتداءً، ومن وجهة نظر تاريخية، نحن لا نمتلك عن طبيعة ارتباط سلمان الفارسي بالإسلام سوى الرواية التقليدية التي تناقلتها كتب السيرة، والتاريخ، والتراجم، وكانت قد سجلت أول ظهور لها في سيرة ابن إسحاق(ت ١٥١هـ)، وهي ترتد بسندها إلى سلمان نفسه.

وهي تفيد بأنه ابن أحد الدهاقين في قرية(جي) في أصبهان، وأنه كان مجوسياً. وصادف أن مر في يوم من الأيام على كنيسة للنصارى في أصبهان، وسمع أصواتهم وهم يتلون الصلوات. فأعجب بهم ودخل معهم، ثم حدث أباه عنهم. فقال له أبوه: يني دينك ودين آبائك خير من دينهم. فقال سلمان(رض): والله ما هو بخير من دينهم. هؤلاء قوم يعبدون الله ويدعونه ويصلون له، ونحن إنما نعبد ناراً نوقدها بأيدينا إذا تركناها ماتت. و على أثر هذه المحاورة، سجنه أبوه في بيت من البيوت وهو مقيد بالحديد. ثم إن سلمان تواصل مع أولئك النصارى، وأعلموه أن أصل دينهم في سوريا، وبعد مدة جاءت قافلة تجارية من سوريا، فطلب سلمان قيوده والتحق بأولئك التجار، ووصل إلى سوريا، والتحق بخدمة كبير الأساقفة، وتعلم مبادئ النصرانية، ولكنه اكتشف أن كبير الأساقفة هذا كان مخادعاً، وكان يأخذ الأموال والصدقات والهدايا من الناس ويحتفظ بها لنفسه، ولا يعطيها

(١) ينظر: النصر الله و شهد كريم ، دراسات ورؤى استشراقية،٨٤-٨٦

للفقراء والمساكين. وبعد موت هذا الأسقف جاء أهل المدينة ليدفنوه فأخبرهم سلمان بحقيقته، ودلهم على الأموال والهدايا التي كان يخبأها، فصلبوه على خشبة ورموه بالحجارة. ثم عينوا أسقفاً جديداً، فكان رجلاً صالحاً، وبقي سلمان معه حتى حضرته الوفاة، فطلب منه سلمان أن يدله على شخص حتى يذهب إليه، فدله على رجل في الموصل، فذهب إليه سلمان والتحق بخدمته، حتى قربت وفاته، فأوصى سلمان أن يذهب إلى رجل بنصيبين، فذهب إليه، والتحق بخدمته، حتى قربت وفاته، فأوصاه بأن يلتحق برجل في عمورية من أرض الروم، فالتحق به، حتى قربت وفاته، فطلب منه أن يدله على رجل آخر، فقال له: لا أعرف رجلاً على مثل النحائ التي كنا عليها لنذهب إليه، ولكنه قد أظلك زمان نبي يبعث من الحرم، مهاجره بين حرتين، إلى أرض سبخة ذات نخل، وإن فيه علامات لا تخفى، بين كتفيه خاتم النبوة، يأكل الهدية، ولا يأكل الصدقة.

فبقي سلمان منتظراً حتى جاء تجار من العرب فقال لهم تحملوني معكم حتى تقدموني أرض العرب وأعطيكم غنمتي هذه وبقراتي، فحملوه معهم ولكنهم باعوه في وادي القرى كعبد لرجل من اليهود بوادي القرى، وكان سلمان يظن لما رأى النخل والزرع في وادي القرى أنه المكان الذي ذكره له صاحبه. ثم قدم رجل من بني قريظة من أقرباء اليهود فاشتراه منه وجاء به إلى المدينة. وبقي سلمان عبداً عند ذلك اليهودي القرظي حتى بعث النبي ﷺ. وفي يوم من الأيام بينما كان سلمان يعمل في بستان نخل لذلك اليهودي، جاء رجل وتحدث عن وصول النبي ﷺ إلى قبا. ففزع سلمان واضطرب لذلك، وقال: ما هذا الخبر؟. فلكمه ذلك اليهودي لكمة شديدة، وقال: ما لك ولهذا، أقبل على عملك. فلما أمسى المساء حمل سلمان معه بعض الطعام وذهب إلى النبي ﷺ وهو بقبا فقال له: بلغني أنك رجل صالح، وأن معك أصحاباً لك غرباء، وقد كان عندي شيء للصدقة فرأيتكم أحق من بهذه البلاد به فها هو هذا فكل منه. فأمسك النبي ﷺ يده، وقال لأصحابه: **كلوا ولم يأكل. فقال سلمان في نفسه هذه خلة مما وصف لي صاحبي. ثم رجع سلمان وجاء بطعام آخر. وقال: رأيتك لا تأكل الصدقة، وهذه هدية وكرامة ليست بالصدقة، فأكل النبي ﷺ فقال سلمان في نفسه: هذه خلتان.**

ثم جاء إلى النبي ﷺ وهو يتبع جنازة، ونظر إلى الخاتم بين كتفيه، فرآه كما وصف له صاحبه النصراني، فأكب على النبي ﷺ يقبله ويبكي. وهكذا أسلم سلمان، ولكنه ظل أسير عبودية ذلك اليهودي، إذ تكاتب معه على أن يحيي له (٣٠٠ نخلة)، ويدفع له (٤٠ أوقية) من الدراهم، فساعده النبي ﷺ وباقي المسلمين بزراعة النخل. وبقيت الدراهم. فجاء رجل ببعض المعادن مثل البيضة من الذهب، فقال النبي ﷺ أين الفارسي المسلم المكاتب. فجاء سلمان فقال له النبي ﷺ: **خذ هذه يا سلمان، فأد بها ما عليك. فقال: وأين تقع هذه مما علي؟. فقال النبي ﷺ: فإن الله عز وجل سيؤدي بها عنك. قال سلمان: فو الذي نفس سلمان بيده لوزنت لهم منها أربعين أوقية فأديتها إليهم.** وهكذا تخلص سلمان من الرق، ولكن ذلك تأخر حتى مضت معركتي بدر وأحد، أي أمتد ما يقارب أربع سنوات حتى التحق سلمان بالمسلمين فشارك في معركة الخندق [1].

وروايت في المصادر الشيعية قصصاً شبيهة مع بعض الاختلافات البسيطة، وهي الأخرى عليها ما عليها من الملاحظات، إذ يملأها السرد القصصي الشعبي الذي يبدو أقرب للأساطير والحكايات الخرافية منه للتثبت التاريخي والتحديث المعقول [2].

وقد علق ماسينيون على هذه الروايات بالقول: **إن دراسة النصوص المتعلقة بسيرة سلمان تحلل بين أيدينا كما يتحلل الكثيب إلى ذرات من الرمل الدقيق. فما هي إلا حكايات متناثرة هزيلة. وأحاديث تنسب إلى هذا الشاهد المباشر أو ذاك بسلسلة من الأسانيد المتفاوتة في الثقة. ومضمونها ينطوي غالباً تحت مظهر ساذج على تحريفات مقصودة. وعلى أشياء مستمدة من العناصر القديمة والأساطير الشعبية، التي لعبت فيها الفرق المبتدعة، والنزعة القومية دوراً واضحاً.** ويلوح من أول وهلة أن الوثائق الخاصة بحياته غير متجانسة. فهناك رواية طويلة متصلة تروي

---

(١) انظر: ابن اسحاق، السيرة، ٢ ٦٦-٧٠؛ ابن هشام، السيرة النبوية، ١ ١٣٩-١٤٥؛ ابن سعد، الطبقات الكبرى، ٤ ٧٥- ٨٢؛ ابن عبد البر، التمهيد، ٣ ٩٥-٩٩؛ ابن حبان، طبقات المحدثين بأصبهان، ١ ٢٠٩-٢١٧؛ ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ٢١ ٣٧٣- ٣٩٥؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ١ ٩٥- ١٠٢.

(٢) انظر: الصدوق، كمال الدين وتمام النعمة، ١٦١- ١٦٦؛ النوري، نفس الرحمن في فضائل سلمان، ٢٧- ١١٦.

سيرته وخير إسلامه. ويعد ذلك لا نجد عن بقية حياته غير معالم نادرة متباعدة تدور حول مسألتين جوهريتين هما: وثاقة الصلة بأهل البيت(سلمان منا أهل البيت) ودفاعه الياسي عن أحقية علي بالخلافة[١].

ويتبنى ماسينيون فكرة أن سلمان ظل يحمل تقليدا مسيحيا (نسطوريا) على الأرجح، وربما من حنفية زرداشتية أيضاً، فإسلامه كان من دون إنكار لدينه، وصدق المسيح[٢].

وهذا الأمر يتوافق مع القرآن الذي لطالما أمر النبي – وبكل صراحة – بالأخذ بنصيحة أهل الكتاب من اليهود والنصارى[٣]. وما سينيون يعني هنا قوله تعالى: ﴿وما أرسلنا من قبلك إلا رجالا نوحي إليهم فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون﴾. النحل:٤٣. ولكنه يتغافل عن أن تفسير(أهل الذكر)بحسب مذهب أهل البيت، هم النبي والأئمة – وليس اليهود والنصارى[٤].

وعلى أية حال فقد عد ماسينيون سلمان الفارسي أول إبدال في حياة النبي ، ليعلن في كتاباته على خلاف المستشرقين الآخرين المشككين بوجوده[٥]، وعلى اقتناعه الكامل بأصالة هذه الشخصية، وبكل إصرار على اخلاصه للمسيحية، وأنه كان مستشارا للنبي، وحافظ للقرآن، وهو الذي أدعى أحقية علي وأهل البيت في الخلافة[٦].

---

(١) ينظر: بدوي، شخصيات قلقة،٤-٧.

(2)*Krokus: The Theology of Louis Massignon.p218..*

(3) *Angelier:Écrits Memorables, volw1,p. 218 .*

(٤) ينظر: محمد بن سليمان الكوفي، المناقب،١ ١٣٠؛ الكشي، الكافي،١ ٢١٠؛ القاضي النعمان المغربي، دعائم الإسلام،١ ٧٨؛المفيد، الإرشاد،٢ ١٦٢؛ الطوسي: التبيان في تفسير القرآن،٧ ٢٣٧؛الفتال النيسابوري، روضة الواعظين،٢٠٣؛الفيروزآبادي، تفسير جوامع الجامع،٢ ٣٢٧-٣٢٨.

(٥) للمزيد ينظر: الصراف وشهد، كرم ، دراسات وبحوث استشراقية. ٨٦-١١٣.

(6) *Rocalve: Louis Massignon,p75.*

ومن خلال دراسة ماسينيون لعقائد الفرق الغنوصية أمثال الكيسانية[1]، والخطابية[2] والإسماعيلية، في سلمان، فإنه ألمح إلى أن بعضهم يتبنى فكرة أن المقصود بقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُّبِينٌ﴾[3]، أنه(سلمان)، أي أنه هو أستاذ أو معلم النبي غير العربي، أو الأعجمي)، وأن هذا التفسير قديم، فهو ينسب إلى الضحاك بن مزاحم المتوفى عام(١٠٥هـ)، فالضحاك كان يعتقد إذاً أن سلمان أعان النبي على معرفة الكتب الدينية السابقة على ما أنزل إليه، وأن هذا محتمل جداً من الناحية التاريخية، بأن يكون سلمان قد شهد نشوء أول تأويل. وأحال ماسينيون في الهامش إلى تفسير الطبري[4].

وبغض النظر عن أن هذه الآية مكية لا مدنية، ومن المعلوم أن سلمان إنما تعرف على الإسلام في المدينة لا في مكة، فإن الطبري أشار لمجموعة من الشخصيات التي ادعى أنها هي المقصودة بلفظة (الأعجمي) وبضمنها سلمان الفارسي، فقيل: أنه عبد نصراني أعجمي اللسان اسمه(يلعام)، كان النبي يعلمه القرآن بمكة، وقيل: إنه غلام للمغيرة، أو عبدٌ لبني الحضرمي اسمه(يعيش)، وكان يقرأ الكتب، وقيل: هو غلامٌ نصراني لبني بياضة، أو للحضرمي اسمه(جبر)، كان النبي ﷺ يعلمه القرآن، فكانت قريش تقول: والله ما يعلم كثيراً مما يأتي به إلا جبر النصراني غلام الحضرمي، فأنزل الله هذه الآية، وقيل: بل كانا غلامين، أسم أحدهما (يسار)، والآخر(جبر)، وكانا يقرآن كتابا تهما بلسانهما، فكان النبي ﷺ يمر عليهما فيستمع منهما، فقال المشركون: يتعلم منهما فأنزل الله هذه الآية، وقيل: أنه سلمان الفارسي، وقيل أنه رجل كان

---

(١) فرقة تنسب الى كيسان أبو عمرة صاحب شرطة المختار، وقيل هو لقب المختار الثقفي. وقيل: أن كيسان هو مولى للإمام علي (ع). وسموا المختارية انصاراً، وهم معتقدون بإمامة محمد بن الحنفية بعد الإمام الحسين (ع)، ويزعمون أن جبرائيل كان يأتي للمختار بالوحي. وعرفوا في العقائد. النوبختي، فرق الشيعة،٣٣- ٣٥.

(٢) فرقة تنسب الى أبي الخطاب محمد بن أبي الأجدع الأسدي، وقد زعموا أنه لابد من رسول في كل عصر، واحد بحق، والآخر صامت. فكان النبي محمد (ص) باطقاً، وعلي (ع) صامتاً، ثم الهرمد. وقد تبعهم الإمام الصادق (ع) وتبرأ منهم. وادعى أبو الخطاب أنه وصي الإمام الصادق (ع) وأنه علمه الاسم الأعظم، ثم ادعى النبوة والرسالة، ثم ادعى أنه من الملائكة. وأنه رسول الله الى أهل الأرض، والحجة عليهم، وأن بإمكانه أن يصور أي صورة شاء. ينظر: النوبختي. فرق الشيعة. ٥٢-٥٣.

(٣) سورة النحل: الآية١٠٣.

(٤) ينظر: بدوي. شخصيات قلقة في الإسلام،٣٢- ٣٣.

يكتب للنبي ﷺ، وارتد عن الإسلام، وكان يغير بعض نهايات الآيات، وكان يقول: إن محمدا أوكل ذلك إلي فأكتب ما شئت[1].

وعليه فمن الغريب أن ماسينيون اختار التفسير الذي يخدم طروحاته وآراءه وحجب باقي الآراء، وكأن هذا الرأي هو التفسير الوحيد، هذا فضلا عن أن هذه التهمة التي أطلقتها قريش على النبي ﷺ لا تعدوا عن كونها تفريغ انفعالي لهزيمتهم أمام حقيقة القرآن وإعجازه، كما اتهموه بالجنون، وبأنه ساحر، وبأنه شاعر، وبأنه كاهن... بمعنى أنها ليس بالضرورة أن تكون مرتبطة بموضوع أو شاهد تاريخي، ولكن المفسرون اعتادوا على تلفيق مثل هكذا روايات تحاكي ظواهر الآيات.

وبالعودة إلى ماسينيون، وتلقفه لبعض الآراء المتعلقة بسلمان عن الفرق الغنوصية، فإنه أشار إلى أن الإسماعيلية قالت بأن سلمان هو الذي حمل القرآن كله إلى محمد، وإن الملك(جبريل) لم يكن إلا الاسم الذي أطلق على سلمان بوصفه حامل هذه الرسالة الإلهية، وعندهم أن التنزيل القرآني من عند الله، وأن الوحي على نحو خاص فيه يستبدل بإملاء ملك حفي نعليمُ ينتقل من نفس إلى نفس، نقله بأمر الله إلى النبي صاحبه(سلمان). والأحاديث التي يستعينونها في هذا موضوعة، ونظريتهم هذه تدخل في عداد النظريات الغنوصية[2].

وأشار إلى أن الإسماعيلية ارتفعوا بسلمان إلى حد الإلوهية، وأنهم كانوا يسمونه(سلسل)[3]، وأن أبا الخطاب(زعيم فرقة الخطابية) المتوفى عام(١٣٨هـ)، قد أدرك رسالة سلمان بكامل قوتها، وأنه رفعه إلى مرتبة الإلوهية الضمنية، فوق مرتبة(الإمام)، وأن سلمان في مذهب الدروز هو(سلسلة) المسجد الأقصى الخاصة، التي يُقسم عندها الناس، وهي السلسة التي يسلك فيها المعذبون في الجحيم، في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ

(١) انظر: جامع البيان،١٤، ٢٣١- ٢٣٤.

(٢) انظر: بدوي، شخصيات قلقة في الإسلام،٣٣.

(٣) سلسل هو احد أسماء الباب سلمان الفارسي عند الفرق الغنوصية مركب من كلمتين (سل سل) اطلقه عليه الإمام علي بن أبي طالب- ومعناه سل فأسأل وعلمك ولهذا سمي سلسبيلا. انظر الخصيبي، الرسالة الرسالة، ٩٧٤.

في سلسلة ذرّيتها سبعون ذراعا فاسلكوه﴾[1]. ومنذ ذلك الحين أتخذ سلمان في الغنوص الشيعي صورته النهائية، فهو الحلقة المفقودة الضرورية بين محمد وعلي، وسيبدل رجال الدين المغالون قصارى براعتهم لصياغة الصلات المتبادلة بين النماذج الروحية الثلاثة المناظرة لهؤلاء الأشخاص التاريخيين:(العين - علي)، و(الميم- محمد) ، و(السين – سلمان)[2].

وأشار في موضع آخر إلى تشكل فرقة صوفية غنوصية خاصة من الشيعة العلاة باسم السلمانية، وهذه الفرقة تبجل سلمان(**سلسائل أو سلسل**) نبجيلاً خاصاً سواء ترك بعده خلفاء يحملون رسالته ومنهجه وسلوكه الروحي أم لم يترك، وهناك من بعده، فيضاً من الفيوضات الإلهية، وهو أرفع مكانة من علي، والسلمانية هو الاسم الظاهري لطائفة تنتشر بين الشيعة الأردية في الهند وباكستان، ويعرفون أيضاً بالسينية أو السلسلية، نميزاً لهم عن فرقتي الميمية والعينية[3].

وعلى أية حال، فماسينيون يركز على آراء ومعتقدات هذه الفرق الغنوصية في شخصية سلمان الفارسي، ويشير إلى فكرة ظهوره، ودوره البارز في حادثة المباهلة، على أنه واحد من أهل البيت، فضلاً عن فكرة الربط بينه وبين السلسلة ذات السبعون حلقة الممتدة من قبة القدس، وبين ولادة فاطمة الناتجة من هذا المكان المقدس (**المسجد الاقصى**) أو(**القدس السماوية**)[4].

فضلاً عن ذلك يتبنى ماسينيون الفكرة الغنوصية القائلة بالدور المحوري لسلمان الفارسي في تأويل القرآن الكريم للنبي محمد ، ونكن مع التعديل على أصل الفكرة، فإذا كانت الفرق الغنوصية تؤمن بقدرته بصفته فيضاً إلهياً، فإن ماسينيون نسب هذا الدور لسلمان الفارسي بصفته مسيحيا وعلى معرفة مسبقة بكتب الأنبياء(من أهل الذكر)، وذهب إلى أنه اضطلع بترجمة الإلهام الكامن في القرآن للنبي، وعلى وجه الخصوص تفسير قوله:﴿ كن فيكون﴾، التركيب الذي لم يظهر في جمل القرآن في مكان آخر غير

(١) سورة الحاقة: الـ٣٢.

(٢) انظر: بدوي، شخصيات قلقة في الإسلام، ٣٧.

(٣) انظر ماسينون: سلمان الفارسي، ٣٧- ٤٢.

(4) *Angelier:Écrits Memorables, vole1,p .225.*

الحديث عن الروح الذي خلق منه عيسى بن مريم، كما كان عليه أن يشرحه لفاطمة، ولذا فإن سلمان هو أول مفسر للقرآن في الإسلام[1].

ومانسينيون هنا أنه يمارس نوعا من تضليل القارئ، فالمدونة التفسيرية لا تشي بأي جهود تفسيرية لسلمان قياسا بباقي الصحابة كالإمام علي ، وعبدالله بن العباس (حبر الأمة)، وعبد الله بن مسعود، وغيرهم، هذا من جانب.

من جانب آخر، الأمر القرآني: «كن فيكون» لا يرتبط بمسألة خلق السيد المسيح بقدر ما يرتبط ببيان القدرة الإلهية على الخلق من العدم أو القدرة على الإعادة بشكل عام، ولذا تكرر النص على هذا الأمر في معرض الرد على مشركي قريش وغيرهم من منكري البعث والنشور يوم القيامة، قال تعالى: «وهو الذي خلق السماوات والأرض بالحق ويوم يقول كن فيكون قوله الحق وله الملك يوم ينفخ في الصور عالم الغيب والشهادة وهو الحكيم الخبير»[2]، وقال تعالى: «وأقسموا بالله جهد أيمانهم لا يبعث الله من يموت بلى وعدا عليه حقا ولكن أكثر الناس لا يعلمون* ليبين لهم الذي يختلفون فيه وليعلم الذين كفروا أنهم كانوا كاذبين* إنما قولنا لشيء إذا أردناه أن نقول له كن فيكون»[3]. وقال تعالى: «أوليس الذي خلق السماوات والأرض بقادر على أن يخلق مثلهم بلى وهو الخلاق العليم* إنما أمره إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون»[4]، وقال تعالى: «هو الذي يحيي ويميت فإذا قضى أمرا فإنما يقول له كن فيكون»[5].

(1) *Y.Moubarac : Opera Minora , ,vole1,pp.610-611.*

(٢) سورة الأنعام: الآية ٧٣.

(٣) سورة النحل: الآيات ٣٨– ٤٠.

(٤) سورة يس: الآيات ٨١–٨٢.

(٥) سورة غافر: الآية ٦٨.

وفي هذا السياق، يرى ماسينيون أن تفسير الأمر: «كن فيكون» أو توضيحه من قبل سلمان الفارسي لا يقتصر على النبي ، وإنما فسره أيضًا لابنته فاطمة [1]، فقال: من خلال سلمان الذي كان نصرانيًا ومستشارًا للنبي ولابنته، أدركت فاطمة أنها كمريم، وأنها تمثيل للدعوة الاستثنائية (العلامة المريمية)، التي ستأتي بالمسيح الثاني، وأن عليها منح نفسها لشعبها العربي، كما فعلت مريم مع شعبها من بني إسرائيل، وأن ذلك سيتحقق من خلال الأمر الإلهي (كن فيكون)[2].

على أن فاطمة الزهراء ، وبحسب ماسينيون، لم تكن مضيفة للعرب فقط، وإنما كانت في المقام الأول المضيفة بامتياز لقنة الموالي من غير العرب من صحابة أبيها، وهو الأمر الذي آثار العصبية العربية، وهوية الإسلام العقدية، ولا سيما بسبب تبني الفرس أمثال (سلمان)، وعلاقتهم بأهل البيت، وهو ما يطابق مفهوم الأمة في حماية غير العرب[3].

وذهب ماسينيون بناء على قراءته لمعطيات الأدبيات الغنوصية المتعلقة بسلمان الفارسي، أن وجود سلمان إلى جانب النبي محمد في المباهلة ، كان أحد الظهورات (للمسيح) باعتبار سلمان مسيحيًا في المقام الأول، ويرى إلى أن هذا ما يمكن أن نلمسه من خلال رد فعل النصارى على النبي محمد بقول زعيمهم(بنحاريث): **يا محمد كان عليك أن تلجأ إلى قضاة الأرض، فالقضاة السماويون مخصصون للكائنات السماوية**، بإشارة ضمنية منه إلى (سلمان) الذي كان يمثل دور القاضي[4].

وبناء على هذا الدور المحوري الذي اضطلع به سلمان في قصة الإسلام الأولى، تبنى ماسينيون فكرة أن (سلمان الفارسي) أصبح مرشدًا روحيًا لفاطمة، ثم مرشدًا لأولادها من بعدها، بعد أن كان

---

(١) ولابد من الاشارة الى اصل الاشكال نجم من نصوص التراث الاسلامي التي بالغت في وصف علاقة سلمان الفارسي باسرة الزهراء، وهل انت - وانه كان كان مسموحا له بالدخول على السدة الزهراء أي وقتي شاء "للمزيد انظر:الجوادالسدة جامعة الزهراء،٤٢٢.

(2) *Y.Moubarac : Opera Minora, ,vole3,p.649.*

(3) *Loude : pathways to an Inner Islam ,p. 107.*

(4) *Angelier:Écrits Memorables , vole1,pp.238-239.*

الضامن للنبي على صحة مراجع القرآن حول مريم وعيسى. ولكن لا يمكن أن يكون سلمان اختير هذا النموذج المثالي للمرأة عبر فاطمة من خلال تلميح القرآن عن مريم فحسب؛ إذ لم يكن قد لاحظ فيها هذه(العلامة المريمية)، التي كانت على فاطمة أن تدركها في دورة المجيء الثاني للمسيح، ووعد (المهدي القائمي) المتحالف مع المجيء النهائي للمسيح[1].

وأشار إلى أنه من خلال تبني النبي لسلمان بقوله:(أنت منا اهل البيت)، يمكن اعتبار عيد المباهلة عيدا لتبني سلمان، لما أدته من دور محوري فيها، وكونه تحكم بين الوفدين، ومهمته في تمجيد محمد وأتباعه، بما شرحه لهم تلميذ المسيح من تعاليم التجلي لهذا الظهور[2].

وماسينيون هنا يتجاوز سريعا التناقض المميت في هذه الفكرة، وهو إذا كان سلمان محتفظ بنصرانيته وهو من كان يفسر الوحي للنبي محمد ﷺ، فلماذا لم ينتصر لعقيدته المسيحية، ويقنع النبي بالتثليث، والتجسد، والصلب، أو على الأقل، لماذا لم ينتصر لمسيحيي نجران اخوته في العقيدة.

وكيفما كان بدا ماسينيون مقتنعا بشكل كبير بهذه الفكرة، إذ قال في موضع آخر: **أنه ولا بد من الإشارة إلى كون سلمان أول المساعدين المبعة لعلي في حمل جنازة فاطمة السرية ودفنها في الخفاء، والذي لمس بيده جسدها المقدس المصاب بالكدمات. وقد كانت فاطمة قد وجدت طريقة للاغتسال قبل موتها كي لا يرى أحد جراحاتها. الأمر الذي يكشف أن سلمان هو احد المقربين من النبي. أو كما تعته الاسماعيليون بـ(الملاك جبرائيل).وهو الأب الروحي لأبناء فاطمة العذراء(الحسن والحسين)**[3].

وحقيقة الحال إن المجال التاريخي لحياة سلمان، لم يمكنه من القيام بالدور الذي يدعيه له ماسينيون، أو الذي تدعيه من قبل الفرق الغنوصية، وإذا ما بحثنا عن ظهوره التاريخي، فلا نكاد نعثر إلا على كونه صاحب فكرة حفر الخندق، ومن ثم أحد المسلمين المساهمين في حفره، وما يُذكر من أنه كان

(1) *Y.Moubarac: Opera Minora, ,vole3,p.649.*

(2) *Angelier:Écrits Memorables , vole1,p.234.*

(3) *Y.Moubarac: Opera Minora, p.1 /580,602.*

ضمن الممتنعين عن بيعة الخليفة الأول، الذين اجتمعوا في بيت الإمام علي (عليه السلام) وكان من المحتجين على خلافة أبي بكر[1].

وبحسب الروايات كان الإمام علي (عليه السلام) هو من تولى تغسيل فاطمة الزهراء (عليها السلام)، وذلك من الأمور التاريخية المشهورة، حتى أن مختلف فقهاء المذاهب الإسلامية استدلوا بفعل الإمام على جواز تغسيل الرجل لزوجته، وعدّوه حكمًا من الأحكام الفقهية[2]. وقد نصت إحدى الروايات على الأشخاص الذين حضروا عملية الغسل، والدفن، قال الراوي: (غسلها أمير المؤمنين (عليه السلام)، ولم يحضرها غيره، والحسن، والحسين، وزينب، وأم كلثوم، وفضة جاريتها، وأسماء بنت عميس. وأخرجها إلى البقيع في الليل، ومعه الحسن، والحسين، وصلى عليها، ولم يعلم بها، ولا حضر دفنها، ولا صلى عليها أحد من سائر الناس)[3].

وغاية ما ورد في حضور سلمان في هذا الحادثة أنه كان ضمن مجموعة من الأشخاص الذين حضروا تشييعها، فقد جاء في إحدى الروايات عن أسماء بنت عميس أنها قالت: أوصت فاطمة أن لا يغسلها إذا ماتت إلا أنا وعلي (عليه السلام)، فغسلتها أنا وعلي، وصلى عليها أمير المؤمنين، والحسن والحسين (عليهم السلام)، وعمار، والمقداد، وعقيل ، والزبير، وأبو ذر، وسلمان، وبريدة، ونفر من بني هاشم في جوف الليل. ودفنها أمير المؤمنين (عليه السلام) سرًا بوصية منها في ذلك[4].

(١) انظر: البلاذري: أنساب الأشراف، ١ ٥٩١؛ الطبرسي: الاحتجاج،١ ٩٩-١٠٠؛ ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ٦ ٤٣-١٨٤، ٣٩.

(٢) انظر: مالك بن أنس، المدونة الكبرى،١ ١٨٦؛ ابن سعد، الطبقات،٨ ٢٨؛ ابن شبة النميري، تاريخ المدينة،١ ١٠٩؛ الكليني، الكافي،١ ٤٥٩؛ الصدوق، علل الشرائع،١ ١٨٤؛ العوسي: الاستبصار،١ ١٩٩-٢٠٠؛ السرخسي، المبسوط،٢ ٧١؛ ابن عبد البر، الاستذكار،٣ ١١؛ ابن حزم، المحلى،٥ ١٧٥؛ ابن قدامة، الشرح الكبير،٢ ٣١٢؛ المغني،٢ ٣٩٨.

(٣) الطبري: المسترشد، دلائل الإمامة،١٣٦.

(٤) انظر: الطبرسي، إعلام الورى،١ ٣٠٠.

وليس هناك ثمة رواية تشير إلى ما ذهب إليه ماسينيون من أن سلمان(مس جسد الزهراء المقدس المصاب بالكدمات)، وإن وجدت فهي من روايات الفرق الغنوصية التي رفعت سلمان إلى مستوى الألوهية التضمنية أو الملائكية، وهي ليست من التاريخ بشيء.

وفي موضع آخر أشار ماسينيون إلى أن سلمان الفارسي عمل مرشداً لأبناء فاطمة بعد وفاتها، وأن هذا الأمر قد تجلى عبر الزواج المشهور للحسين ابن فاطمة من شهربانويه ابنة هرمزان الفارسي، فحسب نظرية الدروز عن المهدي، والتي تختلف عن نظائرها من الفرق الشيعية، فإن المهدي لا يعود على النبي بالولادة(النسل) بل يتبنى من سلمان[1]. وهذا ما يفسر حقيقة أنه منذ بداية الإسلام العالمي، ونسل فاطمة كانوا يمثلون دائما أبطال المساواة بين المؤمنين من العرب وغير العرب، كما كانت فاطمة المدافعة عن حقوق الموالي وفدك التي يقتاتون عنها[2]. ولذا شكلت فاطمة أهمية كبرى عند الموالي، وهذا ما يبلور اهتمامات الفرق المتطرفة التي قامت باسم فاطمة، وعززت من صورتها الأسطورية ، فيما بعد لكونها مهمة عندهم أكثر من أهل البيت الآخرين؛ لأنها مضيفة الموالي ومسكن الفقراء[3].

وقد كفانا ماسينيون المؤونة في مناقشة هذه الأفكار، فهي مستمدة من عقائد الدروز وأدبياتهم الغنوصية، وقد ألمح هو لأسطوريتها، وعدم انتمائها للتاريخ.

(1) *Angelier:Écrits Memorables , vole1, p .261,815.*

(2)*Y.Moubarac : Opera Minora, ,vole1,p.259.*

(3) *Y.Moubarac: Opera Minora,vole3,p.647.*

المبحث الثالث

الحلاج وفاطمة(*) من التصوف

إلى الاستبدال

كغيره من المستشرقين ينطلق ماسينيون من مسلمة مفادها أن الإسلام تأثر ضمنًا باليهودية والمسيحية، واقتبس العديد من مبادئها الدينية وممارساتها العبادية، فضلاً عن العادات والتقاليد، وما يتعلق بالجانب الأخلاقي والروحي فيها، وقد نص صراحة على أن الكتاب المقدس (الانجيل)، **لا يزال يخدم استكمال القرآن الكريم، فإضافة لشفاعة مريم، هنالك الذبائح المقدمة في الحج فهي مقابلة لتضحية يسوع المسيح بنفسه، وكذلك الحال بالنسبة لحجاب النساء المسلمات فهو امتداد أو تذكير بالدعوة المسيحية إلى العفة، وهكذا غيرها العديد من التعاليم، والممارسات المسيحية داخل الجسد الإسلامي**[1].

ولكن الفارق في هذا المسار بين ماسينيون وغيره من المستشرقين، أن المستشرقين عادة ما كانوا يلتمسون هذا الأثر عبر الشخصيات اليهودية والمسيحية التي عاشت في جغرافيا الإسلام، من قبيل: **ورقة بن نوفل، وبحيرا الراهب، ووهب بن منبه، وكعب الأحبار**، وغيرهم، وعبر احتكاك النبي ﷺ والإسلام باليهودية والمسيحية في المحيط الحجازي وخارجه، بينما ذهب ماسينيون إلى تلمس هذا الأثر من خلال شخصيات امتازت بهويتها الإسلامية، ولكنها -بحسبه- تحمل في جوهرها عقيدة مسيحية أصيلة لم تفصح عنها لمخارج، **كسلمان الفارسي، والحلاج**[2]، **ومن خلال الفرق الغنوصية، والتيارات الصوفية**، التي تقدسهم، وهي المهمة البحثية التي أماط اللثام عنها عبر مقارباته وتأويلاته للحياة الروحية للإسلام، وبطبيعة الحال كان غالبًا ما يتكئ على مبدأ البدلية ومنهج الاستبطان.

---

(1) *Krokus: The Theology of Louis Massignon,p.184.*

(٢) كان ينبغي أن يعلم أنه كان يظهر الزهد والتصوف، ويظهر الكرامات، ويخرج للناس فاكهة الشتاء في الصيف، وفاكهة الصيف في الشتاء، ويمد يده إلى الهواء فيملؤها دراهم مكتوب عليها: قل هو الله أحد، ويسميها الدراهم القادرية، ويخبر الناس بما أكلوه وما صنعوه في بيوتهم، ويكلمهم بما في ضمائرهم، فافتتن به خلق كثير، واعتقدوا فيه الحلول، واختلفوا فيه اختلافهم في المسيح ﷺ، فمن قائل: أنه حل فيه جزء إلهي ومدعي فيه الربوبية، ومن قائل: أنه ولي الله تعالى، وأن الذي ظهر منه من جملة كرامات الصالحين، ومن قائل: أنه منافق، وساحر، ومخرف، وساحر كذاب، ومتكهن، ولجن تطيعه فتأتيه بالفاكهة في غير أوانها، وكان قدم من خراسان إلى العراق، وسار إلى مكة، فأقام بها سنة في الحجر، لا يستظل تحت سقف شتاء ولا صيفا، وكان يصوم الدهر، وإذا جاء وقت الإفطار أحضر له القواد كثيرا من الفواكه، فيشرب الماء، ويعض من الفرصة ثلاث عضات من جوانبها فيأكلها ويترك الباقي، ولا يأكل شيئا آخر إلى الغد آخر النهار. ينظر: ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ٨/١٢٦.

وفي هذا السياق أهتم ماسينيون، وبدافع من مقارباته(الإسلامية– المسيحية)، ومحاولة ردم الفجوات بين المسيحية والإسلام؛ انتصارا للأولى، ومن ثم بسبب نزعته الصوفية، والرغبة في التجديد الدراسي في ميدان التصوف، اهتم بفكرة الاتحاد الصوفي بين الروح البشرية والإله من خلال الحلاج (المسلم– المسيحي)، وبعض الطقوس المكرسة لعبادة سلمان وفاطمة عند الفرق الغنوصية.

ومن المعروف أنّ ماسينيون كرس بحوثه ودراساته في الغالب للحلاج، الذي أسماه(**شهيد التصوف الإسلامي**)، وكان قد تعرف على شخصيته التاريخية لأول مرة في حياته أثناء قيامه ببعض أعمال التنقيب الأثري في العراق، ومن ثم خلال تصوره لحضور الحلاج(**روحيا**) كشفيع له أثناء اعتقاله من قبل القوات العثمانية بتهمة الجاسوسية، والتي رافقها إصابته بالملاريا، وخلال ما حظي به من ضيافة العربية عند(آل الآلوسي)في بغداد، الذين بدورهم توسطوا له، وقرأوا القرآن عند رأسه طيلة رقوده في المشفى. وبذلك تشكلت لدى ماسينيون صورة أولية، أو بدرة أولى لمفهومي:(**الشفاعة**)، و(**الضيافة المقدسة**)، اللذان قاربهما مع مفهوم(**الفداء المسيحي**)، و(**الضيافة الإبراهيمية، والمريمية**)، كإشارة لقصة ضيوف إبراهيم القرآنية، وقصة ضيافة مريم الإلهية، والطعام الذي كان يجده عندها كلما دخل عليها المحراب، وما قابل ذلك من **اهتمام فاطمة الزهراء** بالموالي(**غير العرب**)[1]؛ وذلك في نطاق تفسيره الفلسفي المقارن لبعض أوجه التاريخ الإسلامي.

وفي الواقع إن ماسينيون في سعيه الحثيث للكشف عن البعد الصوفي في الإسلام، أراد إثبات وجود علاقة متماثلة (كرستولوجية/ علم دراسة السيد المسيح) بين الديانتين المسيحية والإسلامية، ودعا لإصلاح النقص بين الاثنين، فهو يرى أن الديانة الإسلامية لم تكتمل بعد؛ بسبب رفضها لمبدأ التجسد والحلول، ولعقيدة الصلب والفداء، أما الديانة المسيحية فهي الأخرى تتضمن ممارسات خاطئة بعيدة عن رسالة المسيح، وعليه فيجب أن تُكمل إحداهما الأخرى، عبر مفهوم الأثر والتأثر الايجابي، ومبدأ(**البدلية**)، لا

(١) إشارة إلى قوله تعالى: «ويطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتيما وأسيرا» سورة الإنسان: آية ٨ و في سبب النزول ينظر: الواحدي النيسابوري، أسباب النزول،٢٩٦؛ الثعلبي، الكشف والبيان،١٠ ٩٨–١٠٠؛ الحاكم الحسكاني، شواهد التنزيل، ٢ ٣٩٣–٣٩٥، ٤٠٥–٤٠٣، ٤٠٦.

سيما وأن القرآن بشر بعودة المسيح في نهاية التضاف، وقد جعل ماسينيون من شخصية(الحلاج)، منطلق عمليا نهذ التكامل والتأثر الإيجابي (الإبدال)، بعده قطبا أو مرتكزا لـ(سر الحب الإلهي)، ونموذجا مثاليا من بعد(يسوع) لعملية الاستبدال، والتضحية من أجل الآخرين [1].

وذهب ماسينيون إلى أن(الحلاج) يتقارب في بعض جوانبه الاعتقادية مع الشيعة، على خلاف ما اشتهر من تسننه في الاطار الاعتقادي العام، مشيرا إلى أن ثمة خلاف بين الفريقين(السنة والشيعة). يتطوي تحت النظرة للخلافة، ففي الوقت الذي يخلو الإسلام السني من فكرة الروحانية والشفاعة؛ بسبب تمسكهم بالخلافة الدنيوية(الزمنية)والقول بصحتها. كان هذا الجانب مقعمًا وطاغيًا عند الشيعة؛ بسبب موقفهم الرافض لهذه السلطة(سلطة الخلافة). بعدّها خطيئة، وتجاوز على حق الإمام المنصوص عليه، وهو الأمر الذي عُوض عندهم(أي عند الشيعة) بمفهوم الشفاعة الأخروية والروحانية. وهذا ما وجده في بعض الإشارات المتعلقة بحياة الحلاج، وانتفاضته ضد الخلافة الزمنية[2]. الأمر الذي عدّه ماسينيون انتصارًا لمعتقد الشيعة[3].

وهكذا أراد ماسينيون عبر مبدأ البدلية، القائمة على الضيافة والشفاعة والتضحية، أن يدخل الحلاج، والسيدة فاطمة الزهراء في موكب الأرواح المقدسة بمباركة قلب يسوع، الذي عدّه بمثابة أس التعاطف العالمي، فعمل على إيجاد الرابط المشترك بين هذه الشخصيات الفريدة، وذلك من خلال دراساته حول(رسولية الرحمة) و(المعاناة)، بين فاطمة والحلاج[4]، ولا سيما ما يتعلق بصلاتهما من أجل الآخرين[5]، على أنها علاقة مترابطة لتغيير القدر الإلهي عبر الشفاعة، وأنه لابد أن

---

(1) *Lude:pathways to an inner Islam,p.36.*

(٢) ينظر: آلام الحلاج،٤٨٣-٤٨٤؛ سيرة المعتدي الحسين بن منصور الحلاج،٦٦.

(3) *Destremau and moncelon: Masslgnon,p.212.*

(4) *Borrmans:Islamochristiana,p.11.*

(٥) ذكر عن الحلاج أنه قال: ما تمذهبت بمذهب أحد من الأئمة، وإنما أخذت من كل مذهب أصعبه وأشده. وما صليت صلاة الفرض إلا وقد اغتسلت لها وتوضأت وضوأ، وهذا أنا بي بضعي سنة، وهي خمسي سنة صليت صلاة ألفي سنة، كل صلاة فضاء لما فاتها. وروي أنه عندما جيء به لصلب طلب سجادة ليصلي وضحك حتى دمعت عيناه، وصلى ركعتين وتقرب لله بالدعاء.=

يكون الحلاج على علاقة بعلم التنجيم الشيعي، الذي مكنه من إدراك الكمال النهائي، وتحقيق الاندماج الصوفي[1].

وفي مجال المقاربة بين السيدة فاطمة الزهراء والحلاج، يرى ماسينيون أن الأخير قد تخطى كل القيود البشرية من خلال صلاته وعباداته الصوفية، وبلغ مرحلة (نشوة الروح)، وأراد بإعدامه مصلوبا أن يثير تصوره حول الموت والقيامة، ومثل هذه النفوس المحبة، التي تلتذ دعوتها للصلاة والتألم من أجل الجميع، تستمر في النمو بعد موتها، وكذلك كانت فاطمة تصلي من أجل الآخرين، وماتت في حدادها الأبوي لتكمل رسالة والدها عبر ولدها المهدي[2].

وبحسب الرسائل المتبادلة بينه وبين هنري كوربان، أفصح ماسينيون عن أنه أدرك هذه العلاقة – أي الترابط أو التماثل بين فاطمة الزهراء والحلاج – متأخرا، وأنه يخشى أن يفارق الحياة من دون اكمال هدفه الأسمى في ربط التصوف الحلاجي بفاطمة الزهراء؛ ولذا كتب لهنري كوربان: **اعتمد عليك أولا للدفاع عن الصداقة المقدسة التي ألهمني الله بها للحلاج وفاطمة الزهراء. ومن خلالهما لسلمان ومحمد. وأنا مع (وحدة الشهود) من أجل تفوق شأن مريم العذراء. وبالتالي الإنسان المضحي**[3].

ومصطلح (**وحدة الشهود**)، هو مصطلح صوفي – عرفاني، يعبر عن الحال التي يشعر فيها الصوفي بوحدة الحق والخلق (الله والخلق)، ويفنى عن نفسه وعن كل ما سوى الله، ويقرّ بالتحقق على أنه وحده هو الموجود، فإذا ما صار إلى حال الصحو، وهي حال الفرق، وأدرك أعيان الموجودات أنكر أنها هي الحق، وإنما هي مجالٍ ومظاهر له، وهي حال (الفناء)، أو حال (الجمع)، وبذلك تكون الوحدة المشار إليها (وحدة

=انظر: لويس ماسينون: أخبار الحلاج، ٢٤، ١٢-٢٥. والعلاقة بالنسبة للحلاج معرج للنفس في اتصالها مع خالقها، وكذلك قراءة القرآن الذي نه في وجدا متبادل من الحب، وربه، وهو بذلك يضع أولى لبنات مذاهب التصوف الإسلامي الفلسفة على وجه الخصوص. انظر: عبد الباقي: الحلاج شهيد التصوف الإسلامي، ٤٨.

(1) *Rocalf: Louis Massignon ,p.59.*

(2) *Borrmans :Islamochristiana, pp.8-9*

(3) *Ollivry :Louis Massignon,p.571.*

الشهود)، لا وحدة الوجود[1]. وبعبارة أخرى، أنهم لا يشاهدون في الوجود غير الله، ولا يعرفون في الحقيقة غيره ، لأن وجوده حقيقيّ ذاتيّ، ووجود غيره عرضيّ مجازيّ في معرض الفناء والهلاك[2].

وفي سعي ماسينيون الصوفي لتحقيق (وحدة الشهود)، وجد نفسه قريبًا من الإحساس الشيعي، الذي يؤمن بالأخرويات، التي يمكن من خلالها الوصول إلى عبادة القديسين – وهم بحسب ماسينيون الأولياء والأئمة – وبعبارة أدق (الأبدال)، الذين هم خلاصة لهؤلاء الشهود[3].

وأشار ماسينيون إلى أن أولى ثمار الاستبدال الإسلامي في المذهب الشيعي بين القديسين الأئمة عن طريق (التقمص / التقلب)[4] هي فاطمة الزهراء ، بعدها النموذج الأول بعد النبي ، أو الثاني بعد الإمام علي في سلسلة الاستبدال الروحي، ومواصلة عملية التضحية والفداء[5]، وقال في هذا الصدد: إن **هذه التضحية بالنفس من أجل الآخرين، قد سبقت غاندي بمئات السنين. وذلك عبر تعريض فاطمة بنت النبي نفسها للضرب المبرح من قبل ممثلي الشريعة(السلطة). كما في الحلاج وصلبه. ماهي إلا تدمير لأصنام الروح، وأولئك المعزولين، أمثال الحلاج. وفاطمة بنت النبي، ومحمد نفسه، الذين وقفوا بجرأة شديدة ضد الظلم والامتيازات الدنيوية. وتم ذلك عبر حسن الضيافة المقدسة للآخرين**[6].

ويرى ماسينيون أن جذور العلاقة بين الحلاج وفاطمة ترتد إلى التباين أو المفارقة بين النبي محمد والحلاج، من خلال عدم قدرة النبي على تحقيق الاتحاد الإلهي، على عكس الحلاج الذي

---

(١) انظر: ابن عربي، فصوص الحكم،٢ ٦٦.

(٢) انظر: الآملي، نفس المحيط الأعظم،٣ ٢١٢ .

(3) *Rocalf :Louis Massignon,p.79.*

(٤) إشارة إلى قوله تعالى: «وتقلبك في الساجدين» سورة الشعراء ٢١٩. وتشير الآية متعلق بالنبي بالدرجة الأساس. فقد ورد في تفسيرها أن المراد: تقلبه من آدم إلى أبيه عبد الله في ظهور الموحدين، لم يكن فيهم من يسجد لغير الله. الطوسي التبيان،٨ ٦٨.

(5) *Rocalf :Louis Massignon,p.74.*

(6) *Lude:pathways to an inner Islam,pp. 154-156.*

قدم حلاً مرضياً لمشكلة التصوف الإسلامي، من خلال تضحيته بنفسه على الصليب، أو بما أسماه ماسينيون(سر شهادة الحب الإلهي)[1]. وقال في خطبة مؤبنا الحلاج عام(١٩٢٢م): تذكر يارب، تذكر هذا الابن الروحي لإبراهيم، الذي توفي قبل ألف عام. والذي وهبته شغف الروح بك. واستشهد مصلوبا كما تنبأ. ليري خلقك أن الصلب حقيقة إلهية. بالرغم من أن محمد أخفاها[2]. وهو ما يقود ماسينيون إلى القول: بأن التصوف الإسلامي الغائب في القرآن على مستوى الظاهر، هو إسلامي بحت من جانب. ومن جانب آخر، هو امتداد للتصوف المسيحي[3].

وهكذا فإن الحلاج في حسابات ماسينيون يعد(القديس الاستثنائي)، الذي تخطى هاتيك القيود، التي وضعها محمد على تجربة الصوفية، وعمل على تجاوز هذا النقص، وتقديم نفسه ثمنا في سبيل تحقيق الاتحاد الصوفي[4].

وأشار ماسينيون إلى أن هذه الرغبة الصوفية، التي تولد في قلب المؤمن الحق، وتدل على تواضع الروح، وترفعها عن التدنيس، وتتحمل المعاناة في سبيل الوصول للذات الإلهية، مثل تقديم الحلاج نفسه كضحية شرعية بدلاً عن الله. وهو ذات الاتجاه الذي كرست فيه فاطمة نفسها لتكون(أورانتس الخالدة)، لتقديم هذه التضحية عبر نسلها من الذكور، وهو ما أدركه الحلاج في الضحية الكبرى(الذبح العظيم) للحسين بن فاطمة عوضا عن إسماعيل، وهكذا تتداخل عالمية الرحمة بشكل متناقض على اعتبارها عودة للسلسلة(الأبدال)[5].

وترتبط الحلاج بشكل مباشر أكثر بهذه الفكرة، عاد ماسينيون في بحثه عن علاقة الحلاج بفاطمة إلى أكثر من ذلك، استنادا على بعض الوثائق التي حصل عليها، والتي تخص حياة الحلاج تشير إلى أن

(1) *Rocalf :Louis Massignon,p.59.*

(2) *Borrmans : Islamochristiana,pp.7-8 .*

(3) *Lude:pathways to an inner Islam,p. 82.*

(4) *Rocalf: Louis Massignon,p.49.*

(5). *Y.Moubarac: Opera Minora, ,vole3,p.643.*

والدة الحلاج كان اسمها فاطمة على غرار اسم أبنة النبي، وعندما حملت به أرادت أن تقسمه لخدمة الفقراء فسمته(**الحسين**) تيمنا بالحسين ابن فاطمة بنت النبي، وتخليدا لذكراه، ومعاناة أمه[1].

وفي الواقع إن ربط ماسينيون هذا، يعود إلى فكرته بأن أم الحلاج التي سمته بهذا الاسم هي المسؤولة عن قدره، فهي المضيفة التي كرست ابنها لتخليد ذكرى(الحسين)، فحمل الأبن مصير صاحب الاسم؛ لأن الأم هي من منحته مصيره[2]. وذلك من خلال السر التصوفي الذي حجبه القرآن في الأمر الإلهي (كن فيكون)، والذي أدركه (الحلاج) بنفسه في مرحلة لاحقة ،كما هو الحال في نذر (حنة- أم مريم) لابنتها مريم العذراء ، ونذر مريم لولدها عيسى؛ فإن نذر فاطمة أم الحلاج، هو من جعله ضحية مماثلة لما عاناه الحسين ابن فاطمة بمعنى أو بآخر [3].

وربط ماسينيون بين سر الزواج الأحادي لعلي وفاطمة(خلال حياة فاطمة)، وبين الزواج الأحادي للحلاج وزوجته، التي كانت هي الأخرى تحمل اسم(فاطمة)؛ إضافة إلى مراسيم زفافه، التي كانت مطابقة للطقوس المتقدمة- بحسب الشيعة- في زفاف فاطمة [4].

وبناءً على ذلك ذهب ماسينيون إلى أن دعوة الحلاج مستبعدة من أن تكون سنية حصرا ، فلابد أن يكون متأثرا بالأفكار الشيعية، وخاصة في سنوات تأمله على يد(معروف الكرخي)[5]، و(علي بن موفق)[6]، وأنه كان خلال إقامته في بغداد يحج في زياراته من بين قبور كل المسلمين إلى قبر سلمان بالك [7].

---

(1) *Y.Moubarac: Opera Minora ,vole3,p.651 .*

(2) *Ollivry :Louis Massignon,p.47.*

(3) *Y.Moubarac: opera Minora , ,vole3,p.644.*

(4) *Y.Moubarac: opera Minora, ,vole3,p.561.*

(٥) أبو محفوظ معروف بن فيروز الكرخي، من أجلة مشايخ الصوفية المذكورين ببغداد. وفد أسلم على يد الإمام الرضا ، وكان بعد إسلامه حاجب له فأرادوه لمنعة نوما على باب الإمام، فكسروا أضلع معروف، وقد مات عام ٢٠٠هـ. ودفن ببغداد. ينظر: السلمي، طبقات الصوفية، ٨٣- ٨٥؛ الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، ١٣، ٢٠٨- ٢٠٩.

(٦) علي بن موفق العابد، من مشايخ الصوفية الزاهدين، توفي عام ٢٦٥هـ. ينظر: الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، ١٢، ١١٠- ١١٢.

(7) *Y.Moubarac : opera Minora, ,vole3,p.644.*

وبالتالي فإن الحلاج- بحسب ماسينيون- عمل خلال حياته المشحونة بالأحداث المأساوية، ونهايته على طريقة الصلب والفداء، عمل على إعادة المسيحية لموضوعين نقلهما التشيع من مريم إلى فاطمة أم أبيها، عبر صقوس مريمية اسقطت في عبادة الشيعة على فاطمة[1]. وقد رأى فيهما ماسينيون توافقا بين تصوف الإسلام وتصوف المسيحيين الكاثوليك، في موضوعي (**الوصم الجسدي أو عقيدة الصلب**)، و(**المعاناة الروحية**)، اللذين يقابلان تقديس الإسلامين السني والشيعي للحلاج وفاطمة[2].

وبناءً على ذلك يرى ماسينيون أن فاطمة التي ماتت مهجورة، ودفنت جثتها سرًا خشية من استخراجها كجثة أحد المتمردين، هي تمامًا كالحلاج، مع فارق بسيط، وهو أن فاطمة انتفضت وخرجت من (**بيت الآلام**) بشكل استفزازي، أدى على ما يبدو إلى التقليص من رفقها ورحمتها العالمية، على العكس من الحلاج، الذي يتم فيه توجيه إسلام الرحمة إلى العالمية، ومع ذلك كانت لفتة فاطمة قد أعطت دورًا ايجابيا في بلورة الدافع النفسي للحرب المقدسة، التي نشأت في الإسلام فيما بعد[3].

ومن خلال حرمان فاطمة من ميراثها، فإنها عدت أول مضيفة وحيمة للمظلومين، ولا سيما مع الإهمال المأساوي الذي طالها في أواخر حياتها، وإساءة فهمها (من قبل السلطة والمجتمع)، ونتيجة لذلك فإنها ستصبح ومن خلال سيادة الرحمة في نهاية المطاف (آخر الزمان)، وعن طريق وليدها (المهدي)، فإنها ستتمكن من تحقيق (كن فيكون) عبر مفهوم الابدال[4]. وبعبارة أخرى، إن المهدي (ابن فاطمة) في دعوته سيقوم بإعلان الحرب المقدسة للضحايا والمضطهدين، وهو الوحيد القادر على تحقيق كمال الإسلام، والعدل الاجتماعي، على خلاف القانون الوضعي الحاكم (الخلافة غير الشرعية)، التي رفضها

(1) *Y.Moubarac:opera Minora, ,vole3,p.652.*

(2) *Y.Moubarac : opera Minora,vole3,p.643.*

(3) *Y.Moubarac :opera Minora,vole3,p.646.*

(4) *Y.Moubarac : opera Minora, ,vole3,pp.644-645.*

الشيعة من قبل، ويتمكن من تأسيس قانون جديد، يروج فيه للجنس الأنثوي الرافض لإهانة المرأة عبر (فاطمة البتول)[1].

وبحسب ماسينيون فإن الحلاج أشار لهذه الروحية والأبدال الرحيم في إحدى نصوصه حول قدسية فاطمة الزهراء [2] التي عدها نموذجا للمرأة المثال على غرار مريم العذراء في القرآن، فكما هي مريم والدة المسيح الأم المثالية في القرآن عبر الأمر (كن فيكون)، فإن فاطمة هي الأخرى تشكل في قلبها ختم القداسة الإلهية. وكذا الحال بالنسبة للإسماعيليين الذين يرون في فاطمة تشكلاً للمشيئة الإلهية عبر الاسم الإلهي (فاطر)، وكلاهما يرى في الرقم (٢٩٠) – وهو عام إعلان خلافة الخليفة عبيد الله المهدي الفاطمي – أن فاطمة حلت محل مريم في هذا العام، باعتبار أن الخلافة قد آلت في هذا العام إلى الخليفة المهدي الفاطمي (المهدي الموعود) من نسل فاطمة بحسبهم[3].

يمكن القول في المحصلة النهائية أن أسلوب ماسينيون عندما كرس عمله وحياته لدراسة الحلاج لم يكن تأثراً خالصاً منه بالمذهب الصوفي الإسلامي؛ فهو على الأرجح سعى بكل جهده لربط الإسلام بفكرة الافتداء المسيحي عن طريق الحلاج بالمقام الأول، والسيدة فاطمة قبالة السيدة مريم، واستخدم من ضمن أدواته لتبيين ذلك مصادر للفرق مغالية وشخوص مسلمة ذات جذور دينية نصرانية كسلمان الفارسي، وتوج نظريته هذه بتفسير التاريخ على أنه سلسلة متواصلة من الإبدالات بين الإسلام والمسيحية، فالإسلام هو بدل ناقص للمسيحية في الشرق، أي لا يعوضها كليا-رغم كونهما ديانتان سماويتان- وأن وجود الحلاج الذي يحاكي التجسد المسيحي وأمثاله من حين لآخر يصنع نوعا من الإبدالات المتكررة؛ فالإسلام والمسيحية يتبادلان عملية الزحزحة فيما بينهما؛ ولذلك قال في أحدى رسائله للأب (أنستاس الكرملي): **لا تنسى كتابي عن الحلاج. سوف أرسل لك نسخة من أدلتي عن مسيحيته. لم أنته من عملي حول الحلاج. أرغب أن أضع مبادئ حول ألوهية المسيح غير المتوقعة في الإسلام تحت**

(1) *Y.Moubarac : opera Minora, ,vole3,p.643.*

(٢) لم نعثر على هذا النص في ما بين أيدينا من كتب الحلاج وما يتعلق به.

(3) *Y.Moubarac : opera Minora, ,vole3,p.652 .*

الضوء- هذه المبادئ التي ولدت لديه من الحاجة إلى مرشد معصوم يمثل(أمتلاء روحيا)-كي لا يظل الطرق الطرق الصوفية. إنها مبادئ مثابة من قبل موت مشع على الصليب[1].

(١) علي بابو. ماسنيون في بغداد، ١٧١، ٢٠٠.

الخاتمة والنتائج

الخاتمة والنتائج

أفضت هذه الدراسة المتواضعة إلى مجموعة من النتائج التي ذُكرت في مظانها من البحث، ويمكن أن نجمل أبرزها في النقاط التالية :

١. تبين من خلال الدراسة أن الاستشراق بمدارسه ومشاربه كافة، ما فتئ يتمحك على التشويه والتحريف الذي طال التدوين السيري والتاريخي الإسلامي؛ وفقا للمصالح والأهواء، والاختلافات المذهبية، وتوجهات السلطة التي ترعى الخطاب السائد، أضافة للمؤثرات الأخرى من كتابات وفلسفات واعتقادات، مما استغله المستشرقون في خدمة طروحاتهم .

ومع ذلك فإن هذا لا يبيح لهم التركون لتلك الروايات بمجرد أنها توافق أهواءهم، مع ما يدعونه ويتبجحون به من المنطق العلمي، والمنهجية الصارمة؛ ففي مظان الدراسة وجدنا ماسينيون يعتمد في أغلب طروحاته وأفكاره على ما استمده من التراث الإسماعيلي، وفرق التصوف والغنوص، ولا سيما النصيرية والدروز، ومن دون العودة على الأقل للمصادر التاريخية المعتبرة لدى الإسلاميين السني والشيعي.

٢. تميز ماسينيون بمعرفته المعمقة للجوانب الروحية في الإسلام، من خلال اطلاعه الواسع، وتدريسه في الأزهر وغيره، ومعايشته للمسلمين ومشاركتهم في طقوسهم وممارساتهم الدينية للشطر الأكبر من حياته، ولا سيما اهتمامه الروحي المتواصل بالتصوف وشخوصه، فامتلك قدرة كبيرة على التنقيب في الموروث الإسلامي، حتى غدى صاحب منهج استشراقي يحتذى في المدارس الاستشراقية الأخرى؛ لما أحدثه من تغيير جوهري في ميدان الدراسات الروحية في الإسلام، وحتى وسمه البعض بـ (النبي القديس). ولكنه مع ذلك كله- كغيره من المستشرقين والباحثين- لم يستطع التخلص من أيدولوجيته الدينية بشكل مطلق.

وعلى سبيل المثال، فإنه على الرغم من اعترافه بنبوة النبي(ص) وصدق رسالته، إلا أنه من جانب آخر أعتبرها نبوة ناقصة، لم تكتمل في تحقيق الرسالة الإلهية كما فعل المسيح، وبالتالي فهو(نبي سلبي)؛ لأنه لم يتحد مع الله، واكتفى بأن كان رسولا ومنذرا بالقيامة والخلاص لا مخلصاً. وهذا ما يجعل الإسلام ديناً بدائياً قياساً بالمسيحية، وهو ما تطلب من النبي أن يجعل ابنته السيدة فاطمة الزهراء رهينة لإكمال دعوته الناقصة، عبر نسلها في آخر الزمان .

٣. استند ماسينيون في بعض طروحاته على تجاربه الشخصية، ولا سيما في(منهج الاستبطان) أو (المعرفة الحدسية)، في قراءته للموضوعات التي تناولها بالدراسة، فغادر المناهج التقليدية التي تشتغل على النص وفواعله التاريخية، واعتمد في كثير من الأحيان على الطابع التأملي، والحدس، والتذوق الكشفي، والتنبؤ، فكانت نتائجه تنضح بذاتية الكاتب، ومشاكله النفسية والحياتية التي تعرض لها في مراحله العمرية المختلفة، فهي تتسرب لأفكاره بوعي أو لاوعي؛ كونها الخزين الأعمق المستودع في عقله الباطن.

٤. انتظمت طروحات ماسينيون حول السيدة الزهراء على وفق مبدأ أو فكرة(البدلية)، وكونها حلقة أو مرحلة للتضحية والفداء ضمن سلسلة متواصلة من القديسين في المسيحية والإسلام، ابتداءً من السيد المسيح وأمه العذراء(ع) وانتهاءً بالمهدي المنتظر(عج) .

٥. كانت اللغة التي اعتمدها ماسينيون لغة مليئة بالتشفيرات والرموز الصوفية، وتحمل معاني مغايرة لظواهرها، ويبدا عليها الطابع الفلسفي وعمق الطرح واضحاً، حتى يصعب معها في بعض الأحيان فهم مقصوده الدقيق في العبارات والمفاهيم التي يطرحها، لاسيما مع استخدامه للغة الترميز، وحساب الجمل، وميله للصياغات الأدبية والنثرية العالية، وبالتالي كان من الصعب جداً التعامل معها، والبحث عن تأويلاته ومقاصده .

٦. انصب اهتمام ماسينيون على البحث الدؤوب عن النقاط المشتركة بين المسيحية والإسلام في الطقوس، والشعائر، والأدعية والممارسات، وربط التقاليد الإسلامية بنظيرتها المسيحية، على أنها لا تعدو أن تكون مجرد بلورة لها، أو نوع من أنواع التمسك بالروحانية الأصيلة فيها، وقد أظهر وبراعة فائقة قدرته على الجمع بين اهتماماته المعقدة في الاسلام، وبين إيمانه الكاثوليكي .

٧. نتيجة لميل ماسينيون الصوفي، وتشيعه بفكرة التجسد والاتحاد، فإنه رفع(الحلاج) إلى مقام أعلى من النبي ﷺ بدعوى أنه حقق ما عجز عنه النبي ﷺ بعد أن فشل في الاندماج مع الله(التجسد) في الإسراء والمعراج، في حين استطاع (الحلاج) التدبير الإسلامي الاستثنائي القيام بذلك، مع الإشارة إلى كونه كان متشبعًا بالنصرانية، وقد حذا حذو السيد المسيح في دعوته .

وعلى هذا المنوال نسب سلمان الفارسي للنصرانية أيضًا، وتحدث عن دوره في إلهام السيدة الزهراء لصورة مريم، وحثها على تقليدها، وهو مبعث اهتمامه بسيرتها، إذ كان يرى أنها تمثل انعكاس لصورة السيدة مريم في المسيحية، أي وجه التقابل والالتقاء (الإسلامي-المسيحي) .

وبناء على ذلك انطلق ماسينيون في طروحاته حولها من الرؤية الفلسفية والصوفية المتشكلة حولها، وبالأخص التأمل في منزلة(أم ابيها) عند بعض فرق الغلاة المتطرفة، فالإسماعيلية، والنصيرية، والدروز، يجلون فاطمة كاسم إلهي(كما هي مريم أم الإله)، وأنها المرأة المثالية لجانب مريم في الإسلام، فعمل ماسينيون على تطوير هذه الفكرة بناءً على معياره الديني في دور مريم العذراء، فهي- بالنسبة إليه- رهينة بشرية لعذوبة الوصول الإلهي، بينما وصف مريم بأنها المضيف البشري للتجسد .بما يخدم رغبته في إظهار التأثيرات النسطورية المسيحية في الإسلام، من خلال بعض الأساطير الدينية في المتخيل الديني لفرق الغلاة والصوفية.

وخصوصًا في إيضاح مشاركة فاطمة الزهراء لمريم أم المسيح[1] بجميع امتيازاتها، والتي عدّها القرآن النموذج المثالي للمرأة.

ونظرًا لإيغال ماسينيون في تضمين البعد الاستبطاني للمنحى التاريخي في دراساته، فإنه قابل بين الولادة على أثر حادثة الإسراء والمعراج، وبين ما كانت تتناوله مريم العذراء[2] في مسكنها المقدس، ومحراب زكريا، مانحًا هذه المقابلة بعدًا تفسيريًا صوفيًا، للكشف عن معانيها المضمرة حسب منهجه (التأويلي- الاستبطاني)؛ إذ يرى أن هذه(التفاحة)قد أحضرت من(القدس السماوية)، وأن تناولها محاكاة لسمة من سمات الفلكلور المريمي القديمة.

المصادر والمراجع

المـــصادر

القرآن الكريم .

الكتاب المقدس : العهد القديم والجديد (ط ٣، دار المشرق الكاثوليكية بيروت –لبنان ١٤١٥هـ / ١٩٩٤م).

أولاً – المصادر الأولية:

الآملي: السيد حيدر . ت (٧٨٢هـ) .

١/ تفسير المحيط الاعظم والبحر الخضم في تأويل كتاب الله العزيز المحكم. تح: السيد محسن الموسوي التبريزي(ط٤، مؤسسة فرهنكي ونشر نور على نور:قم–ايران١٤٢٨هـ ٢٠٠٧م) .

ابن الأثير: أبو السعادات مجد الدين المبارك بن محمد عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري. ت (٦٠٦ هـ / ١٢٠٩م).

٢/ منال الطالب في شرح طوال الغرائب تح: محمد محمود الطناحي (ط ١ ، مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي: مكة المكرمة –السعودية ١٣٩٩ هـ ١٩٧٩م).

٣/ النهاية في غريب الحديث. تح : طاهر احمد و محمود الطناحي(ط٤،مؤسسة إسماعيليان:قم–ايران١٣٦٤هـ:١٩٤٤م) .

ابن الأثير : عز الدين أبي الحسن علي بن أبي الكرم. ت (٦٣٠ هـ / ١٢٣٢م).

٤/ الكامل في التاريخ(دار صادر بيروت –لبنان ١٣٨٥ هـ / ١٩٦٥م).

الأربلي أبو الحسن علي بن عيسى بن أبي الفتح. ت (٦٩٣هـ).

٥/ كشف الغمة في معرفة الأئمة (ط ٢. دار الأضواء: بيروت –لبنان ط: ١٤٠٥هـ .١٩٨٥م).

ابن إسحاق: محمد بن يسار . ت (١٥١ هـ / ٧٦٨م).

٦. سيرة ابن اسحاق ، تحقيق : سهيل زكار (دار الفكر بيروت –لبنان ١٣٩٨ هـ . ١٩٧٨م).

الأشعري القمي : أبو القاسم سعد بن عبد الله ابي خلف . ت (٣٠١هـ/٩١٣م) .

٧/ المقالات والفرق . صححه وقدم له وعلق عليه: محمد جواد مشكور(ط ١، مؤسسة مطبوعات عطائي : طهران– ايران ١٣٦١هـ:١٩٤٣م) .

الأشعري: علي بن اسماعيل بن إسحاق . ت (٣٢٤هـ/٩٣٥م).

٨/ مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين. تح: محمد محيي الدين عبد الحميد (المكتبة العصرية. بيروت– لبنان ١٤١٠هـ:١٩٩٠م).

الأصبهاني : موفق الدين أبو القاسم إسماعيل بن محمد بن الفضل.ت (٥٣٥هـ / ١١٤٠م) .

٩. دلائل النبوة. تحقيق وتعليق وتخريج: مساعد سليمان الراشد(د.ط. دار العاصمة: الرياض –السعودية. د.ت).

الأيجي: عضد الدين عبد الرحمن بن أحمد . ت (٧٥٩ هـ / ١٣٥٧م).

١٠/ المواقف . تح : عبد الرحمن عميرة(ط ١. دار الجيل: بيروت_ لبنان ١٤١٧هـ:١٩٩٧م).

البخاري: ابو عبد الله محمد بن اسماعيل. ت (٢٥٦ هـ / ٨٦٩م) .

١١. التاريخ الصغير. تح: محمود إبراهيم. فهرس أحاديثه: يوسف الهرعشي(ط ١. دار المعرفة بيروت– لبنان١٤٠٦هـ:١٩٨٦م).

١٢. التاريخ الكبير، تصحيح وتعليق: عبد الرحمن يحيى اليماني(ط١،الجمعية العلمية: حيدر آباد– الهند ١٣٦١هـ:١٩٤٢م).

١٣: صحيح البخاري(د.ط، دار الفكر بيروت-لبنان١٤٠١هـ:١٩٨١م).

ابن البطريق: الحافظ يحيى بن الحسن بن البطريق الاسدي الحلي. ت (٦٠٠هـ/١٢٠٣م).

١٤: عمدة عيون صحاح الاخبار في مناقب امام الابرار (د.ط. مؤسسة النشر الاسلامي التابعة لجماعة المدرسين، قم-ايران١٤٠٧هـ:١٩٨٦م).

البغوي : أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد. ت(٥١٠هـ/١١٢٢م).

١٥: معالم التنزيل في تفسير القرآن(تفسير البغوي) .تح: خالد عبد الرحمن العك (د.ط ، دار المعرفة: بيروت-لبنان. د.ت).

البلاذري : ابو جعفر احمد بن جابر . ت (٢٧٩هـ / ٨٩٢م).

١٦ / أنساب الأشراف. تح: محمد حميد الله (دار المعارف مصر -القاهرة ط ١ / ١٣٧٩ هـ : ١٩٥٩م).

البيهقي : أبو بكر احمد بن الحسين. ت (٤٥٨ هـ / ١٠٦٥م).

١٧/ السنن الكبرى. (دائرة المعارف النظامية: حيدر آباد الدكن -الهند ، ١٣٤٤ هـ ، ١٩٢٥م) .

الترمذي : أبو عيسى محمد بن عيسى. ت (٢٩٧ هـ / ٩٠٩م).

١٨/ الجامع الصحيح. المعروف بسنن الترمذي. تحقيق وتصحيح عبد الوهاب عبد اللطيف(ط٢، دار الفكر بيروت -لبنان ١٤٠٣ هـ / ١٩٨٣م) .

الثعلبي: ابو اسحاق احمد بن محمد بن إبراهيم . ت(٤٢٧هـ/١٠٣٥م).

١٩ / الكشف والبيان في تفسير القرآن(تفسير الثعلبي). تح: الامام ابي محمد بن عاشور .مراجعة وتدقيق: نظير الساعدي(ط ١، دار احياء التراث العربي: بيروت-لبنان١٤٢٣هـ ٢٠٠٣م).

ابن الجوزي: ابو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد .ت (٥٩٧ هـ / ١٢٠٠م).

٣٠. زاد المسير في علم التفسير. تح: عبد الرزاق المهدي(ط ١،دار الكتاب العربي:بيروت-لبنان١٤٢٢هـ:٢٠٠١م).

الجوهري : إسماعيل بن حماد. ت(٣٩٣هـ/١٠٠٢م).

٣١. الصحاح: تاج اللغة وصحاح العربية. تح: أحمد عبد الغفور عطار(ط ٤، العلم للملايين١٤٠٧هـ:١٩٨٧م).

٣٢. السقيفه وفدك . تقديم وجمع وتحقيق: محمد هادي الأميني ،ط٢. شركة الكتبي: بيروت-لبنان ١٤١٣هـ:١٩٩٣م).

الحاكم الحسكاني: عبيد الله بن أحمد الحذاء الحنفي النيسابوري من أعلام القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي).

٣٣. شواهد التنزيل لقواعد التفضيل . تح: محمد باقر المحمودي (ط ١ . مجمع إحياء الثقافة الإسلامية: طهران – إيران ١٤١١هـ / ١٩٩٠م).

الحاكم النيسابوري أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد. ت (٤٠٥ هـ / ١٠١٤م).

٣٤/ المستدرك على الصحيحين. (دار المعرفة بيروت – لبنان. د. ت).

ابن حبان أبو حاتم محمد بن أحمد التميمي البستي السجستاني. ت(٣٥٤هـ/٩٦٥م).

٣٥/ صحيح ابن حبان تحقيق وتعليق: شعيب الأرنؤوط (ط ٢. مؤسسة الرسالة: بيروت –لبنان ١٤١٤هـ / ١٩٩٣م).

ابن حجر: أحمد بن علي العسقلاني. ت (٨٥٢هـ / ١٤٤٨م).

٣٦. فتح الباري بشرح البخاري(ط٢، دار المعرفة: بيروت-لبنان، د.ت).

ابن أبي الحديد: عز الدين ابو حامد بن هبة الله محمد . ت (٦٥٦ هـ / ١٢٥٨م).

٣٧. شرح نهج البلاغة. تحقيق محمد ابو الفضل إبراهيم (ط ١، دار احياء الكتب العربية: القاهرة – مصر١٣٧٨ هـ / ١٩٥٩م).

ابن حمزة الطوسي : عماد الدين أبي جعفر محمد بن علي. ت (٥٦٠ هـ).

٢٨/ الثاقب في المناقب ، تحقيق : نبيل رضوان علوان (ط ٢ ، مؤسسة انصاريان للطباعة والنشر: قم – ايران ١٤١٢ هـ / ١٩٩١م).

ابن حنبل: أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد. ت (٢٤١ هـ / ٨٥٥م).

٢٩ / المسند. (المطبعة الميمنية، القاهرة – مصر ١٣١٣ هـ / ١٨٩٥م).

ابن حبان : عبد الله بن محمد بن جعفر بن حبان أبي الشيخ الأصبهاني.ت (٣٦٩هـ/٩٨٠م).

٣٠. طبقات المحدثين بأصبهان والواردين عليها. تح: عبد الغفور عبد الحق حسين البلوشي(ط٢. مؤسسة الرسالة: بيروت-لبنان١٤١٢هـ:١٩٩٢م) .

ابن خزيمة: أبو بكر محمد بن أسحاق السلمي النيسابوري. ت(٣١١هـ/٩٢٣م).

٣١. صحيح ابن خزيمة .تح : محمد مصطفى الأعظمي (ط ٢ ، المكتب الإسلامي : بيروت-لبنان١٤١٢هـ ، ١٩٩٢م).

الخلـيلي: أبو عبد الله الحسين بن حمدان (ت ٣٣٤هـ)

٣٢. الهداية الكبرى. ط٤، مؤسسة البلاغ: بيروت-لبنان ١٤١١هـ، ١٩٩١م.

الخطيب البغدادي : أبو بكر أحمد بن علي. ت(٤٦٣هـ/١٠٧٠م).

٣٣/ تاريخ بغداد . دراسة وتحقيق : مصطفى عبد القادر عطا (ط١ ، دار الكتب العلمية : بيروت-لبنان١٤١٧هـ:١٩٩٧م).

خليفة بن خياط: أبو عمرو شبيب العصفري. ت(٢٤٠هـ/٨٥٤م).

٣٣. تاريخ خليفة بن خياط. تحقيق وتقديم: مهيل زكار (ط١، دار الفر،بيروت – لبنان١٤١٤هـ:١٩٩٣م).

الخوارزمي : أبو المؤيد الموفق بن أحمد بن محمد المكي (ت٥٦٨ هـ)

٣٤ مقتل الحسين (عليه السلام) تح : محمد السماوي (ط ٢، انوار الهدى ، د . م . ، ١٤٢٣هـ ٢٠٠٢م) .

الدولابي: أبو بشر محمد بن أحمد بن حماد الأنصاري الرازي. ت(٣١٠هـ/٩٢٢م).

٣٥/ الذرية الطاهرة . تح : محمد جواد الحسيني الجلالي (ط ١، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين: قم- أيران٧ ١٤٠هـ/١٩٨٦م).

الذهبي: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان. ت (٧٤٨ هـ / ١٣٤٧م).

٣٦/ تاريخ الإسلام، تح: عمر عبد السلام تدمري (ط ١ ،دار الكتاب العربي، بيروت -لبنان ١٤٠٧ هـ / ١٩٨٧م).

٣٧/ ميزان الاعتدال . تح : علي محمد البجاوي (ط ١ ، دار المعرفة : بيروت – لبنان ١٣٨٢هـ- ١٩٦٣م).

الزبيدي: أبو فيض محب الدين محمد مرتضى الحسيني الواسطي الحنفي . ت(١٢٠٥هـ//١٧٩٠م).

٣٨ تاج العروس . دراسة وتحقيق : علي شيري (ط ١، دار الفكر: بيروت-لبنان١٤١٤هـ-١٩٩٤م).

الزبعلي: جمال الدين أبو محمد عبد الله بن يوسف بن محمد . ت(٧٦٢هـ/١٣٦٠م).

٣٩/ تخريج الأحاديث والآثار.(ط ١، دار ابن خزيمة : الرياض – السعودية١٤١٤هـ-١٩٩٣م) .

السرخسي: أبو بكر محمد بن أحمد بن أبي سهل. ت ٤٩٠ هـ / ١٠٩٦م).

٤٠/ أصول السرخسي. تح: أبو الوفاء الأفغاني (ط ١ ، دار الكتاب العلمية: بيروت – لبنان ١٤١٤هـ / ١٩٩٣م) .

٤١ . المبسوط. صححه: جمع من العلماء(د.ط. دار المعرفة:بيروت-لبنان.د ت)

ابن سعد: محمد بن سعد بن منيع. ت (٢٣٠ هـ / ٩٤١م).

٤٢/ الفقات الكبرى . تح: علي محمد عمر (ط ١ ، مكتبة الخانجي القاهرة –مصر ١٤٢١هـ / ٢٠٠١م).

السمعاني : أبو المظفر منصور بن محمد . ت (٤٨٩ هـ / ١٠٩٥م).

٤٣/ تفسير السمعاني. تح: ياسر إبراهيم وغنيم عباس (ط ١، دار الوطن الرياض –السعودية ١٤١٨هـ / ١٩٩٧م).

السمهودي: نور الدين علي بن أحمد. ت (٩١١ هـ / ١٥٠٥م).

٤٤/ وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى (ط ١ . دار الكتب العلمية : بيروت–لبنان ١٤٢٧هـ / ٢٠٠٦م).

ابن سيد الناس : محمد بن عبد الله بن يحي. ت (٧٣٤هـ / ١٣٣٣م).

٤٥/ عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير (ط ١ ، مؤسسة عز الدين : بيروت –لبنان ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م).

السيوطي : جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر محمد. ت (٩١١هـ / ١٥٠٥م).

٤٦/ التبر الباسمة في مناقب سيدتنا فاطمة. تح: حسن الحسيني (ط ١ . دار المشاعر الإسلامية بيروت –لبنان ١٤٣١ هـ / ٢٠١٠م).

٤٧/ الدر المنثور في التفسير بالمأثور (ط ١، المطبعة الميمنية: القاهرة –مصر ١٣١٤هـ / ١٩٨١م).

٤٨/ الجامع الصغير في أحاديث البشير النذير (ط ١ . دار الفكر بيروت –لبنان ١٤٠١هـ ١٨٩٦ م).

ابن شاذان : سديد الدين شاذان بن جبرئيل القمي .ت(٦٦٠هـ/١٢٦١م).

٤٩/ الروضة في فضائل أمير المؤمنين.تح: علي الشكرجي (ط١، مؤسسة آل البيت لإحياء التراث: بيروت-لبنان ١٤٢٣هـ:٢٠٠٢م).

ابن شبة : أبو زيد عمر . ت (٢٦٢هـ/٨٧٥م).

٥٠ تاريخ المدينة المنورة. تح: فهيم محمد شلتوت(ط١، دار الفكر: قم– ايران١٤١٠هـ:١٩٨٩م).

ابن شهر آشوب : مشير الدين أبو عبد الله محمد بن علي . ت(٥٨٨هـ/١١٥٣م).

٥١. مناقب آل أبي طالب . تصحيح : لجنة من أساتذة النجف الأشرف(د.ط. المطبعة الحيدرية: النجف- العراق ١٣٧٦هـ/١٩٥٦م) .

الشهرستاني : أبو الفتح محمد بن عبد الكريم بن أبي بكر. ت(٥٤٨هـ/١١٥٣م).

٥٢/الملل والنحل . تح : أمير علي مهنا وعلي حسن فاعور (ط٣، دار المعرفة : بيروت – لبنان١٤١٤هـ/١٩٩٣م) .

الشوكاني : محمد بن علي بن محمد. ت(١٢٥٥هـ/١٨٤٠م).

٥٣. فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير(تفسير الشوكاني) (د.ط. عالم الكتب: القاهرة- مصر، د.ت).

ابن أبي شيبة : أبو بكر عبد الله. ت(٢٣٥هـ/٨٤٩م).

٥٤/المصنف في الأحاديث والأخبار. ضبط وتعليق: سعد الحمام (ط١، دار الفكر: بيروت- لبنان١٤٠٩هـ/١٩٨٩م) .

الصدوق : محمد بن علي بن الحسين بابويه القمي. ت(٣٨١هـ/٨٩٤م).

٥٥. الأمالي (ط١. مؤسسة البعثة:قم- ايران، ١٤١٧هـ/١٩٩٦م).

٥٦. علل الشرائع (د . ط . المكتبة الحيدرية ومطبعتها : النجف-العراق١٣٨٥هـ/١٩٦٦م).

٥٧. عيون أخبار الرضا . تصحيح وتعليق: حسين الأعلمي (ط١. مؤسسة الأعلمي للمطبوعات : بيروت- لبنان١٤٠٤هـ/١٩٨٤م) .

٥٨. من لا يحضره الفقيه . تصحيح وتعليق : علي أكبر الغفاري (ط٢ . جماعة المدرسين في الحوزة العلمية: قم- إيران١٤٠٤هـ/١٩٨٣م).

٥٩. كمال الدين وتمام النعمة(د. ط . مؤسسة النشر الإسلامي لجماعة المدرسين: قم- ايران٥ ١٤٠هـ/١٩٨٤م).

الصفوري الشافعي : عبد الرحمن بن عبد السلام .ت (٨٩٤ هـ) .

٦٠/ نزهة المجالس ومنتخب النفائس (د . ط . المطبعة الكاستلية : القاهرة – مصر ، ١٢٨٣هـ ، ١٨٦٦ م).

الصنعاني : عبد الرزاق أبو بكر بن همام . ت (٢١١هـ/٨٢٦م).

٦١. المصنف. تحقيق وتخريج وتعليق : حبل الرحمن الأعظمي(ط١. المجلس العلمي: بيروت-لبنان ١٣٩٢هـ:١٩٧٢م).

ابن طاووس: أبو القاسم رضي الدين علي بن موسى بن جعفر بن محمد. ت(٦٦٤هـ) .

٦٢/ التشريف بالمنن في التعريف بالفتن(الملاحم والفتن)، تح: مؤسسة صاحب الأمر (عج)، ط١، إصفهان – إيران ١٤١٦هـ.

الطبراني: أبي القاسم سليمان بن أحمد.ت(٣٦٠هـ/٩٧٠م).

٦٣. المعجم الكبير، تح: حمدي عبد المجيد السلفي(ط٢. دار احياء التراث العربي:بيروت-لبنان ١٣٩٧هـ:١٩٧٦م).

الطبرسي : أبو علي الفضل بن الحسن .ت (٥٤٨هـ / ١١٥٣ م) .

٦٤/ اعلام الورى بأعلام الهدى .(ط١.مؤسسة آل البيت لإحياء التراث:قم _طهران١٤١٧هـ:١٩٩٦م).

٦٥. مجمع البيان في تفسير القرآن. تح: لجنة من العلماء والمحققين.(ط١. مؤسسة الأعلمي: بيروت-لبنان١٤١٥هـ:١٩٩٥م).

٦٦. تفسير جوامع الجامع(ط١. مؤسسة النشر الإسلامي لجماعة المدرسين: قم-ايران١٤١٨هـ:١٩٩٧م).

الطبرسي : أبو منصور أحمد بن علي.ت(٥٤٨هـ/١١٥٣م).

٦٧/ الاحتجاج . تعليق وملاحظات: محمد باقر الخرسان (ط١، دار النعمان: النجف – العراق ١٣٨٦هـ:١٩٦٦م).

الطبري: أبو جعفر محمد بن جرير .ت(٣١٠هـ/٩٢٣م).

٦٨. تاريخ الرسل والملوك المعروف بـ(تاريخ الطبري).تحقيق ومراجعة وتصحيح وضبط:نخبة من العلماء،ط٤،مؤسسة الأعلمي للمطبوعات:بيروت-لبنان١٤٠٣هـ:١٩٨٣م).

٦٩. جامع البيان عن تأويل القرآن.تقديم: الشيخ خليل الميس.ضبط وتوثيق وتخريج: صدقي جميل العطار،د.ط، دار الفكر:بيروت-لبنان١٤١٥هـ:١٩٩٥م).

الطبري الشيعي: محمد بن جرير الطبري . (من أعلام القرن الخامس الهجري).

٧٠. دلائل الإمامة. تح: قسم الدراسات الإسلامية مؤسسة البعثة ط١، مركز البعثة للطباعة والنشر: قم- إيران ١٤١٣ه-١٩٩٢م)

الطوسي : أبو جعفر بن محمد بن الحسن. ت (٤٦٠هـ/١٠٦٧م).

٧١. الاستبصار فيما أختلف من الأخبار. تح: حسن الخرسان ط٤ دار الكتب الإسلامية: طهران-إيران ١٣٩٠هـ:١٩٧٠م).

٧٢. الأمالي . تح : قسم الدراسات الإسلامية-مؤسسة البعثة : قم - إيران ١٤١٤هـ:١٩٩٣م).

٧٣. الفهرست . تح : جواد القيومي ط١، مكتب الإعلام الإسلامي: بيروت - لبنان ١٢٠٩هـ:١٧٩٤م).

الطيالسي: أبو داوود سليمان بن داوود بن الجارود. ت(٢٠٤هـ/٨١٩م).

٧٤. مسند أبي داوود ط١ ،مطبعة دائرة المعارف النظامية: حيدر آباد الدكن -الهند ١٣٢١هـ:١٩٠٣م).

ابن طيفور: أبو الفضل بن أبي طاهر. ت(٣٨٠هـ/٩٩٠م).

٧٥. بلاغات النساء. ط١ ، مكتبة بصيرتي: قم- إيران ١٣٦٦هـ:١٩٤٢م).

ابن عبد البر: أبو عمر يوسف أحمد بن عبدالله بن أحمد بن محمد . ت (٤٦٣هـ/١٠٧٠م) .

٧٦. الاستذكار. تح: سالم محمد عطا ومحمد علي معوض(ط ١. دار الكتب العلمية: بيروت-لبنان ١٤٢١هـ: ٢٠٠٠م).

٧٧. الاستيعاب في معرفة الأصحاب . تح : علي محمد البجاوي(ط ١. دار الجيل: بيروت-لبنان ١٤١٢هـ: ١٩٩٢م) .

٧٨. التمهيد . تح : مصطفى العلوي ومحمد البكري(ط ١، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية: الرباط-المغرب ١٣٨٧هـ: ١٩٦٧م) .

ابن عبد ربه الأندلسي : أحمد بن محمد. ت(٣٢٨هـ/٩٣٩م).

٧٩. العقد الفريد . تح : مفيد محمد قميحة (ط ١، دار الكتب العلمية : بيروت – لبنان ١٤٠٤هـ ١٩٨٣م) .

ابن عربي: محيي الدين محمد بن علي بن محمد الطائي.ت(٦٣٨هـ) .

٨٠/ الفتوح المكية . (د . ط ، دار صادر : بيروت – لبنان ، د . ت).

٨١/ فصوص الحكم. تح: ابو العلا عفيفي(دار الكتاب العربي: بيروت- لبنان. د. ت)

ابن عساكر: أبو القاسم علي بن الحسن ابن هبة الله. ت(٥٧١هـ/١١٧٥م).

٨٢/ تاريخ مدينة دمشق وذكر فضائلها وتسمية من حلها من الأماثل أو اجتاز بنواحيها من وارديها و أهلها . تح: علي شيري(ط ١ ، دار الفكر: بيروت – لبنان ١٤١٥هـ: ١٩٩٥م).

ابن عقدة : ابى العباس احمد بن محمد بن سعيد الكوفي. ت(٣٣٢هـ/٩٤٣م).

٨٣/ فضائل امير المؤمنين(ع) ، جمعه ورتبه وقدم له :عبدالرزاق محمد حسين حرز الدين(ط ١، الناشر دليل ما: قم – ايران ١٤٢٤هـ ٢٠٠٣م).

العيني : أبو محمد محمود بن أحمد. ت(٨٥٥هـ/١٤٥١م).

٨٤. عمدة القاري في شرح صحيح البخاري. (دار إحياء التراث العربي: بيروت-لبنان. د.ت).

الغزالي : أبي حامد محمد بن محمد (ت ٥٠٥ هـ) .

٨٥/ إحياء علوم الدين (ط ١ ، دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع : بيروت – لبنان ، ١٤٢٦ هـ / ٢٠٠٥م).

الفخر الرازي : أبو عبدالله فخر الدين محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين . ت (٦٠٦هـ/١٢١٠م).

٨٦: مفاتيح الغيب=التفسير الكبير(تفسير الرازي)(ط٣، دار إحياء التراث العربي:بيروت-لبنان،١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م).

الفراهيدي : أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد. ت(١٧٥هـ/٧٩١م).

٨٧: كتاب العين . تح : مهدي المخزومي و أبراهيم السامرائي (ط٢، مؤسسة دار الهجرة : إيران١٤٠٩هـ / ١٩٨٨م).

القاضي النعمان : النعمان بن منصور بن أحمد بن حيون التميمي المغربي. ت (٣٦٣هـ/٩٧٤م).

٨٨: دعائم الإسلام . تح : آصف بن علي أصغر فيضي (٢، دار المعارف: مصر-القاهرة، د.ت).

ابن قتيبة : أبو محمد عبد الله بن مسلم.ت (٢٧٦هـ/٨٨٩م).

٨٩: الإمامة والسياسة – منسوب – تح : طه محمد الزيني (د . ط ، مؤسسة الحلبي : القاهرة – مصر ١٣٨٧هـ / ١٩٦٧م).

٩٠: عيون الأخبار (ط١، دار الكتب المصرية: القاهرة-مصر١٤١٧هـ/١٩٩٦م).

ابن قدامة: شمس الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن أبي عمر المقدسي ت (٦٨٢هـ/١٢٨٣م).

٩١: الشرح الكبير (د.ط، دار الكتاب العربي: بيروت-لبنان، د.ت).

قطب الدين الراوندي: أبو الحسين سعيد بن عبد الله بن الحسين بن هبة الله. ت (٥٧٣هـ/١١٧٧م).

٩٢. الخرائج والجرائح . تح: مؤسسة الإمام المهدي ع (ط١، مؤسسة الأمام المهدي ع : قم- ايران ١٤٠٩هـ:١٩٨٨م).

القلقشندي : أبو العباس أحمد بن علي. ت(٨٢١هـ/١٤١٨م).

٩٣. صبح الأعشى في صناعة الإنشاء . تح : محمد حسين شمس الدين (د . ط ، دار الكتب العلمية : بيروت - لبنان . د . ت).

ابن كثير: أبو الفداء إسماعيل الدمشقي. ت(٧٧٤هـ/١٣٧٢م).

٩٤. البداية والنهاية في التاريخ. تح: علي شيري(ط ١، دار إحياء التراث العربي.بيروت-لبنان١٤٠٨هـ:١٩٨٨م).

الكليني : أبو جعفر محمد بن يعقوب بن اسحاق.(ت٣٢٩هـ/٩٥٠م).

٩٥. الكافي . تصحيح وتعليق : علي أكبر الغفاري (ط ٥ ، دار الكتب الإسلامية: طهران - ايران ١٣٦٣هـ:١٩٤٣م) .

ابن منظور : أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم. ت(٧١١هـ/١٣١١م).

٩٦. لسان العرب . تقديم : أحمد فارس (ط ١ ،أدب الحوزة: قم-ايران١٤٠٥هـ:١٩٨٤م).

ابن هشام : عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري. ت(٢١٨هـ).

٩٧. السيرة النبوية. تحقيق وضبط وتعليق: محمد محي الدين عبد الحميد (د.ط ، مكتبة محمد علي صبيح وأولاده مطبعة المدني: القاهرة-مصر ١٣٨٣هـ:١٩٦٣م).

أبو يعلى الموصلي: أحمد بن علي بن المثنى التميمي. ت(٣٠٧هـ/٩١٩م).

٩٨. مسند أبي يعلى. حققه وخرج أحاديثه: حسين سليم أسد (ط ١، دار المأمون للتراث: دمشق - سوريا د.ت).

الكوفي: محمد بن سليمان. من أعلام القرن(الثالث الهجري).

٩٩. مناقب أمير المؤمنين. تح: محمد باقر المحمودي،ط١. مجمع إحياء الثقافة الإسلامية: قم- إيران١٤١٢هـ:١٩٩١م).

المتقي الهندي: علاء الدين علي بن حسام الدين الهندي البرهان فوري. ت (٩٧٥هـ/١٥٦٧م).

١٠٠. كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال. ضبطه وفسر غريبه وصححه ووضع فهارسه ومفتاحه: بكري حياني وصفوة السقا،ط١. مؤسسة الرسالة:بيروت-لبنان١٤٠٩هـ:١٩٨٩م).

محب الدين الطبري: أحمد بن عبد الله.ت(٦٩٤هـ/١٢٩٤هـ).

١٠١. الرياض النظرة في مناقب العشرة،د.ط، دار الكتب العلمية: بيروت-لبنان،د.ط).

مسلم: أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري.ت(٢٦١هـ/٨٧٤م).

١٠٢. صحيح مسلم،ط١. دار الفكر: بيروت-لبنان، د. ت).

المفيد: محمد بن محمد بن النعمان العكبري البغدادي.ت(٤١٣هـ/١٠٢٢م).

١٠٣. الإرشاد في معرفة الله على العباد. تح: مؤسسة آل البيت،ط٢. دار المفيد:بيروت-لبنان١٤١٤هـ:١٩٩٣م).

١٠٤. كتاب الأمالي، تح: الحسين أستاد ولي وعلي أكبر الغفاري، ط٢، منشورات جماعة المدرسين في الحوزة العلمية: قم- إيران ١٤١٤هـ ١٩٩٣م.

المقريزي: تقي الدين أحمد بن علي بن عبد القادر بن محمد.ت(٨٤٥هـ/١٤٤١م).

١٠٥. إمتاع الأسماع بما للنبي من الأحوال والأموال والحفدة والمتاع.تح: محمد عبد الحميد النميسي،ط١، دار الكتب العلمية: بيروت-لبنان ١٤٢٠هـ:١٩٩٩م).

النسائي : أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي بن بحر.ت (٣٠٣هـ/١٩١٥م).

١٠٦/ السنن (ط١، دار الفكر: بيروت-لبنان ١٣٤٨هـ/١٩٣٠م).

النسفي : ابو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي. ت(٧١٠هـ/١٣١١م).

١٠٧/ مدارك التنزيل وحقائق التأويل (تفسير النسفي). تح : سيد زكريا (د. ط ، د. ن ، د. ت).

النوبختي: ابو محمد الحسن بن موسى. ت(٣١٠هـ/٩٢٣م).

١٠٨/ فرق الشيعة. تحقيق وتصحيح وتعليق وتقديم: عبدالمنعم الحنفي(ط١، دار الرشيد :القاهرة - مصر١٤١٢هـ ١٩٩٢م)

النيسابوري: محمد بن الحسن بن علي الفتال الفارسي. ت(٥٠٨هـ/١١٤٤م) .

١٠٩/ روضة الواعظين وبصيرة المتعظين. تحقيق وتقديم: محمد مهدي السيد حسن الخرسان(د. ط، منشورات الشريف الرضي: قم-ايران، د. ت)

الهيثمي : نور الدين علي بن أبي بكر. ت(٨٠٧هـ/ ١٤٠٤م).

١١٠/ مجمع الزوائد ومنبع الفوائد (ط١، دار الكتب العلمية: بيروت-لبنان ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م).

الواحدي النيسابوري: أبو الحسن علي بن أحمد. ت(٤٦٨هـ/١٠٧٥م).

١١١/ أسباب النزول (ط١، مؤسسة الحلبي وشركاؤه: القاهرة-مصر ١٣٨٨هـ/١٩٦٨م).

الواقدي: أبو عبد الله محمد بن عمر بن واقد. ت(٢٠٧هـ/٨٢٢م).

١١٢/ كتاب المغازي. تح: المستشرق مارسدن جونس (ط٣، عالم الكتب: بيروت-لبنان ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م).

اليعقوبي: أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب بن واضح. ت بعد (٢٩٢هـ/٩٠٤م).

١١٣/ تاريخ اليعقوبي(دار صادر: بيروت-لبنان. د.ت).

ثانياً – المراجع العربية :

بدر : علي .

١١٤/ ماميزون في بغداد : رسائل المستشرق الفرنسي لويس ماسينون إلى الأب أنستاس ماري الكرملي ١٩٠٨-١٩١٩. (ط ١ ، دار الجمل : كولونيا - ألمانيا ١٤٢٦ هـ / ٢٠٠٥ م).

بدوي : عبد الرحمن .

١١٥/ مذاهب الإسلاميين (دار العلم للملايين : بيروت - لبنان ١٤١٨ هـ / ١٩٩٧ م) .

١١٦/ موسوعة المستشرقين(ط ٣. دار العلم للملايين : بيروت – لبنان ١٤١٤ هـ / ١٩٩٣م).

البغدادي : أسماعيل باشا.

١١٧/ هدية العارفين(د.ط. دار إحياء التراث العربي بيروت –لبنان.د.ت).

البغدادي: عبد اللطيف .

١١٨/ فاطمة والمفضلات من النساء(د.ط. مؤسسة تحقيقات ونشرمعارف اهل البيت: أصفهان- ايران. د.ت)

البوطي : محمد سعيد رمضان .

١١٩ / المرأة بين طغيان النظام الغربي ولطائف التشريع الرباني (ط ١ ، دار الفكر المعاصر : بيروت – لبنان) .

بيطار: زينات .

١٢٠/ الاستشراق في الفن الروائي الفرنسي (ط ١ ، عالم المعرفة : سلسلة كتب ثقافية شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب : الكويت ١٤١٣ هـ ، ١٩٩٢ م).

الجابري : صلاح .

١٢١ / الاستشراق قراءة نقدية (ط ١ ، دار الأوائل للنشر والتوزيع ، دمشق – سورية ، ١٤٣٠ ه –٢٠٠٩ م) .

١٢٢/ تفكيك الاستشراق (ط ١ ، المركز العالمي لدراسات الكتاب الأخضر بنغازي – ليبيا ١٤٢٦ هـ / ٢٠٠٥ م).

جعفر: عبد الوهاب .

١٢٣/ النبوة بين العلم والفلسفة عند ميشيل فوكو (د . ط ، دار المعارف: القاهرة-مصر ١٤٠٩هـ:١٩٨٩م).

الجندي : أنور .

١٢٤/ التنير والاستشراق والدعوات الهدامة (ط ١، دار الأنصار للطباعة والنشر : القاهرة – مصر د. ت) .

١٢٥/ سموم الاستشراق والمستشرقين في العلوم الإسلامية (ط ٢، مكتبة التراث الإسلامي، القاهرة- مصر ١٤٠٥ه:١٩٨٥م) .

الحجي: عبد الرحمن .

١٢٦: التاريخ الاندلسي من الفتح الإسلامي حتى سقوط غرناطة (ط ، دار العلم : دمشق – بيروت ، ١٤٠٢ هـ ١٩٨١ م)

الحصين : سلطان بن عمر .

١٢٧/ الاستشراق الفرنسي والسيرة النبوية دراسة نقدية لكتاب تاريخ العرب العام (ط ١ ، مكتبة الملك فهد الوطني : الرياض – السعودية ١٤٢٦ ه ٢٠١٥ م)

حمدان : نذير

١٢٨: مستشرقون سياسيون- جامعيون – مجمعيون (ط ١ ، مكتبة الصديق للنشر والتوزيع : الطائف – السعودية ١٤٠٨ هـ / ١٩٨٨ م) .

الحنفي : عبد المنعم

١٢٩/ موسوعة الفلسفة والفلاسفة جميع المذاهب والأتساق والمدارس المختلفة في الفلسفة وفي نظرياتها في الشرق والغرب. وعند فلاسفة اليهودية والنصرانية والإسلام، فلاسفة العربية، والفلاسفة المعاصرين (ط ٢ ، مكتبة مدبولي القاهرة – مصر ١٤١٩ هـ – ١٩٩٩ م).

الخالدي : مصطفى وعمر فروخ .

١٣٠/ التبشير والاستعمار (ط ١ ، المكتبة العصرية : بيروت – لبنان ١٣٧٢ هـ / ١٩٥٣ م).

الخطيب : عمرو عودة .

١٣١ المعجزات في الثقافة الإسلامية (٣ . مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر بيروت – لبنان ،١٣٩٩ هـ –١٩٧٩ م).

درويش : أحمد

١٣٢/ الاستشراق الفرنسي والأدب العربي (د. ط) ، الهيئة المصرية العامة للكتاب : القاهرة – مصر (١٤١٨هـ – ١٩٩٧ م).

الريضي : ابلي .

١٣٣ لويس ماسينيون (ط ١ ، المركز الثقافي للكتاب. الدار البيضاء – المغرب ، ١٤٤٠هـ،٢٠١٩م).

الربيعي : فاضل

١٣٤/ القدس ليست أورشليم (ط ١ ، دار الفكر للطباعة والنشر : دمشق – سوريا ١٤٣٠هـ ، ٢٠٠٩م).

رستم : سعد

١٣٥/ الفرق والمذاهب الإسلامية منذ البدايات النشأة تاريخ العقيدة التوزيع الجغرافي (ط ١ . الأوائل للنشر والتوزيع : دمشق – سوريا (١٤٢٥هـ – ٢٠٠٤م) .

الرويلي : مدجان وسعد البازي .

١٣٦/ دليل الناقد الأدبي (ط٣، المركز الثقافي العربي : الدار البيضاء – المغرب ١٤٢٣ هـ – ٢٠٠٢ م).

الزركلي : خير الدين .

١٣٧/ الأعلام : قاموس – تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين (ط ٥ ، دار العلم للملايين : بيروت ـ لبنان ١٤٠٠ هـ / ١٩٨٠ م).

زيدان : أنور .

١٣٨/ زيادة جديدة للاستشراق مع دراسات سردية الاستشراق المنصف للرسول محمد (ﷺ) (ط ١ مكتبة الانجلو مصرية : مصر – القاهرة ١٤٢٧هـ / ٢٠٠٦ م).

الزيات : أحمد حسن .

/ تاريخ الأدب العربي (ط ٢ . دار نهضة مصر : لقاهرة – مصر د . ت).

الزيادي : محمد فتح الله .

١٣٩/ ظاهرة انتشار الإسلام وموقف بعض المستشرقين منها (ط ١ ، المنشأة العامة للنشر : طرابلس – ليبيا ١٣٩٢ هـ . ١٩٨٣ م).

سامي: سالم الحاج.

١٤٠/ نقد الخطاب الاستشراقي -القاهرة الاستشراقية وأثرها في الدراسات الإسلامية (ط ١ ، دار المدار الإسلامي : بيروت -لبنان ١٤٢٣ هـ / ٢٠٠٢ م).

بن سالم :حميش .

١٤١ / العرب والإسلام في مرايا الاستشراق (ط ١، دار الشروق للطباعة والنشر: القاهرة – مصر١٤٣٢ه - ٢٠١١ م).

أبو السعود : عطيات .

١٤٢- فلسفة التاريخ عند فيكو (ط ، مؤسسة حنداوي للطباعة والنشر : القاهرة – مصري ، ١٤٤٢ه – ٢٠٢١م).

سعيد : ادوارد .

١٤٣/ العالم والنص والناقد (د ، ط . اتحاد الكتاب العرب . دمشق – سوريا ، ١٤٢٠هـ / ٢٠٠٠م) .

سعيدوني : ناصر الدين .

١٤٤ / المسألة الثقافية في الجزائر النخب- الهوية- اللغة ، دراسة تاريخيه نقدية (ط١،المركز العربي للابحاث ودراسة السياسات: بيروت- لبنان١٤٤٢هـ ٢٠٢١م).

السعيدي : سمير .

١٤٥ / الحسين بن منصور الحلاج حياته -شعره - ثره -سيرة التصوف -المصطلحات الصوفية- محاكمة الحلاج (د. ط . علاء الدين للنشر والطباعة : دمشق _ سوريا١٤٣٩هـ/٢٠١٨م).

السكران : ابراهيم عمر.

١٤٦ -التأويل الحداثي للتراث التقنيات والاستمرارات (ط ١ ، دار الحضارة للنشر و التوزيع: الرياض – السعودية ١٤٤٣هـ / ٢٠١٤ م).

سما بلوقشي : احمد .

١٤٧. فلسفة الاستشراق وأثرها في الأدب العربي المعاصر (ط ، دار الفكر العربي : مصر – القاهرة ، ١٤١٨هـ – ١٩٩٨ م) .

الشرقاوي : محمد عبدالله

١٤٨/ المستشرقون ونشأة التصوف الإسلامي (ط١ ، دار البشير للثقافة والعلوم : عمان – الأردن (١٤٣٨ هـ – ٢٠١٦) .

الطباطبائي: محمد حسين

١٤٩/ تفسير الميزان. منشورات جماعة المدرسين في الحوزة العلمية: قم– إيران. د.ت

الطهطاوي : رفاعة رافع .

١٤٩ تخليص الإبريز في تلخيص دخله باريز (د . ط ، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافه : القاهرة – مصر ١٤٣٣هـ – ٢٠١٢ م) .

الطيب بن ابراهيم .

١٥٠/ قراءة مختصرة لتاريخ الاستشراق الفرنسي وتعدد مهامه خاصه في الجزائر (ط ١ ، دار المنابع للطباعة والنشر ١٤٢٥ ه / ٢٠٠٤ م) .

عبد الباقر: طه .

١٥١. الحسين بن منصور الحلاج شهيد التصوف الإسلامي(د. ط، مؤسسة هنداوي: القاهرة-مصر ١٤٣٥ه-٢٠١٤م).

عبد الرزاق : محمود .

١٥٢ قراءة النص الإسلامي في المدرسة الفرنسية الاستشراقية ، ماسينون انموذجاً ، رسالة ماجستير منشورة قدمت الى مجلس كلية الآداب جامعة بنغازي ليبيا ، (٢٠١٢ هـ ـ ٢٠١٣ م).

عبد الفتاح : سعيد .

١٥٣/ السدنيه الإسلامية واثرها في الحضارة الاوربيه (ط ١، دار النهضة العربية، القاهرة-مصر ١٣٨٢ه:١٩٦٣م).

العقيقي : نجيب .

١٥٤/ المستشرقون (ط ٤، دار المعارف : القاهرة – مصر ١٣٨٤ هـ / ١٩٦٤ م).

علي : حنان واخرون .

١٥٥/ قضايا ودراسات في الشأن السياسي لدول المغرب العربي (المغرب – الجزائر – تونس – ليبيا – موريتانيا) (ط ١ . الاكاديميون للنشر والتوزيع : عمان – الاردن ١٤٣٦هـ / ٢٠١٥ م).

عودة : علي .

١٥٦/ علم النفس التجريبي (ط ١، مكتبه الغدان – نشر توزيع : بغداد – العراق ، ١٤٣٢هـ / ٢٠١١ م) .

الغنيمي عبد الفتاح .

١٥٧/ معركة بلاط الشهداء في التاريخ الاسلامي والاوربي (ط ١ عالم الكتب للطباعة والنشر : مصر – القاهرة ، ١٤١٦ه – ١٩٩٤ م) .

كرم : يوسف .

١٥٨/ تاريخ الفلسفة الحديثة (ط ٥، دار المعارف : القاهرة – مصر ١٤٠٧ هـ / ١٩٨٦ م).

كريم : شهيد .

١٥٩/ صورة اصحاب الكساء بين تحيي النص واستباحة الخطاب الاستشراقي هنري لامنس انموذجاً دراسه تحليليه نقدية (ط ١ ،العتبة العباسية دار الكفيل للطباعة والنشر : كربلاء-العراق١٤٣٧هـ:٢٠١٥م).

مراد : يحيى .

١٦٠/ معجم اسماء المستشرقين (ط ١ ، دار الكتب العلمية : بيروت – لبنان ١٤٢٥ هـ / ٢٠٠٤ م).

١٦١/ أجنحة المكر الثلاثة وخوافيها : التبشير ـ الاستشراق ـ الاستعمار (ط ٨ ، دار القلم : دمشق – سوريا ١٤٢٠ هـ / ٢٠٠٠ م).

المزروع : وفاء عبد الله سليمان .

١٦٢ جهاد المسلمين خلف جبال البرتات من القرن الأول الهجري إلى القرن الخامس الهجري (ط ١ ، دار القاهرة للطباعة والنشر : القاهرة ـ مصر ١٤٢٤ هـ / ٢٠٠٣ م) .

المقداد : محمود .

١٦٣ تاريخ الدراسات العربية في فرنسا (ط ١ ـ عالم المعرفة : الكويت ١٤١٢ هـ ، ١٩٩٢ م).

المقدادي : فؤاد كاظم .

١٦٤ الإسلام وشبهات المستشرقين (ط ١ ـ المجمع العالمي لأهل البيت عليهم السلام قم ـ إيران ١٤١٦ هـ / ١٩٩٥م) .

الميداني : عبد الرحمن حسن حبنكة .

١٦٥/ أجنحة المكر الثلاثة وخوافيها : التبشير ـ الاستشراق ـ الاستعمار (ط ٨ ، دار القلم : دمشق – سوريا ١٤٢٠ هـ / ٢٠٠٠ م).

نجدي : نديم.

١٦٦ أثر الاستشراق في الفكر العربي المعاصر عند أورزد سعيد ، حسين حنفي ، عبد الله العروي (ط١ ، دار الفارابي بيروت – لبنان ١٤٣٦ هـ / ٢٠١٥ م) .

النشار: علي سامي .

١٦٧/نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام (ط٨، دار المعارف: القاهرة- مصر، د.ت).

نصري : أحمد .

١٦٨/ آراء المستشرقين الفرنسيين في القرآن الكريم (ط ١ ،دار القلم :الرباط – المغرب ١٤٣١ هـ / ٢٠٠٩ م).

النملة : علي إبراهيم الحمد .

١٦٩/ المستشرقون والتفسير دراسة للعلاقة بين ظاهرتين مع نماذج من المستشرقين المعاصرين (ط ١ ، مكتبة التوبة : الرياض – السعودية ١٤١٨ هـ ، ١٩٩٨ م) .

النوري : ميرزا حسين .

١٧٠/ نفس الرحمن في فضائل سلمان. تح : جواد القيومي (ط١، مؤسسة الآفاق: القاهرة- مصر ١٤١١هـ ١٣٦٩م)

الوهيبي : عبد الله

١٧١/ حول الاستشراق الجديد مقدمات أولية (ط ١ ، مكتبة الملك فهد الوطنية : الرياض – السعودية (١٤٣٥هـ / ٢٠١٤ م) .

ثالثاً – الكتب المعربة

اركون : محمد .

١٧٢ نحو تاريخ مقارن للأديان التوحيدية ، ترجمة وتقديم هاشم صالح (ط ١ ، دار الساقي ، بيروت – لبنان ١٤٣٢ هـ / ٢٠١١ م).

ارنا لديز : روجي.

١٧٣ ثلاثة رسل لإله واحد . ترجمة محمدي رشيد (د . ط ، مكتب المهتدين الإسلامية : الدار البيضاء – المغرب ، (١٤٣٣ هـ – ٢٠١٢ م) .

أوليري: دي لاسي .

١٧٤ الفكر العربي ومركزه في التاريخ. ترجمة: اسماعيل البطار(د. ط ، دار الكتاب اللبناني: بيروت-لبنان١٤٠٢هـ:١٩٨٢م).

ايلبري : هيلين .

١٧٥ الجانب المظلم في التاريخ المسيحي ، ترجمة وتقديم ، سهيل زكار (ط ١ ، دار قتيبة : دمشق – سوريا ١٤٢٦ هـ – ٢٠٠٥م) .

ابنهارد .

١٧٦ سيرة شارلمان ، ترجمة عادل زيتون(ط ١ ، دار حسان للطباعة والنشر :دمشق – سوريا ١٤١٠هـ – ١٩٨٩ م).

بارت : رودي .

١٧٧/ الدراسات العربية والإسلامية في الجامعات الألمانية : المستشرقون الألمان منذ تيودور نولدكه . ترجمة : مصطفى ماهر (ط ١ ، دار الكتاب العربي : القاهرة – مصر ١٣٩٧ هـ / ١٩٧٦ م) .

برهييه: أميل.

١٧٨/ تاريخ الفلسفه.ترجمة: جورج طرابيشي(ط ١.دار الطليعة للطباعة والنشر:بيروت-لبنان ١٤-٣هـ:١٩٨٣م).

توتل : فردينان .

١٧٩/ الأب هنري لامنس . مقال في مجلة المشرق الكاثوليكية : بيروت – لبنان (السنة ٣٥ ، العدد ١٩ / نيسان – حزيران ١٩٣٧ م).

ج . وينلر .

١٨٠ الهرطقة في المسيحية : تاريخ البدع والفرق الدينية المسيحية . ترجمة : حسان حالم (ط٢، دار التنوير : بيروت - لبنان ١٤٣٢ هـ / ٢٠١٠ م).

جوراقسكي : أليسكي .

١٨١/ الإسلام والمسيحية . ترجمة : محمد خلف الجراد . مراجعة : محمود حمدي زقزوق (ط ١ ، عالم المعرفة : الكويت ١٤١٧ هـ / ١٩٩٦ م).

جوردا : بيير .

١٨٢/ الرحلة إلى الشرق : رحلة الأدباء الفرنسيين إلى البلاد الإسلامية في القرن التاسع عشر . ترجمة وتقديم : مي عبد الكريم وعلي بدر (ط ١، دار الأهالي : دمشق - سوريا ١٤٢١ هـ / ٢٠٠٠م).

جيتو: رينيه (الشيخ عبد الواحد يحيى).

١٨٣: مراتب الوجود المتعددة. ترجمة وتعليق: عبد الباقي مفتاح. تقديم: عبد الإله بن عرفة. ط١. عالم الكتب الحديث: إربد- الأردن ٢٠١٦م.

در منغم : إيميل .

١٨٤ حياة محمد . ترجمة : عادل زعيتر (ط ٢ . المؤسسة العربية للدراسات والنشر : بيروت - لبنان ١٤٠٩ هـ / ١٩٨٨ م).

دوزي : رينهرت .

١٨٥ المسلمون في الأندلس . ترجمة وتقديم وتعليق: حسن حبشي (١ ، الهيئة المصرية العامة للكتاب : القاهرة - مصر ١٤١٥ هـ / ١٩٩٤ م).

ديكارت : رينيه .

١٨٦ مقال عن المنهج . ترجمة : محمود محمد الخضري ، مراجعة : محمد مصطفى حلمي (ط ٣، الهيئة العامة المصرية للكتاب : القاهرة – مصر ١٤٠٦ هـ / ١٩٨٥ م).

رودنسون : مكسيم .

١٨٧/ جاذبية الإسلام . ترجمة : إلياس مرقص (ط ٢، دار التنوير : بيروت – لبنان ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م).

١٨٨/ الصورة العربية والدراسات العربية الإسلامية ضمن كتاب (تراث الإسلام . تصنيف : جوزيف شاخت و كليفورد بوزورث . ترجمة : محمد زهير السمهوري وآخرون ، عالم المعرفة : الكويت ١٤٠٦ هـ / ١٩٨٥ م).

ريشار : يان .

١٨٩/ الإسلام الشيعي عقائد وايديولوجيات . ترجمة : حافظ الجمالي (ط ١، دار عطيه : بيروت – لبنان ١٤١٧ هـ – ١٩٩٦ م).

سعيد : إدوارد .

١٩٠/ الاستشراق : المفاهيم الغربية للشرق . ترجمة : محمد عناني (ط ٢، دار رؤية : القاهرة – مصر ١٤٢٧ هـ - ٢٠٠٦ م).

١٩١/ تعقيبات على الاستشراق . ترجمة : صبحي حديدي (ط ١، المؤسسة العربية للدراسات والنشر : بيروت – لبنان ١٤١٧ هـ / ١٩٩٦ م).

١٩٢العالم والنص والناقد . ترجمة :عبد الكريم محفوظ(د. ط ، اتحاد الكتاب العرب: دمشق- سوريا١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م).

سوذرن : ريتشارد .

١٩٣/ صورة الإسلام في أوروبا في العصور الوسطى . ترجمة وتقديم : رضوان السيد (ط ١ ، دار الغدار الإسلامي : بيروت –لبنان ١٤٢٧ هـ / ٢٠٠٦ م).

سوردیل : دومنیك .

١٩٢/ الإسلام في القرون الوسطى . ترجمة : علي المقلد (ط ١ ، دار التنوير : بيروت –لبنان ١٤٢٨ هـ / ٢٠٠٧م).

شاخت : ريتشارد .

١٩٣/ رواد الفلسفة الحديثة. ترجمة: احمد حمدي محمود (ط ، الهيئة المصرية العامة للكتاب : مصر – القاهرة ١٤١٤ هـ / م١٩٩٢).

الصلبي: كمال.

١٩٤. التوراة جاءت من جزيرة العرب، ترجمة: عفيف الرزاز(ط٦، مؤسسة الأبحاث العربية: بيروت– لبنان ١٩٩٧م).

طه حسين : سوزان

١٩٥ معك ،ترجمه : نور الدين عروكي لم (ط ١ ، مؤسسه هنداوي للتعليم والثقافة : القاهرة – مصر ١٤٣٧هـ : ٢٠١٥ م).

فوك : يوهان .

١٩٦ تاريخ حركة الاستشراق : الدراسات العربية والإسلامية في أوروبا حتى نهايات القرن العشرين . ترجمه : عمر لطفي العالم (ط ٢ ، دار الغدار الإسلامي : بيروت –لبنان ١٤٢٢ هـ / ٢٠٠١ م).

لامارتين : ألفونسو دي .

١٩٧ مختارات من كتاب رحلة إلى الشرق . ترجمة : جمال شحيد ودارين نوفل ، مراجعة : علي عقلة وإلهام كلاب (ط ١ . مؤسسة جائزة عبد العزيز سعود البابطين للإبداع الشعري : الكويت ١٤٢٧ هـ ٢٠٠٦ م).

لكلرك : جيرار .

١٩٨ الانثروبولوجيا والاستعمار ترجمة جورج كتوره (ط ٢ ، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر ، بيروت – لبنان ١٤١١ه – ١٩٩٠ م).

لورانس : توماس إدوارد .

١٩٩ أعمدة الحكمة السبعة . ترجمة : محمد نجار (ط ١ ، دار الأهلية : عمان – الأردن ١٤١٩ هـ / ١٩٩٨ م).

لوكمان : زكاري .

٢٠٠ تاريخ الاستشراق وميادينه : الصراع على تفسير الشرق الأوسط . ترجمة : شريف يونس (ط ١ ، دار الشروق : القاهرة – مصر ١٤٢٨هـ ٢٠٠٧م)

لي شاتليه .

٢٠١ الغارة على العالم الإسلامي ترجمة : مساعد اليافي ، محب الدين الخطيب (ط ١ : منشورات العصر الحديث : مصر – القاهرة ١٣٥٠هـ – ١٩٣١ م).

ماسينيون : لويس .

٢٠٢/ آلام الحلاج . ترجمه : الحسين حلاج (ط ١ ، شركة قدمس : بيروت – لبنان ١٤٢٥ هـ ٢٠٠٤م) .

٢٠٣/ المباهلة بين النبي ونصارى نجران في سنة ١٠ هـ بالمدينة . ترجمة : عبد الرحمن بدوي . بحث نشر ضمن كتاب شخصيات قلقة في الإسلام.

مانهايم : كارل .

٢٠٤/ الأيديولوجيا واليوتوبيا : مقدمة في سوسيولوجيا المعرفة . ترجمة : محمد وجاء الديربي (ط ١ ، شركة المكتبات الكويتية : الكويت ١٤٠١هـ / ١٩٨١م).

موربون – جان .

٢٠٥/ لويس ماسينيون . ترجمة منى النجار(ط١ ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر : بيروت – لبنان ١٤٠١ هـ ١٩٨١م).

ميتنيه : ادوارد.

٢٠٦/ لويس ماسينيون . رهانات قراءة نقدية جديدة لأعمالة الفكرية الروحية (ط١ ، المجلس الأعلى للثقافة : القاهرة – مصر ١٤٢٤هـ ٢٠٠٣م).

نولدكة:تيودور.

٢٠٧/ تاريخ القرآن. ترجمة وقراءة نقدية: رضا محمد الدقيقي(ط٢. وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية: قطر١٤٣٢هـ:٢٠١١م)

هاراب: جورج .

٢٠٨/ السوحز في تاريخ الكشف الحغرافي. ترجمه :عبد العزيز طريح شرف. (د.ط.مؤسسة الثقافة الجامعية: الاسكندريه – مصر١٤١٣ه:١٩٩٢م).

هوكس : ديفيد .

٢٠٩/ الأيدولوجية.ترجمة إبراهيم فتحي (ط المشروع القومي للترجمة : القاهرة –مصر، ١٤٢٠هـ – ٢٠٠٠م).

هونكه : زغريد .

٢١٠/ شمس الله تسطع على الغرب : اثر الحضارة العربيه في أوروبا . ترجمة : فاروق بيضون وكمال دسوقي ، راجعه ووضع حواشيه : مارون – عيسى الخوري (ط ٨، دار الجيل ودار الآفاق الجديدة : بيروت ـ لبنان ١٤١٣ هـ . ١٩٩٣ م).

وات : مونتغمري .

٢١١/ فضل الإسلام على الحضارة الغربية . ترجمة : حسين أحمد أمين (ط ١ ـ مكتبة مدبولي : القاهرة – مصر ١٤٠٣ هـ / ١٩٨٣ م).

٢١٢/ محمد في مكة . ترجمة : عبد الرحمن الشيخ وحسين عيسى (ط ١ ، الهيئة المصرية العامة للكتاب : القاهرة – مصر ١٤٢٣ هـ / ٢٠٠٢ م).

ول ديورانت .

٢١٣/ قصة الفلسفه من افلاطون الى جون ديوي حياة وآراء اعاظم رجال الفلسفه في العالم. ترجمة:فتح الله المشعشع (ط٦، مكتبه المعارف :بيروت-لبنان ١٤٠٨هـ ١٩٨٨م) .

يونغ.

٢١٥/ علم النفس التحليلي ترجمة: نهاد خياطه (ط١ ، دار الحوار للنشر والتوزيع : اللاذقية – سوريا ١٤١٧هـ / ١٩٩٧م) .

رابعاً – البحوث والمقالات :

الأصفر : عبدالرزاق .

٢١٦/ ماسينيون ما له وما عليه (بحث منشور في مجلة التراث العربي ، المجلد٢١ ، العدد٨٣-٨٤ لعام١٤٢٢هـ:٢٠٠١م) .

انجليه : فرانسو.

٢١٧/ الألم والبدلية والتدبير: المصادر الأدبية لفكر لويس ماسينيون : بحث منشور ضمن كتاب في قلب الشرق ، (ط١ ، المجلس الأعلى للثقافة : القاهرة – مصر ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م).

بو جناح : دليلة .

٢١٨/ الاستشراق والاختراق الثقافي العالم الإسلامي خلال القرن ١٩م. بحث منشور في مجلة حوليات التاريخ والجغرافية الصادرة عن: مخبر التاريخ والحضارة الجغرافية بالمدرسة العليا للأساتذة (العدد ١٢ ١٤٢٨هـ بوزيعة – الجزائر ٢٠١٧ م).

بو عافية: ليندا .

٢١٩/ التجربة الصوفية في الأديان وأشكالات التأثر و التأثير(بحث منشور في مجلة الحكمة للدراسات الأستشراقية. المجلد٧. العدد١.لعام١٤٤٠هـ:٢٠١٩م).

نابليت : علي .

٢٢٠/لويس حياته واعماله(مقال منشور في مجلة اللغة و الأدب .العدد٩. لعام١٤١٧هـ:١٩٩٦م).

جوهري : مارية .

٢٢١/ الاستشراق الفرنسي والإرث الثقافي الكولونيالي : بحث منشور في مجلة دراسات استشراقية الصادرة عن: المركز الإسلامي للدراسات الاستراتيجية ، كربلاء – العراق (العدد ٣٦ ، ١٤٤١هـ / ٢٠٢٠م)

حاتم : جاد

٢٢٢ / الأساس الفلسفي والمسيحي للبدليه عند ماسينون ، بحث منشور ضمن كتاب في قلب الشرق (ط١ ، المجلس الأعلى للثقافة : القاهرة – مصر ١٤٢٤هـ٢٠٠٣ م) .

حسين : سلمى

٢٢٣/ التطور التاريخي للاستشراق الفرنسي حتى القرن العشرين بحث منشور ، في مجله جامعة الكوفه : كلية الاداب

حيدر : محمود .

٢٢٤/ استشراق مستحدث الإسلاموغوب بسا هي أطروحة أيدولوجية ما بعد حداثية بحث منشور في مجله دراسات استشراقية الصادرة عن: المركز الإسلامي لدراسات الاستراتيجية. كربلاء- العراق(المجلد٢، العدد٣، ١٤٣٦ه:٢٠١٥م).

زهر الدين : صالح .

٢٢٥ العسكرة الاستشراقية وتحكماتها السلوكية على العرب والمسلمين، بحث منشور في مجلة دراسات استشراقية الصادرة عن :المركز الإسلامي لدراسات الاستراتيجية بالعراق(مج٥ ،عدد ١٩ ، ١٤٤٠هـ – ٢٠١٩ م).

سبح : حسني .

٢٢٦/ خواطر وموانح وعبر في إحياء ذكرى مستشرق ، بحث منشور في مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق(مج٥٩، العدد٣، ١٤٠٤ه:١٩٨٤م).

الشاهد : محمد .

٢٢٧/ الاستشراق ومنهجيه النقد عن المسلمين المعاصرين . مقال في مجلة الاجتهاد الصادرة عن : دار الاجتهاد : بيروت . لبنان (عدد ٢٢ ، السنة السادسة : ١٤١٤ هـ / ١٩٩٤ م).

الشرقاوي : عفت .

٢٢٨/ لويس ماسينيون والعولمة الروحية، بحث منشور في حوليات آداب عين الشمس الصادرة من كلية الاداب جامعة عين شمس (العدد ٣٤، ١٤٢٧ه – ٢٠٠٦م) .

بن صحراوي : كمال .

٢٢٩/ حركة التنصير في الجنوب الجزائري جيود شارل دو فوكو أنموذج(بحث منشور في مجلة العبر للدراسات التاريخية والأثرية– الجزائر. المجلد ٣. العدد ١. لعام١٤٤١هـ:٢٠٢٠م).

الصغير: محمد

٢٣٠/ اخلاقيات الضيافه وحوار الأديان عند لويس ماسينيون ، بحث منشور ضمن كتاب لا في قلب الشرق . (ط١ ، المجلس الأعلى للثقافه : القاهرة – مصر ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٣م) .

عامر : اديب .

٢٣١/ ماسينيون المستشرق الإنسان للبحث في مجلة الإنماء العربي للعلوم الانسانيه الصادرة عن : معهد الانماء العربي – بيروت (العدد 32 : السنة الخامسه ١٤٠٢ ه / ١٩٨٢م).

عبد الحميد : ماجد .

٢٣٢/ لويس ماسينيون في دراسات ادوارد سعيد والمستشرقين المعاصرين(بحث منشور في مجلة آداب البصرة .المجلد٩٦. العدد١ لعام ١٤٤٢هـ:٢٠٢١م).

عطية: أحمد عبد الحليم

٢٣٣/ العمري والسياسي صورة ماسينيون في الفكر العربي المعاصر. بحث منشور في مجلة دراسات استشراقيه الصادرة عن : المركز الاسلامي لدراسات الاستراتيجية كربلاء – العراق (العدد ٣٢ ، ١٤٤٢هـ – ٢٠٢١م).

كرادي: محمد.

٢٣٤/صورة المغرب في مرآة الرحلة الكولونيالية- شارل دو فوكو أنموذجا(بحث منشور في مجلة مدارات تاريخية ، المجلد الأول، لعام١٤٤٠هـ:٢٠١٩م).

الكبلاتي: فخري .

٢٣٥ بمناسبة مرور مائة عام على ولادة المستشرق العالم لويس ماسينيون ، بحث منشور في مجلة الموقف الأدبي الصادرة عن اتحاد الكتاب العرب في سوريا (العدد ١٥٥، ١٤٠٤ه -١٩٨٤م).

ليفونيه : فرانس.

٢٣٦ الجغرافية الروحية لتويس ماسينيون ، بحث منشور ضمن كتاب في قلب الشرق (ط١ ، المجلس الأعلى للثقافة : القاهرة – مصر ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٣ م).

ماسينيون: لويس

٢٣٧ الإنسان الكامل في الإسلام وتحولاته النشورية . ترجمه : عبد الرحمن بدوي . بحث نشر ضمن كتاب : الإنسان الكامل في الإسلام . وهو مجموعة دراسات ونصوص غير منشورة ألف بينها وترجمها وحققها عبد الرحمن بدوي (ط ٢ ، وكالة المطبوعات : الكويت ١٣٩٧ هـ / ١٩٧٦ م).

٢٣٨/ سلمان الفارسي والمواكير الروحية للإسلام في إيران . ترجمة : عبد الرحمن بدوي . بحث نشر ضمن كتاب : شخصيات قلقة في الإسلام . وهو مجموعة بحوث ألف بينها وترجمها عبد الرحمن بدوي (ط ٢ ، دار النهضة العربية : القاهرة – مصر ١٣٨٤ هـ / ١٩٦٤ م).

المعيوف : لطيفه .

٢٣٩/ دراسة وترجمة مقال التصوف والحنابلة عند ماسينيون لجورج مقدسي ، بحث منشور في مجلة الشريعة والدراسات الاسلامية – الصادرة عن جامعة الكويت – مجلس النشر العلمي (مج ٣٣ ، عدد ١١٣ ، ١٤٣٩ه – ٢٠١٨م).

النصر الله: جواد .

٢٤٠/ هيأة كتابة التاريخ. بحث منشور في مجلة رسالة الرافدين الصادرة عن : المركز الوطني للدراسات الاجتماعية والتاريخية البصرة–العراق(العدد٨، ١٤٢٩ه:٢٠٠٨م).

النصر الله وكريم : جواد وشهيد.

٢٤١/ الاستشراق الفرنسي والبحث اليسوعية لقاء الاستشراق والتبشير، مجلد دراسات استشراقية الصادرة عن : المركز الإسلامي للدراسات الاستراتيجية كربلاء – العراق (العدد٤، ١٤٣٦هـ:٢٠١٥م).

يحياوي : مسعودة .

٢٤٢/ جوانب من حياة لويس ماسينيون ١٨٨٣-١٩٦٢، بحث منشور في مجلة المؤرخ المصري الصادرة عن :اتحاد المؤرخين العرب بالقاهرة (العدد١٤٢٩_٣٣ه:٢٠٠٨م).

بن يوسف : رياض .

٢٤٣/ التأويل المسيحي للإسلام. لويس ماسينيون عينة. بحث منشور في مجلة منتدى الأستاذ الصادرة عن : المدرسة العليا للأساتذة : قسنطينة – الجزائر (العدد ٢، السنة ١٤٣٩ه:٢٠١٨م).

خامساً – الرسائل والأطاريح الجامعية :

الساعدي: إيمان حسن مجيسر

٢٤٣ الحياة الاقتصاديه والمعيشية للرسول الأعظم محمد (صلى الله عليه وسلم) : دراسة تحليلية نقدية ، اطروحة دكتوراه غير منشورة قدمت إلى مجلس كليه التربية للعلوم الإنسانية ، جامعة البصرة ، البصرة ، ٢٠١٥م.

سليمان: سربي

٢٤٤ موارد اراء المستشرق لويس ماسينون من كتب الشيعه وتفنيدها دراسه وصفيه تحليليه نقديه ، رسالة ماجستير غير منشورة قدمت الى مجلس كليه الدعوة واصول الدين، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة (١٤٣٦هـ - ٢٠١٥ م).

سويسي: المحسن بن علي بن صالح

٢٤٥/ مؤتمرات المستشرقين العالمية : نشأتها – تكوينها – أهدافها (أطروحة دكتوراه غير منشورة ، قدمت إلى مجلس كليه الدعوة بالمدينة المنورة، جامعة الأمام محمد بن سعود الإسلامية ، للعام ١٤١٩هـ ١٩٩٨م) .

العواد : انتصار عدنان

٢٤٦/ السيدة فاطمة الزهراء (ع) دراسة تاريخية ، رسالة ماجستير غير منشوره ، قدمت الى مجلس كلية الآداب جامعة البصرة ، ١٤٢٨ هـ / ٢٠٠٧م) .

نور : نصير احمد .

٢٤٩ شركة الهند الشرقية الانجليزية منذ تأسيسها حتى سقوط دولة المغول الاسلامية في الهند(اطروحة دكتوراه غير منشورة قدمت الى مجلس كلية الشريعة والدراسات الاسلامية، جامعة ام القرى المملكة العربية السعودية ١٤١١هـ ١٩٩١م) .

سادساً – الكتب الأجنبية :

Antoine: Duclercq.

250*/ Les Métamorphoses de Soi,Paris,2013.*

Aydin: Mahmut .

251/ *Modern Western Christian theological understandings of Muslims since the Second Vatican Council ,University of Birmingham , 1998 .*

Borrmans:Maurice .

252/ *Prophètes du dialogue islamo- chrétien: Louis Massignon, Jean-Mohammed Abd- el-Jalil, Louis Gardet, Georges C.Anawati , Éditions du Cerf , 2009 .*

Bourgin: Georges .

253/ Guibert de Nogent. Histoire de sa vie (1053-1124) Publisher Paris , Publication date 1907.

Brenna Moore, Kindred Spiritss .

254*/ Friendship and Resistance at the Edges of Modern Catholicism ,University of Chicago Press Chicago and London, 2021.*

CHristian w. troll *, s.j., and c. t .r. hewer.*

255*/ christian lives given to the study of islam,fordham university press , new york 2012.*

Christian :Jambet .

256*/ Parfrancois Angeler, Fransois L'yvoneet Souad Ayada , Louis Massignon Écrits Memorables , Paris, 2009 .*

257*/ Dossiers Des lettres NouvrllS 30, rue de l'Université, Paris , 1962 .*

Kervell: Jacques.

258*/ Louis Massignon au cœur de notre temps, paris,1999.*

259 *Louis Massignon l'amour mystique ou l'extase dans l'abandon ، evue Annales du Patrimoine patrimoine , N 8،2008 .*

Krokus :Christian S .

260/ *The Theology of Louis Massignon: Islam , Christ, and the Church , Catholic University of America Press , Washington , D.C. 2017.*

Laude: Patrick .

261*/ Louis Massignon intérieur, Paris , 2000 .*

262*/ Pathways To AninnerIslam Massignon, Corbin, Guénon, and Schuon, Staye University Of New York, Press, 2009.*

263*/ Louis Massignon The Vow and the Oath , The Matheson trust For the Study of Comparative Religion , London , 2011.*

Mason : Herbert .

264/ *Memoir of a friend , Louis Massignon , University Of Notre Dame press , Indiana , 1988.*

Nasr : Hossein .

265*/Traditional Islam in the Modern World , London,1987 .*

Parole donnée Introduction de Vincent Monteil .

Pieere Rocalve .

266/ *Louis Massignon Et L'Islam , Institut Français De Damas ,1993.*

Quinn : Frederick .

267/ *The Sum of All Heresies The Image of Islam in Western Thought , Oxford .Univirsty press , 2008*

S. Baring-Gould .

268*/ The lives of the saints, Vol. The Fifth, London, 1897 .*

Y. Moubarac .

269*/ Oeuvre de Louis Massignon, Library of France Islamo, Beyrouth, Liban, 1986 .*

270*/ Recherches Et Documents Louis Massignon Opera Minora, du Centre d'Etudes Dar El-Salam, Beirut , 1993 .*

سابعاً – البحوث الأجنبية

Armajani: Jon .

271*/ Review of The Theology of Louis Massignon : Islam , Christ , and the Church , The Journal of Social Encounters , Vol. 5 Issue2, 2021.*

Belabes :Abderrazak .

272/ *The writings of muhammad hamidullah in French trends and novelties Islamicus , Islamic Economics Institute , King Hamdard Islamicus , 67, Vol.XL, No.4 , Abdulaziz University , Jeddah, Saudi Arabia .*

Christian S. Krokus .

273*/ Louis Massignon's influence on the teaching of Vatican II on Muslims and Islam , Islam and Christian–Muslim Relations Vol. 23, No. 3, July 2012.*

Jacque:S keryell .

274/ l'amour mystique ou l'extase dans l'abandon Louis Massignon Résumé, Revue Annales du patrimoine, Toulouse, France ,N° 8, 2008.

Keryell: Jacques .

275*/ Louis Massignon, L'hospitalité sacrée, Textes inédits présentés parHorizons Maghrébins - Le droit à la mémoire , Année 1989*, 14 -15.

Laude: Patrick .

276/ *The Orient Without Orientalism The WeI International Academic* ***.*** *Conference Proceedings , Bali , Indonesia ,2014.*

Lorenzo: Perrone .

277/ *Abraham, Perede Tous les Croyants Louis Massignon Et L'Œcumenisme de La Priere , Proshe-Orient Chretien, 60, 2010 .*

Maurice Borrmans *.*

278/ *Massignon, Jésus et Marie, Hallâj et Fâtim, Islamochristiana , UNiversity Platform for research on Islam, vol. 36 , 2010 .*

O'Mahony: Anthony *.*

279*/ The Life and Thought of Louis Massignon (1883–1962): Comparative A Journal of Eastern Christian , Political and Theological Perspectives Studies , Vol. 55, Nos. 3-4, (2014).*

Ollivry :Florence

280/ *Louis Massignon et la mystique musulmane Analysehistoriogr aphique ,méthodologiqueetréflexived'une contribution à l'islam, Thesede Doctorat, l'Université de Montréal et de l'Université de recherche, Paris Sciences et Lettres – École Pratique des Hautes, 2009.*

281*/ La place de la subjectivité dans l'étude de la mystique musulmane Réflexion procédant de l'analyse de l'œuvre de Louis Massignon, Théologiques , Volume 28, Number 2, 2020.*

Petito: Fabio .

282/ *Diverging Agreement Civilizational Dialogue and Orientalism : or on the between Edward Said and Louis Massignon,Millennium Conference International Relations University "International Relations in Dialogue of ،Sussex, 16-17 October, 2010 .*

Scott M. Thomas.

283/ *A Trajectory Toward the Periphery: Francis of Assisi, Louis Massignon, Pope Francis, and Muslim–Christian Relations , Review of Faith and International Affairs, vol. 16, no. 1. 2018 .*

M. Thomas : Scott .

284/*A Trajectory Toward the Periphery: Francis of Assisi , Louis Massignon, Pope Francis , and Muslim – Christian Relations The Review of Faith & International Affairs , Vol. 16, 2018 – Issue*

ثامناً – المواقع على شبكة الانترنيت :

1- *http://asjpp.cerist.dz/en/article*

2- *https://www.britannica.com* الموسوعة البريطانية على الرابط

3- *juanasensio.com* مقال منشور على الرابط

most prominent feminist example in the history of Islam, and based on his Sufi orientation and his Catholic faith, he debated between her and the Virgin Mary, peace be upon her. He did not stop there, but rather went beyond the approximation between her and Salman Al-Farsi, whom he considered a Christian-Nestorian who played an active role in directing her spiritual life, and her descendants after her. He approximated her with Al-Hallaj in that they are a substitute for sacrifice and saving sinful others from their sins. One of the interesting ironies is that Massignon, like other Orientalists, wanted to draw attention to the similarity between Sufi and Christian beliefs; for the purpose that is not without opportunities for plagiarism, that is, the influences of Islamic Sufism on Christian monasticism. On many occasions, he intentionality left out historical realism and objectivity, and dealt with its biography based in its reflection in the writings of the gnostic and extremists sects. Therefore, these were exciting and new approaches one of the most important reasons for choosing the topic. In this context, the research attempts to read how Fatima Al-Zahra, peace be upon her, is presented in a different way to the west , uncover the structural and methodological errors that the Western system has always claimed to rely on, and to dismantle the discourse presented by Louis Massignon, analyzing his methods, which he relied on, especially introspection and focusing on the symbolic dimensions in analyzing historical events, and arranging the results according to his intuitive (interpretive) approach, relying in this on the idea of substitution after him, Al-Sayyeda Al-Zahra, peace be upon her, as a replacement for her father, the Prophet Muhammad peace be upon him and his family, and a replacement for the Virgin Mary, peace be upon her, and follow in her footsteps.

University of Misan
Translation Unit
College of Education

Abstract

The Islamic heritage and its sacred figures received the attention of orientalist studies, especially the French ones, since Al-Sayyeda Fatima Al-Zahra, peace be upon her,, represented the fulcrum of the feminist presence in the Islamic message and the embodiment the prophetic culture, in contrast to the different image of women in Western trends after the distortion of her (Taurat and Injeel) writings. Although the birth of Jesus Christ, peace be upon him, restored some joy to the image of women through the Virgin Mary, peace be upon her, her sanctity soon gave way in the face of the Biblical distortion and the patriarchal system, the rule of the male god father. Therefore, Islam was interested in highlighting the global feminist element with multiple examples to restore human memory regarding the issue of women. For his part, the Prophet's attitude also undertook the task of formulating the global applied feminist ideal through a number of female models, the most prominent of which are Al-Sayyeda Khadija bint Khuwaylid, peace be upon her, and Al-Sayyeda Fatima Al-Zahra, peace be upon her.

Through this topic, the orientalists wanted to draw an approximation between the feminist presence in the body of the Islamic message and the feminist presence in the Christian religion through the duality of Al-Sayyeda Zahra and the Virgin Mary. Since the French orientalist mystic (Louis Massignon) who distinguished himself from other orientalists by immersing himself in the field of Islamic mysticism and spiritual orientations, especially after preparing his thesis on Al-Hallaj, Massignon tended to study sects, and people marginalized or excluded in history. Finally, he found what he looking for in Al-Hallaj, Salman Al-Farsi, and some extremist Gnostic sects, in addition to the holy women whom he considered (martyrs of the soul). He devoted his attention to Al-Sayyeda Al-Zahra, peace be upon her, then the

University of Misan
Translation Unit
College of Education

أ.م أسوان ناظم جاسم
٢٠٢٤/٩/٢٥

Republic of Iraq
Ministry of Higher Education and Scientific Research
University of Misan
College of Education
Department of History

Al- Sayyeda Al-Zahra, Peace Be Upon Her, in French Orientalist Thought, Louis Massignon as a Model, A Critical Analytical Study

University of Misan
College of Education

A Thesis Submitted by
Ayat Aziz Jerri

To the Council of the College of Education –
University of Misan as a Fulfillment of Requirements for Master's Degree in Islamic History

Under the Supervision of
Prof. Shaheed Kareem Muhammad (Ph. D)

A. D 2023

1445 A. H